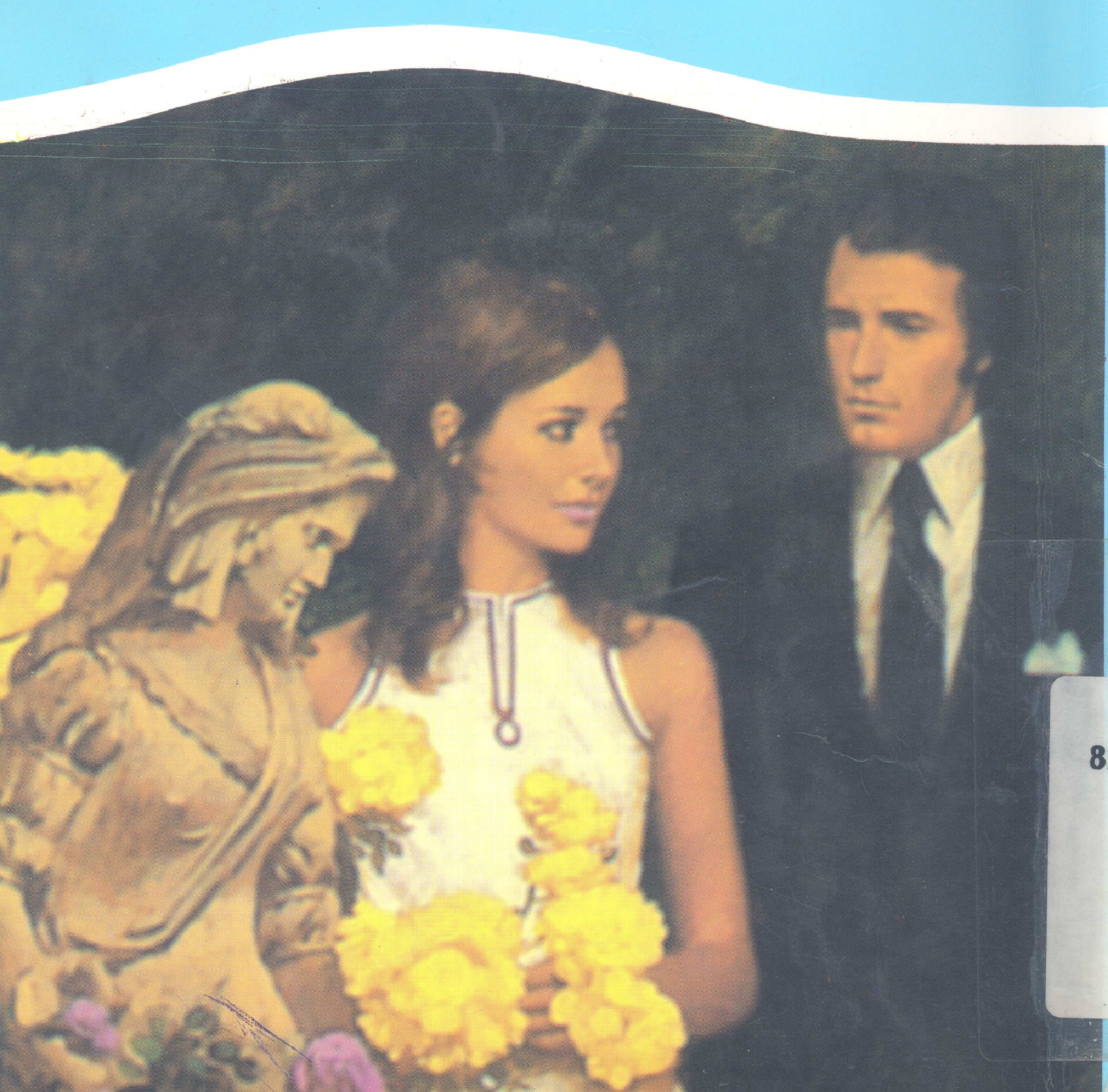
روائع
القصص العالمية

أجاثا كريستي

السّجين الهارب



السجين الهارب

السجين الهارب

أجاثا كريستي

دار الشرق العربي
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١/٦٩١٨
حلب ـ سورية ـ ص.ب ٤١٥

مؤلف الرواية

كان «ادجار والاس» ثالث ثلاثة من المؤلفين الانجليز عقد لهم لواء الزعامة في كتابة القصص البوليسية خلال القرن الماضي، والآخران هما: الدكتور «أرثر كونان دويل» مبتكر شخصية «شرلوك هولمز»، و«وليم ليكيه» الذي كشف بقصصه عن كثير مما غمض عن نشاط جواسيس الالمان في انجلترا، وشرح وسائل حياتهم وأساليبهم في التغلغل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم.

وقد امتاز «ادجار والاس» مؤلف هذه القصة، ببراعته التي لاتجاري فيما يبتكره من ألغاز طريفة تحفل بها قصصه، حتى أنه لايختتم فصلاً من إحداهما إلا على حادث جديد، يضيف به لغزاً إلى ألغازها، ويحبس أنفاس قارئه شوقاً إلى معرفة النتيجة. ويندر أن تتضح هذه النتيجة إلا في الأسطر القليلة الأخيرة من القصة.

ومن عجيب أمر هذا المؤلف القصصي العبقري أنه بدأ حياته بائع صحف، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع، إلى ترك بيع الصحف، ليعمل طاهياً في إحدى البواخر، حيث أتيح له آن يزور بلاداً كثيرةً مختلفة، وأن يدرس عن كثب حياة أهليها.

على آنه مالبث قليلاً حتى مل حياة التجوال في البحار، فعاد إلى الإقامة بوطنه الأول حيث عمل بائعاً للبن، يحمله إلى عملائه مرة كل صباح. ولبث كذلك حتى قامت حرب البوير فتطوع للعمل جندياً في الجيش الانجليزي، وهناك في جنوب أفريقا بدأت مواهبه تظهر وتوجه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الأكبر في الحياة وتأدية رسالته الخالدة. فاشتغل إلى جانب عمله في الجيش بمراسلة بعض الصحف الانجليزية، وكان أول ما خطه قلمه رسائل ضمنها أخباراً عن حرب البوير، وعن أبناء تلك البلاد الذين كانوا يفضلوا الموت على الاستسلام للإنجليز.

ولفت نشاطه أنظار أصحاب صحيفة «الديلي ميل» فاختاروه مراسلاً خاصاً لصحيفتهم في ذلك الميدان الحربي. ومن هناك عاد إلى لندن رئيساً لتحرير تلك الصحيفة الكبرى!

وكان قد بدأ وهو في جنوب أفريقا كتابة أول قصة له، وهي قصة «شريعة الأربعة العدول»، فلما أتمها بلغ من إعجابه بها أنه قرر نشرها لحسابه، ورسم لها خطة دعاية

كبيرة، لم تلبث آن استنفدت كل المال الذي ادخره من أعماله السابقة. وعندئذ عرض آمر القصة على صاحب «الديلى ميل» ومدير تحريرها المستر «الفرد هارمزوورث» ـ الذي أصبح فيما بعد «لورد نورثكليف» عميد الصحافة البريطانية ـ فأعجب بالقصة وقدم لكاتبها آلف جنيه يستعين بها على إتمام نشرها. ونفذ هذا المبلغ أيضاً واضطر «والاس» آخر الأمر إلى بيعها لإحدى دور النشر بما يساوي ما أنفقه عليها مضافاً إليه ٧٥ جنيها!

وابتسم له الخط منذ ذلك التاريخ، فانتقل من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش حتى لقد بلغ دخله السنوي من رواياته زهاء خمسين ألف جنيه. ولكنه كان كريماً مسرفاً في كرمه، حتى كان يبلغ به الأمر إلى الاقتراض بين رواية ورواية!

وكان «ادجار والاس» غزير الانتاج إلى حد تعذر معه إحصاء عدد ما كتبه من القصص، وكانت سرعته في كتابة القصة موضع التندر لدى أصدقائه، ومن ذلك ما ذكره آحدهم من آنه طلبه يوماً بالتليفون فاعتذر له سكرتيره الخاص بأنه بدأ منذ هنيهة كتابة قصة جديدة، فرد الصديق على السكرتير قائلاً: «حسناً! . . . سأنتظره هنيهة أخرى ريثما يتم قصته!».

وقد أخرجت له إحدى دور النشر ـ وهي التي نقلنا عن طبعتها هذه الترجمة ـ ما يربو على أربعين قصة منها: سر المفتاح الفضي، والمزيف، وشريعة الأربعة العدول، ووادي الأشباح.

وفي سنة ١٩٣٢ سافر إلى هوليوود للاتفاق على إخراج إحدى رواياته على الشاشة البيضاء، ولكن المنية عاجلته قبل إتمام الاتفاق.

شخصيات الرواية

(الدقاق) أرثر جون ملتون: "Arthur john Milton" ضابط طيران سابق. اشترك في الحرب العظمى الأولى. ثم بدأ يقتل أعداءه.. بارع في التنكر.

ألان ومبوري "Alan Wembury" : مفتش بوليس سري شاب، كان أبوه بستانياً في خدمة ال (لنلي Lenley).

بليس "Bliss" : مفتش باسكتلانديارد. كان ملحقاً بالسفارة البريطانية في أمريكا ثم استدعى إلى لندن ليطارد (الدقاق). جاف الطباع. مكروه من الجميع.

كورا آن ملتون "Cora Ann Milton" : زوجة الدقاق... فتاة أمريكية فتانة... ترتدي أغلى الثياب.. تحب زوجها وتساعده في الفرار من البوليس.

جون لنلي "John Lenley" : شاب من أبناء الأعيان... ورث تركة استغرقتها الديون فعمد إلى السرقة وحكم عليه بالسجن... مغرور طائش.

ماري لنلي "Mary Lenley" : أخت جون لنلي... صارت سكرتيرة محام لا ضمير له... أحبها ألان ومبوري مفتش البوليس.

موريس ميستر "Maurice Meister" : محام داهية لاضمير له... يدافع عن المجرمين، ويبيع للصوص مسروقاتهم... كان موضع نقمة (الدقاق).

جوندا ملتون "Gwenda Milton" : أخت (الدقاق) تركها في رعاية المحامي ميستر حين فر إلى استراليا، فغرر بها هذا المحامي وانتحرت.

سام هاكيت "Sam Hacket" : لص اعتاد السرقة من البيوت دون أن يحمل سلاحاً. خفيف الظل.

الدكتور لوموند "Dr Lomond" : طبيب شيخ اسكتلندي. شغوف بالبحوث العلمية... شديد السخرية.. اشتغل طبيباً للبوليس... ثم ظهرت حقيقته في النهاية..

عودة الدقاق

دق مدير البوليس المساعد الجرس الذي على مكتبه. ولما دخل الحاجب قال له:
ـ أبلغ المفتش ومبوري أني أريد حضوره فوراً.

ثم وضع الورقة التي كان يقرؤها في دوسيه خاص، حوى كل شيء عن أعمال ألان رمبوري منذ كان جندياً في الجيش، وهي أعمال تدعو إلى الفخر. إذ وصل في خلال الحرب إلى رتبة ماجور (بكباشي) ونال وسام «الخدمة الممتازة» لحسن بلائه في ميدان القتال. ولما انتظم بعد ذلك في سلك ضباط البوليس أبدى براعة فائقة ونشاطاً محموداً استحق عليهما الترقية أخيراً إلى منصب «مفتش قسم»!

وفتح الباب، ودخل ضابط طويل القامة، نحيل الجسم، أسمر الوجه من لفح الشمس، فنظر إليه المدير وابتدره التحية قائلاً: «سعدت صباحاً يا وموبري..».

فرد الضابط الشاب تحية رئيسه بأحسن منها، ووقف ينتظر تعليماته في أدب ملحوظ، وكان في نحو الثلاثين من عمره، شغوفاً بالرياضة، وقد برع على الأخص في لعب الكريكت كما كان لبقاً مهذب النمط، من أثر اختلاطه الطويل بالطبقة المهذبة من الناس!

ثم قال له المدير: «لقد طلبت حضورك، لأن لدي نبأ ساراً خاصاً بك!».

وكان المدير ميالاً إلى ومبوري لاستقامته ونزاهته، ولم يثق قط بأحد من مرؤوسيه كما وثق به. فابتسم هذا وقال له:
ـ إن كل نبأ أسمعه منك جدير بأن يسرني ياسيدي!
فأشار إليه المدير ليجلس على مقعد أمام مكتبه، ثم قال له:
ـ لقد صدر الأمر بترقيتك إلى وظيفة «مفتش قسم» وستتسلم قسم«ر R » يوم الاثنين القادم... أي بعد أسبوع!

ولم يستطع الضابط الشاب ـ رغم ثباته ـ أن يخفي تأثره الشديد بسماعه نبأ هذه الترقية، فالواقع أن الوظيفة التي رقى إليها تعد من الوظائف المهمة في سلك البوليس السري. وما دام قد وصل إليها وهو مازال في مقتبل العمر فالطريق إذن مفتوح أمامه للوصول إلى مفتش مركزي، وقد يجد نفسه بعد ذلك أحد الموظفين الرئيسيين الأربعة في

اسكتلنديارد. . . ولا يعلم إلا الله ماذا ينتظره بعد ذلك من تقدم وترقية!

وقد جرت هذه الأفكار كلها في ذهنه بسرعة. . . ثم قال لرئيسه:

- إن هذه لمفاجأة مدهشة حقاً يا سيدي! . . . وأنا مدين لك بالشكر. . . لكني أحسب أن هناك آخرين أحق بهذا المنصب مني!

فهز الكولونيل والفورد رأسه وقال: «لست أقرك على هذا!. ولقد سرتني ترقيتك كل السرور!».

وسكت هنيهة، ثم قال له: «إننا الآن بصدد إجراء تغييرات مهمة في اسكتلانديارد وقد أرسلنا في طلب (بليس) من أمريكا حيث كان ملحقاً بالسفارة البريطانية في وشنطن. . . ولاشك أنك تعرفه!».

فأومأ ومبوري برأسه موافقاً، إذ كان قد سمع بكفاءة ضابط البوليس صاحب ذلك الاسم، وإن علم أيضاً بأن جميع من في اسكتلانديارد يكرهونه!

ثم استطرد المدير فقال: «إن قسم ر "R" ليس الآن مثيراً كما كان منذ بضع سنوات. فاحمد الله على ذلك»!

وكان «حي دبتفورد» حياً جديداً على ومبوري، فرد على المدير قائلاً: «لعله كان كثير الحوادث يا سيدي؟»

فأوما الكولونيل برأسه موافقاً، ثم قال وقد بدا على ملامحه الجد:

- إنني أقصد «الدقاق». ولست أدري ألقي حتفه كما يقولون، أم أنه مازال على قيد الحياة. إن بوليس سيدني يكاد يجزم بأن الرجل الذي انتشلت جثته من الميناء هناك هو ذلك المجرم الخطير!

فأطرق ومبوري، وبدا كأنما استغرق في تفكير عميق!

إن اسم الدقاق أحدث في نفس ومبوري شعوراً كاد ينقلب قشعريرة! ولم يكن ذلك عن جبن أو خوف، فما كان قلب الفتى يعرفهما، وقد شهد له كل رؤسائه بالشجاعة والإقدام، سواء بوصفه ضابطاً في الجيش في سنوات الحرب أو ضابطاً في البوليس السري. ولكن اسم الدقاق كان يثير الشؤم والفزع، ويخيل إلى كل من يسمعه أنه يرى أمامه منظراً يذكره بعيني ثعبان ضخم من فصيلة الكوبرا.!

كانت جرائم الدقاق قد روعت لندن كلها!. فهو يقتل ضحاياه في غير رحمة ولغير

غرض سوى الأخذ بالثأر. وكثيرون هم الأشخاص الذين تعرضوا لعداوته وشره، فلجأوا إلى حماية رجال البوليس. وظل هؤلاء ساهرين على حياتهم بكل دقة وحرص، ولكن الدقاق مع ذلك لم يعجز عن تنفيذ وعيده، فانتقم من أعدائه هؤلاء شر انتقام. ووجدهم رجال البوليس الساهرون عليهم أمواتاً في فراشهم، بعد أن زارهم الدقاق في غسق الليل وخطف أرواحهم وكأنه ملك الموت!

واستأنف المدير حديثه فقال: «إن الدقاق لا يرتاد الآن القسم الذي ستعمل فيه، ولكني مع ذلك أحذرك من شخص واحد وهو...».

فسارع ومبوري إلى إتمام عبارة المدير قائلاً: «هو موريس ميستر... أليس كذلك ياسيدي؟!».

فرفع المدير حاجبيه دهشة وقال له: «أتعرفه؟... إني لم أكن أعلم أن شهرة موريس ميستر كمحام قد طارت في الآفاق إلى هذا الحد!».

فرد ومبوري قائلاً: «معرفتي إياه ترجع إلى أنه محامي أسرة لنلى..»

فضحك المدير وقال: «إني لم أعرف من هم آل لنلى هؤلاء... وأراك تذكر اسمهم بإجلال.. ولعلك تقصد أسرة المستر جورج لنلى الذي مات منذ بضعة أشهر في حي هرتفورد..».

فأومأ ومبوري برأسه موافقاً، واستطرد الكولونيل والفورد فقال:
ـ لقد كنت أخرج معه للصيد!... وهو في الحق من طراز الملاك الانجليز القدامى، الذين يحسنون ركوب الجياد، ويكثرون احتساء الخمر... وقد علمت أنه مات مفلساً... هل ترك أولاداً؟

فرد ألان ومبوري بهدوء قائلاً: «ترك اثنين ياسيدي!»

فضحك المدير وقال: «عجيب أن يكون ميستر هو محامي الأسرة!»

ثم أخذ ينظر من خلال النافذة إلى نهر التيمس... وكان رنين أجراس الترام يسمع من وراء النوافذ المغلقة. وقد بدأ الجو يبشر بالربيع، وأخذت أغصان الشجر على شاطىء النهر تخضر وتزدهر.. إن اسكتلانديارد مكان رهيب ينذر بالسوء، ولكن فيها مع ذلك أناساً تخفق قلوبهم بالشفقة!

وكان والفورد في تلك اللحظة لايفكر في ميستر ولكن في ولدي جورج لنلي اللذين تركا إلى رعاية كاذبة تضرهما ولا تنفعهما بأية حال!

ثم قال المدير بغتة: «إن ميستر كان يعرف الدقاق..!».

ففتح ومبوري عينيه دهشة وتساءل: «كان يعرفه؟» بينما واصل المدير كلامه فقال:

ـ لست أدري مدى معرفته به!.. والظاهر أنه عرفه حق المعرفة.. بل أكثر مما يتطلبه أمن ميستر وطمأنينته... هذا طبعاً إذا كان الدقاق مازال على قيد الحياة... لقد ترك الدقاق أخته جوندا ملتون في رعاية ذلك المحامي. وبعد ستة أشهر انتشلت جثتها من نهر التيمس!

وتذكر ألان ومبوري تلك المأساة!

ثم استطرد المدير قائلاً: «لقد كانت جوندا ملتون سكرتيرة خاصة عند موريس ميستر. والآن إذا وجدت لديك فراغاً من الوقت في يوم من الأيام القادمة، فيحس بك أن تذهب إلى مكتب السجلات وتراجع تلك المسألة...

فهناك أمور كثيرة لم توضح في التحقيق!».

فتساءل ألان قائلاً: «أهذه الأمور خاصة بذلك المحامي؟»

فأومأ الكولونيل برأسه موافقاً وقال: «إذا كان الدقاق قد مات حقاً فقد انتهى الأمر... أما إذا كان على قيد الحياة، فإن هناك أمراً سيعود به إلى حي بتفورد وإلى ميستر بالذات!».

وهنا سأله ومبوري: «ماهو ذلك الأمر ياسيدي؟»

فابتسم الكولونيل والفورد ابتسامة غامضة وأجاب قائلاً: «ماعليك إلا أن تدرس ذلك السجل، وعندئذ تقرأ عن المأساة القديمة التي لاتفتأ تتجدد، مأساة التي تثق برجل شرير!»

ثم لوح بيده لينهي الحديث عن الدقاق وكأنه شيء ملموس يزيحه بيده... وعاد فاتخذ سمت الرئيس الصارم وقال:

ـ ستتسلم وظيفتك الجديدة يوم الاثنين القادم... أتحب أن تذهب الآن إلى ذلك الحي لتلقى نظرة على مكان عملك الجديد؟

فتردد ألان لحظة ثم قال: «إنني أستأذنك ياسيد في إجازة لمدة أسبوع إذا كان ذلك ممكناً!».

وإذ قال ذلك احمر وجهه بالرغم منه. فقال له الكولونيل: «إجازة؟ حسناً! لاشك أنك تريد أن تزف بشرى ترقيتك إلى فتاتك؟!»

فاضطرب ومبوري قليلاً ثم أجاب قائلاً: «كلا ياسيدي! ليس هناك غير صديقة عزيزة

أريد آن أنبتها . . . إنها الآنسة ماري لنلي ياسيدي»

فضحك الكولونيل وقال له : «إذن . . أنت على صلة وثيقة بأسرة لنلي . . ؟»

فقال : «كلا ياسيدي! . كل ما هناك أنى نشات في كوخ بمزرعة لنلي! كان أبي هو بستاني السيد لنلي ، ومن هنا عرفت تلك الأسرة منذ طفولتي . . . وليس في القرية هناك من ينتظر قدومي سوى . . . سوى الآنسة ماري لنلي وحدها!».

فقال له المدير بعطف : «سأرخص لك في الإجازة التي تطلبها يابني لكي تذهب حيث تشاء . وإذا كانت الآنسة ماري لنلي قد أوتيت من العقل بقدر ما أوتيت من الجمال ـ وآنا آتذكرها منذ كانت طفلة ـ فإنها ستنسى أنها من أسرة لنلي صاحبة تلك المزارع وإنك ابن ومبورى الذي نشأ في كوخ هناك . . . . إن عصرنا الديموقراطي هذا لايسمح لأحد بأن يتيه بنسبه وحسبه ، وإنما قيمة الإنسان في المركز الذي يصل إليهْ بهمته . ولعلك لاتحسب نفسك دون أولئك القوم فيعذبك هذا الشعور . ولو فعلت لكنت أحمق!».

وهكذا خرج ألان ومبوري من غرفة المدير المساعد وهو موقن بأنه يعرف عن أسرة لنلي آكثر مما عرف!

* * *

لكأن الربيع حل بقرية لنلي قبل أن يأتي إلى لندن العجوز العابسة! .

ومن هنا كان ألان ومبوري حين مشى في طرقات القرية ، بعد أن خرج من محطة السكة الحديدية ، يرى الأشجار مورقة ، والأغصان مزدهرة .

وكانت دار آل لنلي تطل على القرية من موضعها المرتفع . وقد بقيت أثراً خالداً من عز قديم!

وقد سبقه نبأ ترقيته إلى القرية ، فما كاد يبلغها حتى خف إلى استقباله صاحب خان «الأسد الذهبي» وقال له : «يسرني أن عدت إلينا يا ألان . . . لقد سمعنا بترقيتك ونحن فخورون بك . وسيأتي يوم نراك فيه رئيساً للبوليس!».

فابتسم ألان وقد سرته هذه الحفاوة من مواطنه القديم الشيخ . والواقع أنه كان يحب هذه القرية التي نشأ فيها ، وهي مقر أحلامه ، وكثيراً ما ساءل نفسه : ترى هل يتحقق حلمه الذي لم يجرؤ قط على أن يبوح به؟

ثم قال له صاحب الخان: «أذاهب أنت إلى دار آل لنلي لترى الآنسة ماري؟». وقيل آن يجيب عن هذا السؤال. هز الرجل رأسه، وقال وقد بدأ عليه الأسى:

- إن الأمور هناك ليست على مايرام! ويقال أنه لم يبق شيء من التركة سواء للمستر جون أو للآنسة ماري.. وأنا لا أبالي المستر جون فإنه رجل ويمكنه أن يشق طريقه في الحياة... على أني كنت أتمنى لو وجد لنفسه طريقاً غير هذا الذي يسلكه!

وسأله ألان عما يعنيه بذلك، وكأنما تذكر صاحب الخان أن ألان ومبوري علاوة على كونه صديقاً قديماً من أبناء القرية، يشغل في الوقت نفسه منصب ضابط بوليس في اسكتلنديارد.. وعلى هذا الحذر في حديثه معه، واستطرد فقال:

- يقال إنه باع نفسه للشيطان! وأنت تعرف القيل والقال، ولكن لا دخان بلا نار! إن جوني لم يكن قط إنساناً لطيفاً! وهو الآن دائم العبوس... ويبدو أنه لا يقدر أن يصبر على الفقر

- ولماذا إذن يقيمون بتلك الدار الشاسعة التي تكلفهم فوق طاقتهم؟ إني لأعجب من جون لنلي كيف لم يبعها!

- وكيف يقدر أن يبيعها؟ إنها مرهونة إلى آخر حجر فيها.. إنه وأخته إنما يبقيان فيها حتى يرتب ذلك المحامي الذي في لندن شؤون التركة وما عليها من ديون، وبعد ذلك ينتقلان إلى العاصمة وقد سمعت أنهما يسافران إليها بعد أسبوع!

فقطب ألان جبينه حين سمع كلمة «المحامي الذي في لندن»، إذ أدرك أنه موريس ميستر، وقد كان تواقاً إلى لقاء هذا المحامي الذي شاعت عنه شائعات عجيبة. كان رجال سكتلانديارد يهمسون عنه بأشياء لو أنها نشرت أو قيلت لكانت سباً أو قذفاً يعاقب عليه القانون... كما كانوا يتحدثون عن علاقات له بالمجرمين تخرج عن الدائرة الدفاع عنهم في المحاكم!

وأخيراً قال آلان ومبوري لصاحب الخان:

- أريد لنفسي غرفة لديك يا مستر جريجز... وسيأتي الحمال بحقيبتي من المحطة. أما آنا فسأذهب الآن إلى الدار لعلي ألقى جون لنلي.

والواقع أنه لم يكن يريد لقاء جون ولكنه كان يعنى ماري شقيقته!..
ولو أنه استطاع آن يخدع العالم كله، فليس في استطاعته أن يخدع قلبه! فقد كان في شوق

شديد إلى رؤية تلك الفتاة التي كانت رفيقة صباه!

ولما اقترب من الدار بانت له دلائل الفقر. فقد كانت الحدائق الفسيحة مهملة، وكان مظهر الدار من الخارج يدل على قلة العناية بها كذلك، حتى إن نافذتين كانت قد انكسر زجاجهما دون أن يوضع بهما زجاج جديد!

ورأته ماري وهو قادم فجرت نحوه وهي تهتف مرحبة: «أوه.. ألان؟!»

وأمسك كلتا يديها بيديه، وجعل يتفرس في وجهها، وكأنه لم يرها منذ عام، وكأنما زاد جمالها خلال ذلك وصارت كالوردة التي بدأت تتفتح أكمامها. أو لعله الحزن الكامن في نفسها هو الذي زادها حسناً على حسن!

غير أنه شعر بغتة بالهوة العميقة التي تفصل بين سليلة آل لنلي وبينه!. وخيل إليه أنها قد زادت اتساعاً. ثم قالت له: «لقد قرأنا نبأ ترقيتك في جريدة الصباح».

فضحك وقال لها: «لم أكن أدري أن ترقيتي صارت موضع اهتمام العالم!»

فتأبطت ذراعه بشكل خال من الكلفة، كما كانت تفعل في الأيام الخالية حين كانا يلعبان معاً، وسارت به وهي تقول:

ـ تعال أخبرني عن هذه الترقية!

ـ ليس هناك ما يستحق الذكر!... لقد كنت حسن الحظ في مسألة أو مسألتين عهد فيهما إلي. وأنا الآن أشعر بأني مدين بترقيتي إلى رضاء القوميسير عني، لا إلى شيء آخر!

ـ هذا هراء! لاشك أنه استأهلت الترقية بكفاءتك!

ولمحته وهو ينظر إلى الدار، فبان الحزن على ملامحها وقالت: «ياللدار التاعسة!. لعلك سمعت النبأ ياألان؟ سنرحل من هنا بعد أسبوع»

ثم تنهدت وقالت: «إني لا أطيق أن أفكر في ذلك... وقد استأجر أخي جوني مسكناً في عمارة بلندن.. ووعد موريس بأن يجد لي عملاً!»

فقال لها ألان متعجباً: «ما كنت أحسب أنك في حاجة إلى عمل لتعولي نفسك!»

فضحكت وقالت له: «طبعاً ياعزيزي!. إني قد بدأت أتعلم الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة. وسأصبح سكرتيرة لموريس!»

وتذكر ألان سكرتيرة أخرى لذلك المحامي، انتشلت جثتها من النهر صباح يوم عم فيه الضباب! وتذكر ماقاله له الكولونيل والفورد عن هذا الشأن. فبقي ساكتاً واجماً،

ولحظت هي وجومه فقال له:

ـ مالي أراك صامتاً؟ ألا يسرك أن أعمل لأكسب معاشي؟!

فرد في صراحه: «كلا! . . لابد أنه بقي لك شيء من التركة!»

فهزت رأسها وقالت: «لم يبق شيء مطلقاً! وكل ماهنالك أن لي دخلاً ضئيلاً من ميراثي من أمي، وهو يكفي لأن يقيني الموت جوعاً! أما جوني فهو بارع حقاً يا ألان. . لقد كسب أخيراً مبالغ كبيرة من المال. أليس هذا عجيباً؟ . . إني لم أكن قط أتصور أن جوني بارع في شؤون التجارة والمال! ولكنه برهن فعلاً على كفاءته. ولن تمضي سنوات حتى نستعيد دارنا!»

وكانت كلماتها تفيض بالأمل حقاً، ولكنها مع ذلك لم تخدع ألان. !

ورآها تنظر جانباً، فالتفت وإذا به يرى رجلين قادمين نحوهما. وكان الوقت في بداية الصيف ولكن المستر ميستر كان مع ذلك مرتدياً حلة المحامين المعروفة، وقد بدأ بقامته المديدة وجسمه النحيل، وكأنه كما وصفه أحدهم يوماً بأن مظهره مظهر دوق ولكن نفسه نفس شيطان. . !

وكان رفيقه الذي معه شاباً طويل القامة لم يكد يتخطى العشرين من عمره، وقد قطب جبينه حين رأى ومبوري ولكنه قال له: «هالو ومبوري»

ثم التفت إلى رفيقه وقال له: «لعلك تعرف ومبوري يا موريس. ؟»

ومد المحامي إليه يده النحيلة مصافحاً وقال له:

ـ لعلك قادم إلى الحي الذي أسكنه لترعب زبائني البائسين؟!

فأجاب: «لعلنا نصلح من أحوالهم ياسيدي! إن هذه هي مهمتنا في الواقع!».

وكان جوني لنلي يحدق فيه في خلال ذلك. والحق أنه لم يمل إليه قط وقد زاد آلان كرهاً له بعد أن أصبح مفتش بوليس!

وسأله بجفاء: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟ إني لم أكن أعلم أن لك أقرباء في هذه الناحية!»

فقال ألان في هدوء: «لي بعض أصدقاء»

وعندئذ قالت ماري: «بالطبع له هنا أصدقاء! لقد جاء على الأقل لكي يراني. . . أليس كذلك يا ألان؟ إني آسفة إذ لانقدر أن نضيفك في دارنا التي لم يبق بها أثاث يصلح لذلك!»

وهنا بدأ الكدر في وجه جون لنلي. . وقال لأخته في جفاء: «ليس من الضروري أن تعلني فقرنا على رؤوس الأشهاد! وما أحسب ومبوري يهتم بأحوالنا المالية. . وإلا كان ذلك وقاحة منه!»

وقطبت ماري حين سمعت ذلك من أخيها، فزاد ذلك في كرهه لهذا الزائر. وأراد موريس ميستر أن يصطاد في الماء العكر فقال:

ـ إن مأساة آل لنلي أصبحت معروفة ياعزيزي جوني. . . فلا تكن حساساً من هذه الناحية. . . والحق أني مسرور إذ ألقى مفتش بوليس ذا شهرة مثل ألان ومبوري. . . إنك ستجد منطقتك باعثة على الضجر يامستر ومبوري فليس لدينا الآن حوادث مثيرة كتلك التي كانت في حي بتفورد حين انتقلت إليه من حي لنكولن إين فيلدز. !

فقال له ألان في هدوء: «أتعني بذلك أن الدقاق لم يعد يقلق بالكم؟»

وكان لذكر اسم الدقاق أثره الذي قصده ومبوري. . . فانقلبت سحنة ميستر وبان على ملامحه الفزع، ثم قال:

ـ الدقاق؟! . . إن ذلك شيء مضى وانقضى. . . لقد مات!

وقد قال ذلك بشيء ينبىء بأنه يريد أن يطمئن نفسه. . . فرد ومبوري قائلاً:
ـ أجل! مات غرقاً في استراليا!

وكانت الفتاة تنظر إليه متعجبة، ثم تساءلت: «من هو الدقاق هذا؟»
فرد المحامي قائلاً: «إنه شخص لاتعرفين عنه شيئاً، ولا يصح أن تعرفي! على أنه لايليق بنا أن نتحدث عن المجرمين الآن!»

وزمجر جون لنلي ثم قال له: «ليتك تجد شيئاً آخر تتحدث عنه»
واستدار ليذهب، وعندئذ التفت ميستر إلى ألان وقال له: «إنك الآن تعمل في قسم وست اند. . . أليس كذلك ياومبوري؟ ماذا كانت آخر قضية اشتغلت بها؟ إني لا أذكر أني رأيت اسمك في الصحف!»

فرد ومبوري قائلاً: «إننا لا نذيع أنباء فشلنا! إن آخر قضية لي كانت تتعلق بسرقة جواهر من دار اللادي دارنلي في بارك لين في الليلة التي أقامت فيها حفلة استقبال للسفراء!»

وكان وهو يتكلم ينظر إلى ماري. . . فقد كان بوجهها ما يشبه المغناطيس الذي

يجذب بصره إليها . . . ولذا لم ير أثر كلامه في ملامح جون لنلي . . كما لم ير المحامي حين غمز بعينه لهذا الشاب غمزة ذات معنى!

وساد الصمت لحظة ثم قال موريس: «اللادي دارنلي؟ آه لقد تذكرت ألم تكن مدعواً إلى تلك الحفلة يا جوني؟»

فرد جون لنلي قائلاً: «نعم كنت هناك، لكني لم أعلم بتلك السرقة إلا فيما بعد . . . أليس لديكم ما تتحدثون عنه سوى الجرائم، والسرقات والاغتيالات؟!»

ثم تركهم ومضى في سبيله، فشيعته أخته بنظرة طويلة وفي وجهها شيء من القلق، ثم قالت: «لست أدري ما الذي جعل جوني ثائر الأعصاب هكذا في الأيام الأخيرة؟ أتدري أنت ياموريس؟».

فتشاغل موريس ميستر بفصح السيجارة التي احترقت عن آخرها في الفم الذي كان يدخنها فيه، ثم قال: «إن جوني في باكورة الشباب . . . ولا تنسى يا عزيزتي أنه قد مر بتجربة قاسية!»

فردت ماري قائلة: «إنني أنا أيضاً مثله! أتحسب أن من اليسير عليّ أن أترك هذه الدار؟»

وارتعش صوتها من التأثر، لكنها سرعان ماتمالكت نفسها وابتسمت ثم قالت:

ـ أراني قد بدأت أتأثر حتى لأكاد أبكي فوق كتف ألان . . . هيا بنا يا ألان . . وانظر ماذا بقي من بستان الورد . . . ولعلك بعد ذلك تبكي معي!

* * *

أخذ جوني لنلي ينظر إلى شقيقته بعد أن انصرفت إلى الدار مع ومبوري حتى غابا عن بصره!

وكان وجهه ممتقعاً من الكدر، وشفتاه ترتعشان. ثم قال لصاحبه:

ـ ماالذي جاء بهذا الشخص البغيض إلى هنا؟

فرد عليه موريس ميستر قائلاً: «يا عزيزي جوني . . إنك لاتزال طائشاً! . لقد ربيت تربية أبناء السادة . . . ولكن مسلكك كمسلك السوقة!»

ـ وماذا كنت تنتظر مني؟ أكنت تريد أن أرحب به في دارنا؟

إن هذا الرجل قد ارتفع من الحضيض. وقد كان أبوه بستانياً عندنا!

ـ إن التعاظم لايجديك نفعاً الآن! ويحسن بك أن تكتم شعورك

ـ إني إنما أظهر ما بنفسي

ـ أنت أحمق! لقد كدت تنسى نفسك حين ذكر ومبوري جواهر اللادي دارنلي.. هل نسيت من الذي كنت تكلمه؟ هل يبعد أن يكون قد ذكر تلك السرقة ليرى مدى تأثرك بسماعها؟ إنه أبرع رجال اسكتلنديارد.. وهو الذي ضبط هيرس وقاد جوستين إلى حبل المشنقة.. وقبض على عصابة فلاك وغيرها من العصابات!

ـ إنه لم يلحظ عليَّ شيئاً! لقد تسلمتَ خطاباً صباح اليوم. فهل به نبأ عن الجواهر؟ هل بيعت؟

ـ أتظن يافتايَ العزيز أن من اليسير بيع لآلىء تبلغ قيمتها خمسة عشر ألف جنيه، في مدى أسبوع واحد؟

فكست جون لنلي لحظة ثم قال: «عجيب أن يعهد إلى ومبوري بأمر هذه السرقة! ولكن الظاهر أن رجال البوليس قد يئسوا منها... ولعل اللادى دارنلي لم يتجه بها الفكر نحوي»

فقال له المحامي: «لاتكن على ثقة من ذلك! فإن كل مدعو في تلك الليلة إلى الدار رقم ٣٠٤ في بارك لين هو موضع الاشتباه الآن! وأنت على الأخص. لأن الناس جميعاً يعلمون أنك مفلس! ولأن أحد الخدم رآك وأنت تصعد السلم الرئيسي قبل مغادرتك الدار مباشرة!»

ـ لقد قلت له إني ذاهب لإحضار معطفي! لكن لماذا ذكرت لومبوري أنني كنت بين المدعوين إلى تلك الحفلة؟

فضحك موريس وقال: «لأنه لايعرف ذلك! وقد كنت أراقبه وأنا أقوله... على أني الآن أريح بالك وأقول لك إن الشخص الذي هو موضع الاشتباه الآن هو الساقي المسكين! ولكن لاتحسبن أن المسألة قد وضعت على الرف... بل إن البوليس بالعكس يبذل قصارى جهده لكشف سر تلك السرقة، فلا يجوز لنا مطلقاً أن نفكر الآن في بيع اللآلىء، بل يجب أن ننتظر حتى تلوح لنا فرصة لبيعها في انتورب بعيداً عن الرقباء!»

ورمى عقب السيجارة، ثم أخرج من جيب صديريته علبة ذهبية وأخذ منها سيجارة أخرى وأشعلها في هدوء. وكان جون لنلي يراقبه فقال له:

ـ أراك هادىء الأعصاب! أتدري أنه إذا ظهرت الحقيقة بشأن هذه اللآلىء فسيكون مصيرك الأشغال الشاقة؟!

فأرسل موريس في الهواء حلقة من الدخان وقال:

ـ إن الأشغال الشاقة في مثل هذه الحالة تكون مآلك أنت! وأظن أن من الصعب جر قدمي في هذه المسألة.. وإذا كنت قد اخترت لنفسك أن تكون لصاً أرستقراطياً مثل بعض أبطال القصص، فهذا شأنك وحدك. أما أنا فكل صلتي بك أني كنت أعرف والدك. وأني أعرفك منذ كنت طفلاً. ولذلك جازفتُ هذه المجازفة البسيطة!

فرد عليه جون لنلي قائلاً في حدة: «هذا هراء! إنك كنتَ مجرماً منذ طفولتك! وأنت تعرف كل لص في لندن! وقد اعتدتَ أن تبيع مسروقات اللصوص!»

فقال له موريس في هدوء: «ألم أقل لك إنك فتى أحمق؟ ألنا الذي غريتك بسرقة لآلىء اللادي دارنلي؟ أم تراني أقنعتك بأن السرقة أجدي عليك نفعاً من العمل، وبأنك بمركزك الاجتماعي وارتيادك بيوت الكبراء تتاح لك أحسن الفرص للسرقة؟!»

ـ أياً كان الأمر فنحن شريكان! وإذا ضعت أنا فستضيع معي ولاشك.. إنني لا أقول إنك آغريتني بالسرقة، ولكنك كنت أول معين لي على ارتكابها!

فاستاء المحامي من هذه اللهجة التي خاطبه بها الشاب وقال له: «لاتغتر بنفسك يا عزيزي... إن السرقة ليست بالأمر السهل كما تتصور! إنك تظن نفسك بارعاً».

ـ إني على الأقل أبرع من ومبوري. وأعتقد أنك لاتنكر هذا! فابتسم موريس ميستر ولم يجب!

* * *

لم تشأ ماري أن تقود زائرها الضابط الشاب إلى بستان الورد، بل قادته إلى الحديقة التي أهمل تنسيقها. وكان هناك مقعد من الرخام أمام بركة راكدة نبتت بها بعض الأزهار. ولما جلسا هناك قالت له:

ـ أريد أن أقول لك شيئاً يا ومبوري.. وأنا إذ أذكره لك إنما أكلم الآن ومبوري الصديق لامفتش البوليس!

فقال لها في تأثر: «شكراً لك على هذه الثقة يا ماري.. وسامحيني إذا تركت لقب

الآنسة وناديتك باسمك وحده!»

فقالت له: «هذا يسرني! إنه لايليق بك أن تقول لي (الآنسة ماري) بعد الآن!»

وترددت لحظة ثم قالت له: «إن الأمر يتعلق بأخي جوني.. إنه يتكلم كلاماً غريباً! وكأني به وقد أصبح لايميز بين ما يجوز ومالايجوز.. ويخيل إلي أحياناً أنه لايبدي آراءه إلا بدافع العناد. وأحياناً أخرى أشعر بأنه يقصد ما يقول.. وهو يذكر المرحوم أبانا بالسوء. وأنا لا أقدر أن أغفر له ذلك! إن أبي كان مبذراً متلافاً ولكنه كان نعم الأب لي وله!»

فسألها: «ماذا تعنين بقولك إن جوني يتكلم كلاماً غريباً؟»

فهزت رأسها وقالت: «ليس هذا كل ماهنالك، بل إن له أغرب الأصدقاء.. فمنذ أسبوع نزل دارنا صديق له رأيته ولم أكلمه، ويدعى هاكيت.. أتعرفه؟»

فقال لها ومبوري متعجباً: «هاكيت؟ سام هاكيت؟ رباه! إنه من معارفي القدماء! إنه لص!»

فقالت: «إذن قد كذب جوني إذ زعم لي أنه صانع، وأنه سيسافر قريباً إلى استراليا! هل أنت موقن أنه هو سام هاكيت الذي تعرفه؟»

فوصفه لها ألان وصفاً دقيقاً، وعندئذ قالت: «إنه هو! وأنا لم أرتح إليه حين رأيته. أتظن يا ألان أن جوني قد أصبح.. قد أصبح شريراً؟»

ولم يكن ومبوري قد خطر بباله قط أن جون لنلي جدير باهتمام البوليس، فقال لها دون تردد: «كلا بالطبع!»

ـ ولكن مارأيك في صحبة السوء الذين حوله؟

ـ أخشى يا ماري أن يصادفك أناس من أمثال هاكيت أو شر منه. على أن هاكيت ليس بالرجل الشرير مالم تمتد يده إلى متاع غيره!

فسألته: «لماذا ترى أني سأصادف أناساً من أمثاله!»

فأجاب: «لأنك ستصبحين سكرتيرة خاصة في مكتب موريس ميستر.. بودي يا ماري لو رفضت هذه الوظيفة!»

فدهشت لقوله هذا وقالت له: «لكن لماذا؟ آه... إني أدرك ما تعني... إن موريس له عملاء كثيرون وأنت تخشى عليّ منهم.. ولكن اطمئن!»

ـ إني لا أخشى خطر عملائه عليك، ولكني أخشى خطره هو!

فحملقت فيه وكأنها تحسبه قد جُن. . ثم قالت له: «أنت تخشى موريس عليّ؟! إنه من أعز الناس! لقد أبدى نحوي ونحو جوني من العطف والحنان مالم نجده من أحد سواه! ولقد عرفناه منذ نعومة أظفارنا!»

ـ وأنا أيضا قد عرفتك منذ الطفولة يا ماري!

ولم تدعه ماري يسترسل في كلامه، وقالت له: «خبرني لماذا تخشى موريس علي؟!»

فقال لها: «أنا لا أعرف عنه شيئاً! وكل ما هناك أن اسكتلانديارد لا ترتاح إليه!»

وعندئذ ضحكت وقالت له: «ذلك لأنه يدافع عن أولئك البائسين الذين يقعون في أيدي رجالها ويخلصهم من السجن. . إنها الغيرة المتبادلة بين أبناء الحرفة الواحدة. . إني يا آلان لم أكن أتصور أنك أيضاً تتأثر بتلك الغيرة المهنية!»

فلم يجد فائدة من تكرار تحذيرها من ذلك المحامي. . وقال لها: «مادمت ستعملين سكرتيرة له، فستكونين في الحي الذي أعمل فيه»

فردت قائلة: «أليس عسيراً عليّ أن أعيش هناك بعد دارنا هذه؟ لن تكون هناك حفلات راقصة ولا مباهج من أي نوع! وأحسب أني سأعيش وأموت عانساً!»

فابتسم وقال لها: «إني أشك في ذلك! ولكن الواقع إنك لن تتاح لك فرص كثيرة في حي دبتفورد لأن تقابلي شباناً صالحين للزواج!»

* * *

وفيما هما مشغولان بالحديث في الحديقة، كان موريس ميستر يرقبهما من بعيد، وقد عجب من نفسه كيف لم يدرك من قبل، مقدار ما أوتيت ماري من جمال وفتنة، وكأنما كان لا بد له من أن يرى بعينيه حب هذا الضابط لها، لكي يدرك أنها زهرة تفتحت أكمامها وفاح شذاها العطر!

وكان ميستر يحب الحسان! وقد كانت جوندا ملتون حسناء، وأنه ليذكر شعرها الذهبي، ووجهها المليح، وقوامها الممشوق. . ولكنها كانت فتاة حمقاء غبية، فسرعان ما ملها، ثم انقلب ملله منها إلى مأساة!

وارتعد جسمه إذ تذكر يوم جرى التحقيق في كيفية موتها، وصار هو يدلي للمحقق

بأكاذيب يأخذ بعضها بخناق بعض!

ولما أدارت ماري بصرها، رأته فأشارت إليه، وذهب إليها في بطء، ثم سألته:

ـ أين جوني. ؟

فأجاب: «إن جوني بادي الكدر ولست أدري سبباً لذلك!» ثم أخذ يتأملها قائلاً لنفسه:

ـ ما أجمل بشرتها الصافية! إن لها لعينين نجلاوين لهما أهداب طويلة فاتكة! ولقد عرفتها منذ طفولتها، وعشت تحت سقف بيتها طول الأسبوع الأخير، ولكني لم أقدر جمالها حق قدره إلا في هذه اللحظة!

ثم سألها: «هل قطعت عليكما حديثاً خاصاً؟»

فهزت رأسها دلالة على النفي، ولكنه لم يصدقها، وساءل نفسه: «ترى ماذا كانا يتكلمان فيه؟ أتراها أنبأت ألان ومبوري بأنها ستنتقل إلى حي بتفورد؟ إنها سوف تنبئه بذلك على كل حال وربما كان من الأفضل أن يعلم ومبوري ذلك الآن!»

ثم التفت إلى ألان وقال له: «أتعلم أن الآنسة لنلي ستشرفني بأن تصبح سكرتيرة لي؟»

فرد عليه ومبوري وهو يعني كل كلمة يقولها: «لقد علمت ذلك! وقد قلت للآنسة لنلي أنها بناء على ذلك ستكون في منطقة عملي وتحت رعايتي الأبوية!»

وكان في ذلك تحذير ووعيد! ولم يخف على ميستر ما قصده ومبوري. . لقد أقام نفسه حارساً على الفتاة. . ولو حدث ذلك قبل ساعة واحدة لكان مثار الضحك. . أما الآن. .

ونظر إلى ماري وقد زاد نبضه سرعة، ثم قال للضابط الشاب: «إن هذا أمر شائق حقاً! ولكن أيدخل ذلك ضمن واجبات البوليس؟!»

فرد ومبوري قائلاً: «إن واجب البوليس تلخصه العبارة المنقوشة بأعلى مدخل اسكتلانديارد. . أعني (أن يحمي أبناء الفقراء ويعاقب المجرمين). .»

فقال موريس: «هذا شعار بديع!»

ورأى ساعي البرق قادماً، فقال: «أحسب أن هذه البرقية لي!»

ومشى ليلقى ساعي البرق عند طرف الحديقة. بينما قالت ماري لصاحبها: «هل موريس متكدر منك؟»

فضحك ألان وقال: «إن كل إنسان لا يلبث قليلاً حتى يتكدر مني! إني لا أتقن المجاملات الاجتماعية»

فربتت يده الموضوعة بجانبها على المقعد الحجري وقالت له: «لا أحسبني سأتكدر منك يوماً من الأيام فإنك ألطف إنسان عرفته في حياتي!»

واشتبكت يداهما برهة، ثم عاد موريس وبيده برقية لم يفض غلافها وقال لومبوري:

ـ إنها لك! لقد بلغ من أهميتك أنك لاتكاد تغادر مكتبك حتى يبرقوا إليك! ترى آن جرم فظيع ارتكب في لندن في خلال غيابك عنها!

فتناول آلان البرقية مقطب الجبين! إنه لم يكن ينتظر برقية، وأصدقاؤه قليلون، وليس من المحتمل أن تقطع الإدارة عليه حبل إجازته هكذا وشيكاً!

ثم فض البرقية، وقرأها فاذا فيها مايلي:

«عاجل جداً. . ارجع فوراً إلى اسكتلنديارد. . يجب أن تتسلم مهام منصبك الجديد صباح غد البوليس الاسترالي يقول إن (الدقاق) غادر سيدني منذ أربعة أشهر. والمعتقد أنه في لندن الآن»

وكانت البرقية موقعاً عليها باسم والفورد. . فطواها ألان ووضعها في جيبه.

بينما سألته الفتاة: «هل من خبر سيء؟» فلم يزد على أن هز رأسه قائلاً:

«لا. !»

ونهض آلان على أثر ذلك لينهى زيارته للدار التي نشأ فيها، وليغادر المنطقة كلها عائداً للندن!

إن الدقاق قد عاد إلى انجلترا! أجل لقد رجع هنري أرثر ملتون. . ذلك السفاح الماكر الجريء، الذي يقتل أعداءه بغير تردد!

وعاد به الذهن إلى اسكتلانديارد. . وإلى مكتب والفورد هناك. . وتذكر جوندا ملتون ـ آخت الدقاق ـ تلك التي ماتت غرقاً، وقيل إنها انتحرت! ثم أخذ يسائل نفسه:

ـ ترى هل كان للمحامي ميستر يد فيما تملكها من يأس، حتى طلبت الراحة من الحياة؟ إذا كان هو الواقع فالويل له بعد عودة الدقاق!

سارق الجواهر

كان ألان ومبوري يشعر برعدة تسري في جسده، في خلال سفره عائداً للعاصمة. لكنها كانت رعدة الصياد الواثق من نفسه، حين يلوح له (النمر) الذي اختطف حياة بعض الناس!

إن الدقاق في لندن الآن، وقد اشتهر هذا المجرم ببراعته في التنكر بأشكال شتى حتى عجز البوليس عن أن ينشر وصفاً دقيقاً له! نعم إنه أستاذ في التنكر، كما أنه عدو جبار لا يرحم فرائسه!

لم يكن ومبوري يشعر بخوف أو بغض نحو ذلك المجرم الذي كلف مطاردته. لكنه كان يقدر خطر المهمة التي اضطلع بها. والشيء المؤكد هو أن الدقاق لابد أن يقصد إلى حي دبتفورد!

وعندئذ تذكر ومبوري أن ماري لنلي ذاهبة أيضاً إلى ذلك الحي.. إلى دار المحامي ميستر. ومارجع (الدقاق) إلى انجلترا إلا لغرض واحد، هو أن ينتقم من موريس ميستر.. فالخطر على هذا يتضمن خطراً على ماري لنلي وهذه الفكرة وحدها قد أفزعت ومبوري إلى حد بعيد!

ولما دخل مكتب المدير المساعد وجده مشغولاً بأمر سرقة غير ذات بال. وقال له والفورد حين رآه: «هل تسلمت برقيتي؟ إني أسف لقطع إجازتك.. وأريد أن تذهب فوراً إلى بتفورد لتسلم عملك وتفقد منطقتك».

فسأله «هل عاد (الدقاق) يا سيدي حقاً»

فأومأ والفورد برأسه وقال: «لست أدري لماذا عاد، ولا أين يوجد الآن، والواقع أننا لم نتلق معلومات مباشرة عن عودته وإنما نفترضها افتراضاً!»

ـ ولكني كنت أظن..

وتناول والفورد برقية من فوق مكتبه ثم استطرد يقول: «إن للدقاق زوجة.. وقليل من الناس يعلمون ذلك. وقد تزوجها منذ سنة أو سنتين في كندا. وقد غادرت هذه البلاد إلى استراليا عقب اختفائه. ومعنى هذا إن (الدقاق) كان هناك.. والآن جاءت الأنباء بأنها

سافرت من استراليا فجأة كما سافرت من هذه البلاد قبلا ، وستصل إلى انجلترا صباح غد! »

فأوما آلان برأسه وقال: «فهمت! إن هذا يدل على أن (الدقاق) إما أن يكون الآن في انجلترا أو في طريقه إليها! »

ثم سأله المدير: «لعلك لم تخبر أحداً بذلك؟ لقد نسيت أن أوصيك في برقيتي بكتمان هذا النبأ. إنك تقول أن ميستر كان في دار لنلي. . ألم تخبره بنبأ عودة الدقاق؟ »

ـ كلا يا سيدي! وفي أثناء سفري في القطار أسفت على أني لم أخبره. فقد كنت أود لو أرى أثر هذا النبأ في نفسه!

وفكر والفورد هنيهة ثم قال: «إني أصارحك القول يا ومبوري بأني لو نشر هذا النبأ لتمنيت لو كنت محالاً إلى المعاش. بدلاً من شغل وظيفتي الحالية في اسكتلنديارد! »

فنظر آلان إلى رئيسه نظرة دهشة. واستطرد والفورد يقول: «إن (الدقاق) هو غول لندن. ويكفي مجرد افتراض عودته إلى لندن، لأن يجعل جميع مندوبي الصحف يتعقبونني! لاتنس يا ومبوري أنه قاتل، وإنه لا يهاب أحداً، ولا يحجم أمام أي خطر! إن نبأ عودة هذا المجرم إلى لندن سيثير عاصفة لا أقوى على مواجهتها! »

فابتسم آلان وقال: «أتظن أنه فوق مقدرتي! »

ـ كلا! إني أعلق آمالاً كبيرة عليك! وعلى الدكتور لوموند أيضاً. . هل قابلت الدكتور لوموند؟

فنظر إليه آلان متعجباً وقال: «كلا! من هو؟ »

فمد الكولونيل والفورد يده إلى كتاب كان على مكتبه وقال: «إنه أحد القليلين جداً من رجال البوليس السري الهواة الذين أعجبت بهم! وقد ألف منذ أربع عشرة سنة كتاباً عن الإجرام والمجرمين يستحق أن يدرس دون غيره من الكتب! وقد قضى سنوات في الهند والتبت، وأحسب أن وكيل وزارة الداخلية قد أنصف إذ أقنعه بقبول وظيفته! »

ـ أية وظيفة يا سيدي؟

ـ وظيفة طبيب البوليس لقسم «ر R » الذي هو منطقة عملك الجديدة. إنكما تتعرفان حي بتفورد في وقت واحد!

فتصفح آلان ومبوري الكتاب وقال: «أحسب أنه أكبر من أن يشغل مثل هذه الوظيفة! »

فضحك والفورد وقال: «لقد قضى حياته يؤدي أعمالاً غير ذات شأن. . أتحب أن

تراه؟ إنه الآن مع كبير الكونستبلات!»

ثم ضغط الجرس طالباً حاجبه، فلما دخل هذا عليهما، قال له: «ادع الدكتور لوموند إلى هنا فوراً».

وقال له ومبوري: «أتظن أنه سيساعدنا على ضبط الدقاق يا سيدي؟»

ـ إني أؤمل ذلك

ثم فتح الباب، ودلف إلى الغرفة رجل طويل القامة، منحني الظهر قليلاً وقدر ألان ومبوري سنة بما يزيد قليلاً على خمسين سنة. وقد وخط الشيب شعره. وكان له شارب صغير تدلى على فمه، وعينان زرقاوان براقتان تشعان بالعطف! وكان يرتدي بدلة سيئة الحياكة، وقبعة من اللباد من طراز قديم!

وقال له والفورد: «إني أعرفك بالمفتش ومبوري الذي سيشرف على قسم ر R».

وعندئذ صافح الدكتور لوموند ألان بقوة. ثم جلس، وأخذ في حديث مستفيض عن أجناس البشر وقبائل التبت... وكان يتكلم بسرعة وحماسة. وانتهز ألان هذه الفرصة فخرج من الغرفة!

وبعد ساعة حين كان خارجاً من اسكتلانديارد صادف الكولونيل والفورد خارجاً من غرفته فمشى معه، وقال له هذا: «أجل! لقد تخلصت من حديث الدكتور! لولا أنه بارع لكان مملاً حقاً. لقد سبب لي صداعاً»

ثم قال بغتة: «هل ستترك قضية سرقة اللآلىء إلى بيرتون؟ أعني طبعاً لآلىء اللادي دارنلي.. ألم تجد دليلاً جديداً؟» فأجاب ومبوري قائلاً «كلا ياسيدي!». وكان قد نسي تلك القضية أو كاد ينساها في غمار تفكيره في مهمته الكبرى الخاصة بالدقاق!

وقال له الكولونيل عابساً: «لقد عجبت للمصادفة التي جعلتك تقصد إلى قرية آل لنلي لتمضية إجازتك.. فالشاب لنلي كان مدعواً لدى اللادي دارنلي في الليلة التي حدثت فيها السرقة.. وأنا لاأعني بذلك أن له شأناً بهذه السرقة ولكن بودي لو استطعنا كشف سر هذه الجريمة. فإن اللادي دارنلي لها أصدقاء كثيرون بين الوزراء في هوايت هول لايميلون إليّ، وأنا كل يوم وآخر أتسلم خطاباً من وزير الداخلية يسألني فيه عما تم في هذه المسألة!»

ثم مضى ألان ومبوري في طريقه وقد انتابه القلق! لقد كان يعرفه إن جوني كان بدار اللادي دارنلي في الليلة التي وقعت فيها السرقة، ولكنه لم يكن قد ربط في ذهنه بين الأمرين. ولم يكن هناك داع للارتياب فيه! ولما سار فوق جسر وستمنستر استعاد في ذهنه

ذلك الحديث الوجيز الذي دار بينه وبين ماري . .

ما كان أجملها في تلك الساعة! لقد حاول أن يقصر فكره عليها، ولكنه على الرغم منه كان يعود به الفكر إلى جوني لنلي . !

لكن كيف تتجه الشبهات إلى ذلك الشاب؟ لقد أفلس آل لنلي حقاً، وماري نفسها مستاءة من اختلاط أخيها بأصحاب السوء . . وهناك شيء آخر قالته أثناء حديثها معه بالحديقة، هو أن جوني يكسب مالاً كثيراً . . وكانت فخورة بذلك!

ثم رد ألان على نفسه قائلاً : «هذا هراء! إن جوني لا يمكن أن يكون سارق اللآلىء!»

وفي صباح اليوم التالي سلم جميع الأوراق الخاصة بهذه القضية إلى المفتش بيرتون . . ثم خرج من اسكتلانديارد وقد أزاح عن كاهله ذلك العبء الثقيل!

وفي الأسبوع التالي، كانت لدى ألان شواغل كثيرة . . كانت له معرفة قليلة بحي بتفورد وبالأشخاص البارزين فيه . وقد صادف الطبيب الاسكتلندي ـ الدكتور لوموند ـ مرة أو مرتين ، ولم يكلمه إلا قليلاً . . فقد كان كلاهما مشغولاً بعمله الجديد!

ولم ترسل ماري أي خطاب إليه كما كان يتوقع منها! ولم يكن يدري أنها قد انتقلت إلى الحي الذي يعمل به حتى صادفها يوماً راكبة سيارة مأجورة، ولوحت له بيدها . وبعدئذ كلف أحد مرؤوسيه أن يعرف مكان إقامتها مع أخيها، وكان ذلك أمراً يسيراً . وسرعان ما علم أنهما اتخذا لنفسيهما مسكناً في دار حديثة بالقرب من طريق مالباس . وهي دار يسكنها رؤساء العمال . وما أعظم الفرق بينها وبين دار آل لنلي الكبيرة الفسيحة الأرجاء!

ورأى أن اللياقة تحول بينه وبين زيارتها في مسكنها الجديد، وقد سر بذلك شخص واحد على الأقل!

* * *

قال جوني لأخته وقد بدا عليه المرح : «لقد رأيت صاحبك الشرطي صباح اليوم!»

فقالت له بدهشة : «صاحبي الشرطي؟! من تعني؟»

ـ أعني ومبوري . . نحن نسمى هؤلاء الشرطة «بالمشغولين» . . وقد رأيته مشغولاً حقاً . . لعلك تسألين عن معنى كلمة مشغول . إنها الاسم الذي يطلقه اللصوص على رجال البوليس السري!

فبدأ على ملامحها الكدر وقالت له: «تقول نحن نسميهم بالمشغولين! لعلك تقصد هم يسمونهم لا نحن؟»

فقال لها: «لافرق بين هم ونحن.. إننا جميعاً لصوص في قرارة نفوسنا سواء منا التاجر الثري أو العامل الفقير!

فلم ترد أن تسترسل معه في هذا الحديث وقالت له: «أين رأيت ألان؟ اليوم؟»

فقال لها بغضب: «لماذا تذكرينه باسمه الأول مجرداً؟ إنه شرطي لا أكثر لكنك تذكرينه كما لو كان نداً لنا من الوجهة الاجتماعية!»

وكانا جالسين إلى مائدة الطعام يتناولان غداءهما فابتسمت له ماري.. وقطعت رغيفاً إلى أربع قطع، ثم قالت له:

ـ إن الرجل الذي يقطن المسكن المواجه لمسكننا يعمل سباكاً. والذين يسكنون فوقنا عائلهم حارس بالسكة الحديدية. وهو يعول ستة أولاد، منهم أربع بنات!

فتململ في كرسيه وقال: «إننا هنا مؤقتاً! أم تحسبيننا سنعيش في هذا الجحر إلى آخر حياتنا؟ سوف يأتي يوم أشتري فيه دار لنلي ونعود إليها!»

فسألته بهدوء: «لكن من أين تأتي بالمال اللازم لذلك؟»

فأجابها: «سأشتريها بالمال الذي أكسبه! وأيا كان الأمر فليس ومبوري بالرجل الذي أريد أن تعرفيه! وقد كنت أتحدث عنه مع موريس صباح اليوم فاتفق معي على أننا يحسن بنا ألا نعرفه!»

فقالت له: «هل هذا رأي موريس ميستر أيضاً؟ إذن.. سأبقى على صداقة ألان. وأنا آسفة إذا كان هذا لا يرضيك أو لايرضي موريس. لكني لا أستطيع غير ذلك»

فقال لها ساخراً: «لقد كنت أنا أيضاً أميل إلى خادمك ومع ذلك طردته؟»

فهزت ماري رأسها استنكاراً وقالك: «إن ألان ليس خادمك.. قد تحسب أن ذوقي منحط، ولكن ألان في نظري مثال السيد المهذب.. والانسان في هذه الحياة لايصادف كثيراً من السادة المهذبين!»

وأراد أن يقول شيئاً، ولكنه آثر الصمت، وترك الموضوع إلى فرصة أخرى!

وكان على ماري أن تبدأ حياتها الجديدة في اليوم التالي، وقد شغلتها هذه الفكرة،

لكنها كلما اقترب وقت التنفيذ كانت يتملكها خوف لاتدري كنهه!

وقد استيقظ جوني من النوم حين استعدت هي للخروج، فقال لها: «إذن ستصبحين من الطبقة العاملة؟ إن هذا شائق حقاً! وما كنت لأدعك تذهبين لولا . . »

ثم سكت، فسألته: «لولا ماذا؟!»

وكانت قد دهشت لموافقته على قبول تلك الوظيفة وحثه إياها على قبولها غير أنه لم يجب عند سؤالها وإنما قال لها بلطف:

ـ سأكون دائماً على مقربة منك وعيني عليك ساهرة!

وبعد دقائق، كانت تمشي في طرق ملتوية حتى وصلت إلى «فلاندرزلين» . . ولم يكن لهذه الجهة مثيل في القبح. ولكن بيت ميستر كان يختلف عن البيوت الأخرى، وكان متخلفاً قليلاً عن الشارع، ويحيط به سور مرتفع، له باب أسود واحد يؤدي إلى ردهة صغيرة قامت وراءها دار عتيقة. وبهذه الدار كان مسكن المحامي ومكتبه معاً!

وقادتها امرأة عجوز فوق الدرج، وفتحت باباً ثقيلاً، وأدخلتها جناحاً وصلت منه إلى غرفة استقبال فسيحة، وكانت الدار فيما مضى لتاجر موسر من تجار المدينة حين كانوا يسكنون تلك الدور قبل أن تصبح مثوى للفقراء والمجرمين!

وكانت جدران تلك القاعة مزينة برسوم من صنع رسامين مشهورين، وقد لفت نظر ماري معزف بيانو ضخم في ركن بالغرفة، فنظرت إليه ملياً ثم قالت للمرأة العجوز:

ـ أيعزف المستر سيستر على هذا البيانو؟

ـ أجل! وهو شغوف بالموسيقى!

ويتفرع من تلك القاعة غرفة أخرى صغيرة لاباب لها، ويبدو أن المحامي يتخذها مكتباً له فقد كانت هناك منضدة عليها آلة كاتبة، وعلب كثيرة مملوءة بالأضابير الدوسيهات والسجلات!

ولم تكد ماري تنظر حولها لترى ذلك المكان، حتى فتح الباب وجاء موريس ميستر مبتسماً متلطفاً، وتقدم نحوها فأمسك يديها بكلتا يديه وقال لها:

ـ يا عزيزتي ماري . . ما أشد سروري بقدومك!

فقالت له: «إنني لم آت إليك في زيارة . . وإنما جئت للعمل!»

وجذبت يديها من يديه! وعجبت إذا تلقاها هكذا بغير كلفة. وشعرت بالحيرة

والقلق. وأخذت تسائل نفسها عن كنه علاقة هذا المحامي بأسرتها. وقالت لنفسها أخيراً: «لقد عرفني منذ طفولتي، فمن الحماقة أن أتلقى عطفه هذا بتأويل سيء!»

ثم قال لها: «يا عزيزتي ماري.. عندي عمل كثير تؤدينه!»

ونظر حوله وكأنه يبحث عما يشغلها به... ثم قال لها: «أيمكنك الكتابة على الآلة الكاتبة؟»

وكان ينتظر منها أن تجيب بالنفي، ولذلك عجب حين ردت قائلة

ـ لقد كانت لي آلة كاتبة منذ كنت في الثانية عشرة من عمري.. جاءني بها أبي لأتسلى بها!

ورأى موريس في ذلك مخرجاً له من حيرته! إنه في الواقع لم يكن جاداً حين عرض عليها أن تعمل في مكتبه، ولم يكن يتوقع منها القبول، حتى زار دارها ورأى تلك الطفلة المدللة قد أصبحت فتاة كاملة النمو!

ثم قال لها: «سأعطيك مستنداً لتنسخيه!»

وأخذ يبحث بين أوراقه حتى عثر على وثيقة ضخمة بريئة النصوص.. ذلك لأن عملاء موريس ميستر كانوا من طراز خاص. وقد اعتاد هو ألا يدع يده اليمنى تعلم ما فعلته يده اليسرى.. ولذلك حرص على ألا يدع هذه الفتاة تطلع على أي شيء من أسرار العمل!

وألقت ماري نظرة على ذلك المستند ثم سألها: «مارأيك في كل هذا؟ أرجو منك أن تجلسي يا عزيزتي!»

ـ رأيي في كل هذا؟ إنك تعيش في جهة مخيفة يا موريس!

ـ إني لم أخلق هذه الجهة، وإنما وجدتها كما هي! هل أنت مرتاحة إلى العمل هنا؟

فأومأت برأسها موافقة وقالت: «أظن ذلك! إن مما يدعو إلى الطمأنينة أن أعمل لدى شخص أعرفه. ثم إن جوني سيكون على مقربة مني. وقد ذكر لي أني سأراه هنا كثيراً!»

ـ هل قال لك ذلك؟ في ساعات العمل طبعاً؟!

ـ لست أدري ماهي ساعات العمل هنا. ولكن يسرني أن أرى جوني هنا كثيراً! وأنا في الحق مرتاحة إلى هذا العمل، لأنك شفيق بي، وقد عرفتك منذ وقت طويل.. ولاشك أن من دواعي الفزع أن تعمل فتاة لدى رجل لاتعرفه ولايكون لها أخ ينتظرها عند الباب ليوصلها إلى بيتها!

وفي خلال ذلك لم يحول موريس بصره عنها! لقد كانت أجمل مما حسب! ولها ذلك

النوع من الفتنة البريئة الذي يستهويه تماماً! كانت أكثر سمرة من جوندا ملتون ولكنها أرق منها! ولها روح جذابة، وعقل واع وراء عينيها النجلاوين! وبها عاطفة لم تتحرك بعد، ونار خامدة تنتظر أن توقد.. وشعر بارتباكها من نظرته إليها، فبادر إلى إزالة كل شك في نفسها قائلاً: «يحسن بي أن أريك هذا الدار!»

ثم قادها خلال ذلك البيت العتيق، ووقف متردداً أمام باب غرفة بالطابق الأعلى، ثم وضع المفتاح في ثقب القفل وفتح الباب. ونظرت ماري أمامها فرأت غرفة لم تكن تتوقع وجودها في هذه الدار العتيقة الأثاث؟ فقد كان أثاث تلك الغرفة فاخراً برغم التراب الذي يغطيه. وبدا لها أنها غرفة نوم واستقبال معاً، وهناك ستائر كثيفة من المخمل لتقسيمها، وعلى الأرض بساط سميك. وعلى الجدران صور فاخرة أحسن اختيارها. كل ما في الغرفة يدل على حسن الذوق والترف!

وعندئذ صاحت قائلة: «يالها من غرفة جميلة!»

ونظر هو عابساً إلى عش الغرام الذي كان مثوى جوندا ملتون قبل أن تقع مأساتها، ثم قال لها: «أجل! إنها غرفة جميلة.. إنها إذا نظفت جيداً تصبح جديرة بسكنى أميرة.. وقد اعتزمت يا عزيزتي أن أضعها تحت تصرفك!»

فحملقت فيه متعجبة وقالت: «تحت تصرفي أنا؟! هذا غير معقول يا موريس! إنك تعرف أني أعيش مع أخي جوني... ولا أستطيع أن أسكن هنا بأي حال!»

- مع جوني؟ أجل! أجل! ولكنك قد تضطرين ليلة ما إلى البقاء هنا لكثرة العمل.. وقد يكون جوني مسافراً.. وأنا لا أحب أن تبقي وحيدة في ذلك المسكن الكريه!»

ثم أغلق الباب وتبعها إلى الطابق الأدنى. وقال لها بغير اكتراث: «أيا كان الأمر فإن لك تمام الحرية.. وها هي ذي الغرفة حاضرة إذا احتجت إليها!»

ولم تنبس الفتاة بكلمة، إذ كان فكرها مشغولاً ببعض الخواطر! إن أحداً كان يسكن هذه الغرفة لاشك في ذلك. وأكبر الظن أن امرأة كانت تسكنها! وشعرت ماري بشيء من القلق لهذه الخاطرة. ولم تكن تدري شيئاً عن موريس وحياته الخاصة. وإنما تذكرت أن جوني أشار مرة في حديث عنه إلى مغامرة غرامية له، ولكنها لم تسأل عنها يومذاك!

وأخيراً، تذكرت ما سمعته عن جوندا ملتون.. وقد أفزعها ذلك كثيراً، فهذه المرأة كانت أخت أحد المجرمين! وشعرت برعدة تسرى في جسمها، إذ عادت بذهنها إلى تلك الغرفة الفاخرة التي تحوي شبح غرام مات!

ولما جلست إلى المنضدة التي عليها الآلة الكاتبة، خيل إليها أنها ترى أمامها وجهاً أبيض بان على ملامحه الألم والعذاب، فنظرت حولها خائفة، ولكن الغرفة كانت خالية، ثم سمعت على مقربة منها صوت أحد ينشد أغنية رقيقة!

إن موريس ميستر لم يكن يؤمن بالأشباح!

* * *

بعد ظهر ذلك اليوم الذي ذهبت فيه ماري لنلي إلى بيت ميستر، وصلت الباخرة أولمبيك إلى ميناء سوثهامبتون. وكان رجلا البوليس السري اللذان ركبا تلك الباخرة من شربورج وفحصا شخصيات الركاب جميعاً، هما أول من نزل إلى البر، وقد وقفا عن أسفل السلم. وانتظرا طويلاً حتى تم فحص جوازات السفر، ثم أخذ سيل الركاب يتدفق إلى البر!

لقد كانا يبحثان عن لص سرق أموالاً من أحد البنوك وهرب إلى نيويورك!

ورأى أحدهما بغتة وجهاً لم يكونا قد رأياه بالباخرة... فقد ظهر عند جانب الباخرة رجل متوسط القامة، له لحية صغيرة مدببة وشارب أسود وأخذ يمشي ببطء! ولحظ ذلك رجل البوليس الآخر، فتبادل النظرات مع زميله، وبقيا في مكانهما حتى إذا وصل ذلك الرجل إلى رصيف الميناء اقترب منه أولهما وقال له: «معذرة ياسيدي! . إني لم أرك بالباخرة!»

فنظر إليه الرجل ذو اللحية المدببة نظرة فاحصة وقال له: «هل أنا مسئول عن عماك؟»

واستطرد رجل البوليس السري فقال له: «هل لي أن أطلع على جواز سفرك؟»

فتردد الرجل ذو اللحية المدببة هنيهة، ثم أخرج من جيبب داخلي حافظة نقوده، وبدلا من أن يخرج منها جواز سفره، أخذ منها بطاقة كتب عليها: «المفتش المركزي بليس.. اسكتلانديارد.. ملحق بالسفارة البريطانية في وشنطون»

ثم ناول رجل البوليس السري تلك البطاقة، فلما قرأ ما فيها قال له: «معذرة يا سيدي! إني لم أعرفك يا مستر بليس فإنك حين غادرت اسكتلانديارد لم تكن لك لحية!»

فأخذ بليس البطاقة منه وأعادها إلى جيبه وقال له بغلظة: «عمن تبحث؟»

فأوضح له رجل البوليس الثاني مهمته وزميله، وعندئذ قال بليس: «إنه لم يكن بالباخرة. ويمكنني آن أؤكد لك ذلك!». ثم تركهما وانصرف. ولم يحمل حقيبته إلى مكتب الجمارك وإنما وضعها بين قدميه ووقف مسنداً ظهره إلى جدار ذلك المكتب، وأخذ يراقب المسافرين وهم ينزلون من السفينة. ولم يلبث قليلاً حتى رأى الغادة التي كان يترقبها!



«ولما جلست ماري إلى المنضدة، خيل إليها أنها ترى أمامها وجهاً أبيض»

كانت رشيقة القد، نحيلة القوام، بادية البراعة، والجرأة، وقد أدرك بليس هذه الصفة بيها من أول نظرة ولم يغير رأيه هذا بعد ذلك. وكانت بشرتها صافية، وعيناها تشعان بالخبرة والتحدي. فها هنا إذن فتاة لايستهان بها ولايمكن خداعها. إنها ثمرة حية من ثمار العصر الحديث. وكانت تلبس ثياباً فاخرة. ولعلها تغالي في ذلك قليلاً. وكانت إحدى يديها البيضاوين تسطع بالماس. وفي شحمتي أذنيها قرطان بهما حجران كريمان كبيرا الحجم. ولما مرت أمامه شمت خياشيمه الحساسة رائحة عطرية غريبة عليه!

وكانت قد ركبت معه الباخرة نفسها من «شربورج». ثم تبعها إلى مكتب الجمارك ورآها تشق طريقها وسط أكداس من الأمتعة تحت قسم بحرف (م . .) وتم فحص حقيبته هو بسرعة. ثم أعطاها أحد الحمالين وكلفه أن يجد له مقعداً بالقطار المنتظر، وبعدئذ عاد إلى حيث كانت الغادة الحسناء قد وقفت بين جماعة من الركاب وهي تشير لموظف الجمارك إلى متاعها!

وكأنما شعرت بأن بليس يراقبها، فنظرت إليه، وخيل إليه وأن وجهها ارتسمت عليه لمحة خاطفة من الدهشة أو الخوف. ولما أدارت بصرها نحوه مرة أخرى، اقترب منها حتى صار أمامها وجهاً لوجه، ثم قال لها: «ألست السيدة ملتون؟»

فنظرت إليه نظرة تدل على القلق بلا مراء، وقالت له: «هذا اسمي بالتأكيد! لكني لا أعرف من أنت!»

فقال لها: «إني اسمي بليس . . المفتش المركزي باسكتلانديارد!»

ولحظ أن الدم قد غاض من وجهها، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها وقالت له:

ـ هذا شائق حقاً! وماذا يمكنني أن أعمله للمفتش المركزي بليس باسكتلانديارد؟

وكانت كل كلمة من كلماتها بمثابة طلقة مسدس! فلا ريب أنها كانت تتحداه!

فقال لها: «أريد أن أرى جواز سفرك!»

فأخرجت جواز سفرها من حقيبة يدها، وأعطته إياه وهي صامتة. وأخذ هو يقلب صفحاته ويفحص الأختام المطبوعة عليها، ثم قال لها: «لقد كنت في انجلترا حديثاً؟»

فقال في غير اكتراث: «نعم كنت هنا في الأسبوع الماضي. ثم عدت إلى باريس لبعض شؤوني الخاصة. ومن هناك عدت من طريق شربورج . . لقد كنت تواقه لأن أسمع أمريكيين يتكلمون!»

وكانت تتحدث بلهجة أهالي الولايات الجنوبية في أمريكا وفي نظرتها إليه مايدل على

الحيرة أكثر مما يدل على الخوف. وكأنها كانت تسائل نفسها: «متى وأين رأيت بليس هذا من قبل؟»

ومضى هو يفحص إشارات السفر قائلاً: «سيدني. جنوا. دومودوسولا.. إنك رحالة يا سيدتي.. ولكنك لست سريعة الانتقال مثل زوجك!»

فقالت له وهي تبتسم: «ليس لدي متسع من الوقت لكي أقص عليك تاريخ حياتي أو تاريخ أسفاري. ولكن لعلك كنت تريد لقائي لأمر أهم من ذلك؟»

فهز بليس رأسه نفياً وقال لها: «لا شأن لي بك يا سيدتي! ولكني آمل أن ألقى زوجك قريباً!».

فقطبت جبينها وقالت: «أتريد أن تنتقل إلى الجنة؟ ألا تعلم أن أرثر قد مات!»

فقال لها: «ليست الجنة هي المكان الذي ألقاه فيه!» ثم أعاد إليها جواز السفر، ومضى في سبيله!

وتبعته هي بنظرها حتى غاب عنها، ثم تنهدت، واستدارت لتكلم موظف الجمارك قائلة لنفسها: «بليس؟! لاريب أن الأبواب عليها رقابة! ترى هل وصل أرثر إلى انجلترا؟»

لقد ارتاعت من هذه الفكرة. ذلك لأن كورا آن ملتون تحب زوجها الجبار الخطير الذي يقتل حباً في القتل، والذي أصبح الآن مشرداً على وجه الأرض، وأيدي الناس مبسوطة للإيقاع به، ومئات من رجال البوليس يجدون في أثره!

ولما سارت على رصيف الميناء، أخذت تفحص كل عربة من عربات القطار بشكل يدل على قلة الاكتراث حتى وجدت ضالتها أخيراً. فقد كان بليس جالساً في ركن عربة هناك، متظاهراً بالانهماك في قراءة إحدى الصحف!

وقالت لنفسها: «بليس؟ أين رأيت هذا الوجه من قبل؟ ولماذا ملأت رؤيته نفسي رعباً؟!»

ولما قصدت كورا آن ملتون إلى لندن في ذلك اليوم، كانت قلقة البال إلى حد بعيد!

* * *

بعد ظهر ذلك اليوم نفسه، توجه جوني لنلي إلى منزل ميستر.. وقد صدمته هناك رؤيته أخته وهي منهمكة في العمل على الآلة الكاتبة لأول مرة! وكأنه أدرك أخيراً حالة الفقر

التي آصبح فيها آل لنلي بعد العز القديم!

وكانت وحدها بالغرفة حين دخل، فابتسمت له وسط كتلة الرسائل التي إلى جوارها. وقال لها وهو يشير إلى الغرفة الجانبية التي يستقبل فيها المحامي خاصة عملائه: «هل ميستر هنا؟»

ثم استطرد قائلاً: «إنه عمل شاق عليك. أليس كذلك؟»

فضحكت من سؤاله هذا وقالت له: «بالعكس إنه عمل شائق يا جوني.. ولا داعي لأن تتكدر!»

فنظر إليها صامتاً وقد ساءه أن يراها مستخدمة! ثم طرق باب المكتب الخاص لميستر، فصاح هذا من الداخل: «من هناك؟»

وأدار جوني الأكرة، ولكن القفل كان مغلقاً من الداخل.. ثم سمع صوت خزانة تغلق، وفتح ميستر الباب بعد ذلك فدخل جوني وهو يتساءل: «أهناك سر؟»

فأجاب ميستر قائلاً: «كنت أفحص بعض اللآلىء... وبالطبع لا ينبغي للإنسان أن يعرض الأشياء المسروقة لأنظار الناس!»

فسأله جوني باهتمام: «ألم تتلق عرضاً بشأنها؟»

فأجاب: «سأرسلها الليلة إلى انتورب إن لم يجد جديد»

ثم فتح خزانة في ركن بالغرفة، وأخرج منها علبة مسطحة من الورق المقوى، وأزاح غطاءها فبدا صف من اللآلىء الفاخرة فوق قطعة من الديباج. وقال جوني وعيناه تلمعان: «إنها تساوي على الأقل عشرين ألف جنيه!»

فرد المحامي قائلاً: «بل تساوي على الأقل خمس سنوات في السجن مع الأشغال الشاقة. لست أخفي عليك يا جوني أنني خائف!»

فقال له: «ما الذي تخشاه؟ إن أحداً لايتصور أن الأستاذ ميستر المحامي المشهور يعمل على بيع اللآلىء التي سرقت من الِلادي دارنلي.. حقاً يا موريس: لو دخلت السجن لكنت موضع فرجة الناس. أيمكن أن تتصور باعة الصحف ينادون عليها وقد كتب عليها عنوان عريض بشأن القبض على الأستاذ موريس ميستر المحامي».

ولم تتحرك لذلك عضلة واحدة في وجه موريس وإنما قطب جبينه وقال: «هذا شائق! لم أكن أحسب أن لك قدرة على الخيال إلى هذا الحد!»

ثم وضع اللآلىء أمام الضوء، وأخذ يفحصها. وبعد أن انتهى من ذلك أعادها إلى العلبة وأغلق عليها غطاءها ثم قال له: «هل رأيت ماري؟»

فأومأ جوني برأسه وقال: «يؤلمني أن أراها تشتغل... ولكن لابأس! اسمع يا موريس.. إن عندي ما أقوله لك!»

وتطلع إليه ميستر متسائلاً، بينما واصل هو كلامه فقال:
ـ لقد كنت أفكر في هذا الأمر! إنك كنت تستخدم فتاة تدعى جوندا ملتون.. وقد انتحرت غرقاً.. أليس كذلك؟ لماذا انتحرت؟

وكان موريس ميستر يواجهه فلم يهتز بجسمه عصب. وإنما قال: «لقد قال المحلفون وقتئذ.»

لكن جوني قطع كلامه قائلاً: «أنا لاأسألك عن رأي المحلفين.. ولكني كونت لنفسي فكرة!»

ثم تقدم نحو المحامي ولمس كتفه وقال له وهو يؤكد كل كلمة: «اسمع إن ماري لنلي ليست مثل جوندا ملتون.. إنها ليست أخت قاتل هارب من وجه العدالة.. وأنا أتوقع أن تلقى منك معاملة خيراً مما لقيته جوندا ملتون أفاهم أنت ما أعنيه؟!»

فرد ميستر بصوت خافت: «لست أفهم ما تقوم!»

فقال له: «بل أعتقد إن فهمته حق الفهم.. وعلى كل حال أريد منك أن توقن بأنك ستلقى متاعب شديدة، إذا أصيبت ماري بأي سوء! إنهم يقولون عنك أنك تعيش في رعب دائم من الدقاق. ولكن، ثق بأنك إذا أصاب ماري أي أذى فلن يكون رعبك هذا شيئاً مذكوراً بجانب ما تتوقعه مني حينذاك!»

فخفض ميستر بصره لحظة، ثم سرعان ما استعاد رباطة جأشه وقال له: «هذه هستريا منك يا جوني.. لاشك أنك اليوم لاتبدي خير ما عندك من أدب! لقد قلت لك منذ أسبوع آن ذهنك لم ينضج بعد. وأنا الآن أعيد هذا الوصف على سمعك! من الذي يجرؤ على إيذاء ماري؟ أما الدقاق وأخته فقد ماتا وانتهى أمرهما!»

ثم أخذ علبة اللآلىء من فوق المنضدة ورفع غطاءها وأخذ يتأمل اللآلىء من جديد، وقال لصاحبه أخيراً: «إنك بوصفك لص جواهر...» ولم يكمل عبارته فقد طرق الباب في تلك اللحظة، فصاح ميستر قائلاً: «من هناك؟ وأجاب الطارق: «المفتش ومبوري!»

* * *

سارع موريس ميستر إلى وضع اللآلىء في الخزانة وإيصاد بابها عليها، ثم فتح الباب. . ورغم قوة أعصابه كان وجهه شاحباً، وكذلك جوني. وقد جاهد بدوره لإخفاء مابه من خوف، وصاح بمفتش البوليس حين دخل الغرفة: «هالو يا ومبوري. . يبدو أني لا أستطيع الخلاص منك!»
وضحك ضحكة مغتصبة!

ولم يفت مفتش البوليس ما بهما من خوف. وساءل نفسه: «ترى أي سر يخفيانه؟ إن ملامح وجه كل منهما قد ارتسم عليها الاعتراف بالذنب!»
ثم قال ومبوري: «لقد علمت أن لنلي هنا. . ولما كنت أريد أن ألقاه. .» فقال جوني متعجباً: «لماذا تريد أن تلقاني؟!»

وشعر ومبوري بأن ميستر يراقبه. وساءل نفسه: «أي سر يجمع بين هذين الرجلين؟ ولماذا عليهما الخوف رغم جهدهما في محاولة إخفائه؟!»

ثم نظر وراءهما فأبصر ماري جالسة على الآلة الكاتبة، غير شاعرة بالخطر المحدق بها، فشعر بقلبه يكاد يسقط من بين جنبيه! ثم التفت فجأة إلى جوني وقال له:
ـ أحسبك تعرف اللادي دارنلي. . أليس كذلك؟
فأومأ جوني لنلي موافقاً، بينما استطر ومبوري فقال:
ـ إنها منذ بضعة أسابيع فقدت عقداً قيماً من اللآلىء. وقد عهد إلي في بحث هذه المسألة!

فقال موريس دون قصد: «أنت؟!»

فأومأ ألان موافقاً وقال: «نعم. . وكنت أحسبك أنك تعلم ذلك، لأن الصحف ذكرته فيما نشرته عن التحقيق في تلك السرقة. على أني عهدت في بحث المسألة أخيراً إلى المفتش بيرتون. . وقد كتب إليّ اليوم لكي أستوضح نقطة صغيرة حيرته!»

وكانت ماري قد تركت الآلة الكاتبة وانضمت إليهم. ثم تساءل جوني لنلي قائلاً: «نقطة صغيرة حيرته؟. ماهي هذه النقطة؟»

فرد مفتش البوليس قائلاً: «إن بيرتون يريد أن يعرف الحافز الذي جعلك تصعد إلى غرفة اللادي دارنلي في تلك الليلة!»

فقال جوني على الفور: «إنني أوضحت ذلك في التحقيق بما فيه الكفاية!»

فقال له ومبوري موضحاً: «إنك عللت ذلك بأنك تركت قبعتك ومعطفك في الطابق الأول، ولكن المفتش بيرتون علم أن أحد الخدم رآك أثناء صعودك وأبلغك أن المعاطف والقبعات كلها بالطابق الأرضي!»

فأدار جوني لنلي بصره عنه وقال: «لست أذكر! لقد كنت أشعر بدوار في تلك الليلة. وقد هبطت الدرج تواً حين أدركت خطئي.. أم تراك تعني أني أدري أي شيء عن تلك السرقة؟»

وقد ارتعش صوته قليلاً وهو يقول هذه الجملة الأخيرة. فقال له ومبوري وهو يبتسم: «ليست هناك أية فكرة من هذا القبيل! ولكن علينا أن نجمع معلومات»

فقال جوني بعد أن تنفس الصعداء: «إنني لم أعلم بتلك السرقة إلا مما قرأته عنها في الصحف و..»

وهنا قاطعته ماري قائلة: «كلا يا جوني! إنك أخبرتني بوقوعها حين عودتك إلى المنزل في تلك الليلة!»

فنظر إليها جوني نظرة صارمة أسكتتها.. ثم قال لها وهو يزن كلماته: «أنا واثق يا عزيزتي بأني لم أذكر لك نبأ السرقة إلا بعد يومين، أي حين أحضرت إليك الصحيفة التي نشرتها. ولاشك أني بعد عودتي في تلك الليلة لم أكلمك قط، ذلك لأني لم أرك بعد عودتي إلا صباح اليوم التالي!»

وكان ألان يترقب ما ستقوله الفتاة، لكنها سكتت على الرغم منها. ولحظ أن الدم قد غاض من وجهها، وأن عينيها كانتا تنمان عن ألم! ثم قالت بعد لحظة:

ـ أجل يا جوني.. إني أذكر ذلك!

وساد الصمت قليلاً، ثم رفع ألان وجهه عن البساط الذي كان يتأمله ويده في جيب سترته، وقال:

ـ حسناً! أحسب أن بيرتون سيقنع بذلك.. وآسف لإزعاجكم!

ولم ينظر إلى الفتاة وإنما كان يتفرس في وجه جوني... ثم قال له: «لماذا لاتقوم برحلة إلى الخارج يا لنلي؟ يبدو لي أن صحتك ليست على ما يرام!»

فقال جوني بلهجة تدل على الاضطراب: «إني يطيب لي المقام في هذه البلاد.. أم تحسب نفسك طبيب الأسرة يا ومبوري!»

فسكت ألان لحظة ثم قال: «أجل! أحسب أن هذا الوصف ينطبق عليَّ!» ثم حياهم برأسه وخرج من غير أن ينطق بكلمة!

وكانت ماري قد عادت إلى الآلة الكاتبة، لكنها لم تستأنف الكتابة عليها. ثم أشار ميستر إلى جوني وقاده إلى الغرفة الداخلية وأغلق بابها. وبعدئذ قال له:
ـ لعلك قد فهمت ما يعنيه؟

فرد جوني بلهجة الغضب: «لست قارىء أفكار! حقاً إن لذلك الرجل وجهاً صفيقاً! تصور أنه ابن بستاني كنا نستخدمه!»

فقال له ميستر بشدة: «لو كنت مكانك لنسيت ذلك الآن! وإنما عليك أن تذكر شيئاً واحداً، هو أنك قد فضحت نفسك، وإنك منذ اليوم ستكون تحت المراقبة.. وهذا لايهمني لولا أني أنا أيضاً سأكون تحت المراقبة مثلك! وهذا شيء لايسر! وإنما أسائل نفسي هل يؤدي ومبوري واجبه ويتصل باسكتلانديارد؟ لو أنه فعل لصار موقفك حرجاً!»
ـ وأنت أيضاً.. إننا إما أن نقف معاً أو نسقط معاً! إنهم إذا عثروا على اللآلىء، فأين يجدونها؟ في خزانتك! ألم يخطر ذلك ببالك؟

فابتسم موريس ميستر ابتسامة خبيثة وقال له «أحسب أننا نغالي في الأمر! ولعلك على صواب! ولعلي الوحيد الذي في موقف خطر!»

ثم نظر إلى الخزانة وقال: «ليت تلك اللآلىء على بعد ألف ميل من هنا! إني لن آدهش إذا عاد ومبوري ومعه أمر بالتفتيش وإذا حدث ذلك ضعت لا محالة!»
ـ لماذا لاترسلها إلى انتورب بالبريد؟

فابتسم ميستر ابتسامة ازدراء وقال: «إذا كنت تحت الرقابة فهل يغفلون عن مكتب البريد؟ كلا! إن خير ما نعمله هو أن نخفي هذه اللآلىء المشئومة في مكان ما يوماً أو يومين!»

فأخذ جوني يقضم أطراف أظافره، وبان في وجهه القلق، ثم قال بغتة
ـ سآخذها إلى مسكني! هناك عدة أماكن يمكنني أن أخبها فيها!

ولو أنه نظر إلى موريس في تلك اللحظة لرأي على وجهه أمارات الارتياح وقد قال له هذا على الفور:
ـ هذه فكرة صائبة! إن ومبوري لا يخطر بباله أن يفتش مسكنك.. مراعاة لخاطر

ماري على الأقل!

ولم ينتظر حتى يستقر رأي صاحبه على ذلك، بل فتح الخزانة وأخرج منها العلبة وسلمها إليه. فوضعها جوني في أحد جيوبه الداخلية. وقال:
ـ سأضعها تحت سريري ثم أعيدها إليك في نهاية الأسبوع!

ولم يقف ليكلم ماري وهو خارج! وكان يشعر بالرضا لحمله تلك الجواهر التي جازف تلك المجازفة الخطيرة من أجلها!

ولما سار في شارع فلاندرزلين المزدحم، خرج رجل من زقاق فرعي هناك وتبعه حتى وصل إلى حي نارزهيل ورآهما الشرطي الواقف في نقطة حراسته هناك حين مرا على قيد خطوات منه، لكنه بالطبع لم يحفل بهما.. لأنه لم يكن يدري أن ذلك الرجل الأخير هو هنري آرثر ملتون المعروف باسم «الدقاق»!

* * *

أخذ موريس ميستر يذرع غرفته الخاصة رواحاً وجيئة، وقد شبك يديه خلف ظهره واستغرق في الفكر. وكان يفكر في شخصين اثنين: جون لنلي الذي غادر غرفته منذ قليل، وماري لنلي شقيقته التي تعمل سكرتيرة عنده!

وتذكر وعيد جوني له.. وكثيراً ما هدده هذا من قبل، فلم يكن ليعبأ بتهديده، لكنه في هذه المرة كان ينظر إلى الأمر من زاوية أخرى.. ولهذا صمم على تنفيذ فكرة خطرت بباله، ورأى في تنفيذها ما يحقق مآربه!

إن جونـي قد أكثر من زيارته في الأيام الأخيرة. وكان فيما مضى يراه سبباً للتسلية. ثم أصبح أداة نافعة في يده. أما الآن فقد بدأ يضجر منه ويعده عائقاً في سبيل بعض مقاصده!

ثم فتح الباب قليلاً، ونظر من خلال تلك الفتحة فرأى ماري جالسة مشغولة بعملها.. وكانت شمس الصباح قد بعثت أشعتها إلى تلك الغرفة الصغيرة، وتكونت منها هالة حول رأس الفتاة. ثم أدارت وجهها في اتجاهه وهي لا تدري أنه يراقبها، فراعه ما تبين له من ملاحة وجهها وبشرتها الرقراقة، وسره أن بدأ يشغل بها قلبه، ويرى فيها صيداً جديداً يطارده! على أن فكره اتجه به ثانية إلى أخيها جوني وتهديده إياه.. ثم استغرق في هذا التفكير

هناك وسيلة سهلة للخلاص منه ومن جعجعته ووعيده. . ومن اعتداده بنفسه، الذي هو آخطر صفاته كلها على موريس!

ومتى أزيح جوني من الطريق فقد ذللت صعاب كثيرة! ولن تكون ماري أشد استعصاء عليه من جوندا ملتون في بداية عهدها به!

ثم تذكر ميستر المفتش ومبوري. . فقطب جبينه! إن هذا المفتش عقبة من طراز اخر! فهو رجل ذو حنكة ودهاء، وليس من السهل معاداته ثم إن ماري معجبة به فيما يبدو! ولكن خطره من هذه الناحية لا يستحق كبير اهتمام. . فهي لا تنسى أن أباه كان بستانياً في دار أبيها، ولذلك لا يرجح أن تنظر إليه على أنها سيدته أكثر منها صديقة له!

وكانت منهمكة في عملها حين عبر ميستر الغرفة التي هي فيها في طريقه إلى السلم للصعود إلى ذلك المسكن الخاص الذي أراها إياه في الطابق الأعلى!

وحينما فتح باب المسكن أحسن رجفة، فقد تذكر جوندا ملتون وماتلا غرقها من تحقيق!

وقال لنفسه: «إن هذه الغرفة تحتاج إلى شيء من التزيين حتى تعود إلى جمالها السابق! نعم. . يجب تنظيفها وزخرفتها حتى تصبح صالحة للسكنى وجذابة كذلك!»

لكن ـ على فرض إزاحة جوني من الطريق ـ هل يسهل جذب ماري إلى هذه الغرفة؟

إن عليه أن يحاول ذلك. . ولكن مهمته الأولى هي إبعاد جوني وإرساله إلى مكان لا يستطيع فيه أي أذى!

وكان موريس بعيد النظر. . فهو لم يقترب من الفتاة أو يحدثها بعد ذلك الحوار الذي دار مع أخيها. وإنما ترك مهلة من الوقت تنقضي قبل أن يعود إليها. . وكانت لم تأكل طعام الفطور الثاني الذي أعد لها. وإنما وقفت إلى جانب النافذة تنظر إلى الشارع. فلما سمعت وقع خطاه ارتاعت، فقال لها: «ماذا بك يا عزيزتي؟»

إن موريس ميستر يستطيع عند الحاجة أن يبدي جانب الحنان الأبوي! وقد كانت هذه طريقته حين يريد إغواء فتاة بريئة!

فردت قائلة بلهجة تدل على الحزن: «لست أدري يا موريس. ولكني قلقة بشأن جوني واللآلىء!»

فتصنع الدهشة وقال لها: «اللآلىء؟! أتعنين لآلىء اللادي دارنلي؟»

فأومأت موافقة وقالت: «لماذا كذب جوني؟ لقد كان أول شيء قاله لي حين عاد إلى البيت تلك الليلة هو أن اللادي دارنلي قد فقدت لآلئها!»

فقال لها: «إن جوني لم يكن في طوره المعتاد! ولو كنت مكانك لما عنيت كثيراً بما قاله! ويبدو أن ذاكرته قد ضعفت في الأيام الأخيرة!»

فقالت: «ليس الأمر أمر ذاكرته! إنه يعلم حق العلم أنه أنبأني بتلك السرقة ليلة حدوثها. . ومحال أن يكون قد نسى ذلك الآن!»

ثم نظرت إليه نظرة قلق وسألته: «أتظن أنه . . »

ولكنها لم تتم الجملة. فقال لها: «أتعنين أنه يعلم شيئاً عن سر تلك السرقة؟ إن هذا غير معقول يا عزيزتي! كل ما هناك أنه الآن في قلق، فليس من اليسير أن يرى نفسه بغتة وقد أصبح فقيراً لا يملك شيئاً. وهو يا عزيزتي ليس له مثل عزيمتك وثباتك!»

فتنهدت الفتاة، وعادت إلى منضدتها حيث كان ينتظرها عدد من الرسائل لتكتب على الآلة الكاتبة. وأخذت تقلبها ثم قالت له بغتة: «من هو (الدقاق) يا موريس؟»

فارتاع وقال: «الدقاق؟!»

فقالت له: «أجل! إن هنا برقية قديمة وجدتها بين رسائلك وقد فاتك أن تفض غلافها!»

فاختطف الورقة من يدها! وكان قد انقضى ثلاثة أشهر على ورود تلك البرقية من مدينة «سيدني». وقد عرف من التوقيع الذي عليها أنها من محام كان وكيلاً له في أستراليا، وكانت موجزة وفيها مايلي:

«عرفت شخصية الرجل الذي انتشلت جثته من ميناء سيدني. . أما الرجل الآخر فالمعتقد أنه غادر أستراليا»

وكانت ماري ترمقه وهو يقرأ البرقية، فرأت وجهه قد شحب وسمعته يغمغم قائلاً:

ـ الدقاق! ألا يزال على قيد الحياة!

وكانت يده الممسكة بالبرقية ترتعش. وأراد أن يستر ما بنفسه من رعب، فتصنع الضحك وقال لها: «إنه عميل قديم لي! شخص يهمني أمره. . لكنه وغد. . بل أكثر من وغد! ».

ثم مزق البرقية، ورماها في سلة المهملات. وبعدئذ فاجأها بأن وضع ذراعه على كتفها وقال لها: «لو كنت مكانك يا ماري لما أزعجت نفسي بشأن جوني.. إنه في سن الطيش.. وأنا لست راضياً عنه وعن تصرفاته!»

ـ ولم ذلك يا موريس!

ـ لأنه يختلط بأصحاب السوء! وما كنت لأرضى عن مقابلتهم في هذا المكتب.. كما أني لا أرضى أبداً بأن تعرفيهم!

وكانت ذراعه لاتزال تحيط بكتفها، فتحركت قليلاً لتتخلص من تطويقها. ولم تشعر بخوف منه، ولكنها شعرت بحيرة واضطراب.. ثم ترك ذراعه تسقط وكأنه لم يقصد من تلك الحركة السابقة سوى إبداء عطفه الأبوي!

وقالت له: «ألا يمكنك أن تعاونه؟ إنه يستمع لنصيحتك!»

غير أنه في تلك اللحظة لم يكن يفكر في جوني بل انحصر فكره فيها هي نفسها! وكانت قد أمسكت بذراعيه متوسلة لينقذ أخاها من سوء سيرته. فشعر بقلبه وقد أسرعت دقاته. وقال لنفسه: «لو أن جوني تبع نصيحة ومبوري وسافر إلى الخارج باللآلىء، فماذا يكون من أمر ماري؟ إنه لن يصعب عليه بيع اللآلىء ليعيش بثمنها سنوات في الخارج!»

ثم ربت خد الفتاة بعطف وحنان وقال لها:

ـ سأرى ماذا يمكنني أن أعمله بشأن جوني.. فلا تشغلي بالك به! وكان له في مكتبه الخاص آلة كاتبة صغيرة. وقد مضى بعد ظهر ذلك اليوم في كتابة رسالة عليها!

عاد المفتش ومبوري إلى قسم البوليس الخاص بمنطقته في مساء ذلك اليوم، فوجد خطاباً باسمه ينتظره. وكان الخطاب مكتوباً على الآلة الكاتبة وليس عليه توقيع، وقد جاء به رسول خاص. وقرأ فيه ومبوري مايلي:

«إن لآلىء اللادي دارنلي قد سرقها جون لنلي الذي يسكن البيت رقم ٣٧ في مالباس مانشنز وهي الآن في علبة من الورق المقوّى تحت سريره»

وشعر ألان ومبوري بأن قلبه يكاد يسقط من بين جنبيه.. ثم استغرق في تفكير عميق. وحينما رفع رأسه من إطراقه الطويل، كان رأيه قد استقر على إجراء معين.. وصح عزمه على أن يؤدي واجبه كاملاً.. ثم ليكن بعد ذلك ما يكون!

* * *

كان ومبوري يعلم أنه لن يخالف النظام إذا تجاهل هذا الخطاب العاطل من التوقيع. فالخطابات التي من هذا القبيل كثيراً ما تهملها أقسام البوليس إلا إذا طابقت المعلومات التي بها معلومات سابقة، أو إذا أيدت شبهات قائمة وحينئذ لابد من تحقيقها!

وأوى إلى غرفته ليفكر في هدوء لعله يهتدي إلى حل لايخالف ضميره! وقد كان من اليسير عليه لوشاء أن يعهد في التحقيق إلى ضابط آخر، ولكنه عد هذا جبناً منه وتهرباً من الواجب!

وكانت بباب غرفته نافذة صغيرة متحركة يطل منها على القاعة الكبرى. وفيما هو مشغول بتلك المشكلة رأى هناك شخصاً منحني القامة، فقام من مكتبه وأشار إلى الدكتور لوموند.. ولم يدر ما الذي حفزه إلى أن يجعل هذا الرجل موضع ثقته برغم جهله قواعد العمل بالبوليس!

ونظر إليه الدكتور لوموند وقال له:

- إني أشعر بأن شيئاً ما يضايقك يا ومبوري.. أليس كذلك؟

فأجاب قائلاً: «نعم.. لقد صدق حدسك يادكتور». ثم أغلق الباب وراءه، وقدم للطبيب كرسياً، وشرح له المشكلة في إيجاز

فقال له الدكتور لوموند: «إن ما تقوله يشبه المأساة الروائية! ويبدو لي أن ليس أمامك سوى طريق واحد: هو أن تعامل جون لنلي كما لو كان أي شخص آخر لاتعرفه. وانس أنه آخو الآنسة ماري.. وأحسب أن هذا لب المشكلة عندك؟!»

فقال ومبوري: «إن هذا هو الرأي الذي أميل إليه حقاً!»

وأخرج الطبيب الشيخ علبة سجاير فضية من جيبه وأخذ يلف سيجارة ببطء، ثم غمغم قائلاً: «أليس جون لنلي صديق ميستر من قديم؟»

ولحظ ومبوري أنه ضغط اسم ميستر وهو ينطبق به، فسأله: «أتعرفه؟»

فهز الدكتور رأسه نفياً وقاله: «إنني في خلال عملي أسمع قصصاً محلية كثيرة، وأحسب أن ميستر هذا ليس إلا قصة منها! وهو في اعتقادي الرجل الذي يلفت النظر في دبتفورد.. وأنا أتوقع لقاءه!»

فعاد يسأله : «ماذا يريبك في صداقة جون لنلي له؟». ولم يزد الدكتور لوموند على آن هز رأسه قائلاً : «لاشيء!». ولكن الواقع أن ومبوري نفسه كان يدرك كل ما بتلك الصداقة من شر!

إن ميستر أكثر من قصة! إنه حقيقة سيئة لاشك فيها! وهو واسع الاطلاع على قانون العقوبات.. وإنه ليعرف ما فيه من ثغرات ضيقة، وكثيراً ما ينفذ منها ليبرىء عملاءه المجرمين. والناس يتساءلون كيف يستطيع اللصوص الفقراء أن يدفعوا له أتعابه خصوصاً إذا كان مآلهم السجن؟! ويقول بعضهم : إنه يقبض أتعابه من أثمان المسروقات التي يعرف مخابئها بحكم اتصاله بالمتهمين ثم لايلبث حتى يستحوذ عليها.. وكثيراً ما يلجأ لصوص الجواهر إلى بيته في (فلاندزلين) في أثناء فرارهم، ويتركون لديه مسروقاتهم. لقد كان يؤدي للصوص مهمة (البنك) من بعض الوجوه!

ثم قال الدكتور لوموند: «هل لي أن أطلع على الخطاب الذي تسلمته الآن؟». فمد ومبوري يده بالخطاب إليه، فتناوله هذا، ووضعه أمام المصباح لحظة ثم قال :

ـ إن الذي كتبه هاو، وليس محترفاً الكتابة على الآلة الكاتبة. ومن السهل معرفة ذلك من الفراغ الذي بين الكلمات!

وفكر هنيهة ثم قال : «أتستبعد أن يكون ميستر نفسه هو كاتب هذا الخطاب؟»

فضحك ومبوري وقال: «إن هذه الفكرة لم تخطر ببالي قط.. ولكن كيف يكتب ميستر هذا الخطاب ضد صديقه الحميم؟ لنفرض أنه مشترك في سرقة اللآلىء فهل يعهد بها إلى جون لنلي ثم ينبىء البوليس بموضعها وبأنه صديق لص؟»

وكان الدكتور لوموند لايزال يفحص رقعة الورق عابساً ثم قال :

ـ هل هناك داع يدعو ميستر إلى أن يزيح جون لنلي من طريقه؟

فأجاب ومبوري قائلاً : «لا أحسب أن لديه أي داع لذلك! إنك تغالي يا دكتور! ولعل الذي كتب هذا الخطاب هو أحد أعداء لنلي.. وما أسرع ما يعادي الناس!»

فغمغم الدكتور باسم ميستر ثم قال: «لعلك تحصل يوماً على نموذج من ورق الآلة الكاتبة الذي بمكتب ميستر.. وعلى نموذج من الكتابة بها أيضاً!»

ـ ولكن.. لماذا يريد ميستر أن يزيح لنلي من طريقه؟ إني لا أجد أي سبب لذلك.. إنه صديق قديم لأسرة لنلي وليس يبعد أنه لقى إهانة من جون لنلي.. ولكن هذا الشاب قد

اعتاد إهانة الناس! وليس هذا سبباً لأن يبعث به إلى السجن مع الأشغال الشاقة!

فقال الدكتور لوموند له: «إني لا أتحول عن رأيي يا صديقي! إن ميستر يريد إزاحة جون لنلي من طريقه.. وإذا كانت آرائي تبدو شاذة أحياناً فإني على يقين من أنها رغم ذلك صائبة!»

ولما خرج الدكتور، ظل ومبوري على حيرته! غير أنه أدرك أن رأي لوموند في هذه المسألة جدير بالبحث.. فإن هذا الشيخ نابغة، وقد قرأ (ألان) جانباً من كتابه، وإذا كان قد مضى على تأليفه عشرون سنة فإنه لدقته يصلح للوقت الحاضر!

وفيما هو في حيرته هذه، دق جرس التليفون، وكان الكولونيل والفورد هم المتكلم قائلاً له:

ـ أهذا أنت يا ومبوري؟ أيمكنك أن تأتي إلى اسكتلانديارد؟ لقد وصلت إلى معلومات جديدة عن الرجل الذي كنا نتكلم عنه منذ أسبوع! وكان ألان ومبوري قد نسى أو كاد، وجود (الدقاق) وقد رأى الفرصة سانحة لأن يستشير والفورد فهو إلى كونه رئيساً شفيقاً له، كان نعم الصديق كذلك!

وبعد نصف ساعة، كان ومبوري في مكتب الكولونيل والفورد!

* * *

رجع جون لنلي إلى مسكنه وأغلق الباب وراءه، ثم خبأ العلبة التي بها اللآلىء تحت فراشه، وبعدئذ خرج ثانية ليزور أحد أصدقائه

ولما رجعت ماري إلى البيت وجدته خالياً، وكان برأسها صداع، ولكنه لم يكن شيئاً يذكر بجانب الألم النفساني الذي كانت تعانيه؟ وكان عسيراً عليها في هذه الحالة أن تجهز طعام عشائها القليل. وتذكرت أنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح، وما ذكرها بذلك إلا شعورها بالإعياء وهي تصعد درجات السلم في البيت!

وأكلت طعامها بغير شهية، ثم أخذت تحتسي فنجان شاي، وإذا بها تسمع مفتاحاً يدار في القفل، ثم ترى جوني داخلاً وقد امتقع وجهه إلى حد كبير، غير أنها كانت قد اعتادت تبدل أحواله فلم تسأله عما يكربه!

ولما جلس إلى المائدة، نظر إلى الطعام القليل الذي عليها، ثم قال:

ـ لقد ذهبت لتناول الشاي في دار آل هامبتون. . وإذا بهم يعاملونني وكأن بي برصاً، ناسين أننا طالما رحبنا بهم في دارنا!

وقد ساءها هذا النبأ، إذ كانت تحسب أولئك القوم من خير الأصدقاء لأبيها. وقالت له: «أتظن يا جوني أن فقرنا هو السبب في ذلك؟»

فزمجر قائلاً: «هذ هو الأساس! ولكني أشعر بأن هناك سبباً آخر!»

فأحست ألماً يخز قلبها! وقالت له: «أتظن أن لآلىء اللادي دارنلي لها دخل في ذلك؟»

فارتاع إذ سمع ذلك وقال لها: «لماذا تسألينني هذا السؤال؟ أجل! لقد كان للآلىء تلك العجوز الحمقاء دخل في ذلك. . إنهم لم يقولوا ذلك مباشرة ولكنهم لمحوا بذلك تلميحاً!»

ـ وهل لهذا التلميح سند من الحقيقة؟

وخيل إليها وهي تقول ذلك أنه صادر عن أحد غيرها! فرد عليها جوني وقد دار بصره عنها:

ـ لست أدري ماذا تقصدين!

وشعرت هي كأن الغرفة تدور حولها، حتى لقد أمسكت بطرف المائدة خشية أن تقع على الأرض! ثم سمعته يقول لها: «رباه! أتراك تحسبينني لصاً؟»

فقالت له: «انظر إليّ يا جوني! يجب أن تصدقني الخبر! ألا تعرف شيئاً عن سر تلك السرقة؟»

وعاد فأدار بصره عنها وقال: «كل ما أعرفه هو أن تلك اللآلىء قد فقدت!»

ثم صاح بها بغضب مفتعل: «كيف تجرئين يا ماري أن تسأليني هكذا وكأني لص تحققين معه؟ إن هذا نتيجة معرفتك لشخص من طراز ومبوري ذلك الشرطي. . ابن بستانينا القديم!»

فقالت له وقد شحب وجهها وغاض الدم من شفتيها:

ـ أجبني أولاً: هل سرقت لآلىء اللادي دارنلي؟ وفي هذه اللحظة سمعا طرقا على الباب، فتبادلا نظرة خاطفة، وهمس جوني في قلق: «ماهذا؟»

فقالت له: «لست آدري، وسأفتح لأرى من الطارق!»

وقامت تجر قدميها، وقد خيل إليها أنها مشرفة على إغماء. ولما فتحت الباب رآت أمامها آلاڻ ومبوري وفي نظرته صرامة لم ترها قط من قبل، فهتفت متعجبة:

ـ آهو أنت يا آلان. .؟ هل جئت لزيارتي؟

فقال لها: «أريد أن أرى جوني. . أليس هنا؟». وكان صوته خافتاً كصوتها وكلامه لا يكاد يفهم!

ثم فتحت له الباب على مصراعيه فدخل إلى غرفة الطعام تواً. وكان جوني واقفاً حيث تركته أخته أمام المائدة الصغيرة وعليها بقايا الطعام. فابتدر آلان سائلاً: «ماذا تريد؟»

وكان قلبه يدق سريعاً حتى خيل إليه أن ومبوري يسمع دقاته. وقال له هذا:

ـ لقد جئت من اسكتلانديارد حيث قابلت الكولونيل والفورد وأطلعته على رسالة تسلمتها بعد ظهر اليوم. وبينت له علاقتي بأسرتك وتقديري لهذه العلاقة التي يجعلني آتردد في أداء واجبي!

وساد الصمت لحظة، ثم سأله جون لنلي: «ماهو واجبك؟»

فرد ومبوري وهو يختار ألفاظه: «إني في الآونة الحاضرة ليس على واجب أؤديه. . . ولكني سآتي غداً لأفتش هذا البيت بحثاً عن لآلىء اللادي دارنلي!»

وسمع الفتاة تنتحب ولكنه لم يلتفت إليها:

ووقف جون لنلي في مكانه جامد الحس، وقد علت وجهه صفرة كصفرة الموت! وكان يجهل إجراءات البوليس وإلا لأدرك معنى قول ومبوري أنه ليس معه أمر بالتفتيش!

وتبين ومبوري أن جوني لم يدرك مرماه، فبذل محاولة أخيرة لينقذ الفتاة التي يحبها من عواقب حماقة أخيها، وقال له:

ـ ليس معي أمر بتفتيش مسكنك هذا، ولذلك لايحق لي أن أفتشه! غير أني سأحصل على أمر بالتفتيش صباح غدا!

ولو أن جوني كان على شيء من الذكاء، لأدرك أن الفرصة سانحة لتخلصه من اللآلىء المسروقة المخبأة تحت سريره، ولكنه بدلا من أن ينتهز هذه الفرصة، أبى إلا أن يرتكب حماقة كبرى. . . فرفضها لكيلا يكون لابن البستاني القديم عندهم فضل عليه!

وقال لومبوري: «إن اللآلىء في علبة تحت السرير! وأنت تعرف ذلك وإلا ما أتيت! وأنا لا أقبل فضلا منك. وإذا كان يرضيك أن تقبض على شخص آواك أبوه في الكوخ الذي ولدت فيه، فإن لك الحق في ذلك!»

ثم مضى نحو غرفته، وبعد لحظة عاد يحمل علبة الورق المقوى ووضعها على المائدة!

وقد جمد ألان في مكانه من هول هذه الفاجعة التي دهمت بيت حبيبته! ولم يجرؤ أن ينظر إليها، وكانت واقفة على جانب المائدة وكأنها فقدت كل حس، وبدت على وجهها أمارات الألم، وقالت لأخيها: «كيف فعلت ذلك؟».

فهز كتفيه وقال لها: «لافائدة من التهويل في الأمر يا ماري.. لقد كنت أحمق!»

ثم استدار بغتة واحتضنها، وكان جسمه يرتعد. ثم قال لومبوري: «الآن أنا ذاهب معك!»

وأفلت من يديها وهي تمسك به، وخرج من البيت مقبوضاً عليه!

الخطاب المفقود

لم يتبادل آلان ومبوري وجون لنلي آية كلمة في طريقهما إلى مركز البوليس في فلاندرزلين. ولما اقتربا منه قال جوني من غير أن يلتفت نحو رفيقه: «من الذي وشي بي؟»

وكان بود ومبوري لو ينبئه بالواشي، ولكنه رأي في ذلك مخالفة لنظام البوليس الدقيق الذي سار عليه، فاكتفى بأن قال له: «لقد وصلت إلينا معلومات!»

فضحك الشاب وقال: «بل كنت تراقبني منذ حصلت السرقة.. حسناً! سوف تنال ترقية جديدة على حسابي. ولك تهنئتي الخالصة!»

وحينما دخل السجن قال لومبوري: «بماذا تتوقع أن يحكم عليّ؟»

فهز مفتش البوليس رأسه ولم يجب! وكان موقناً أنه سيحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة!

وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً، وكان المطر يهطل مدراراً، كان ألان يجتاز منطقة فلاندرزلين قاصداً إلى بيت ميستر. وقد رأى من الجانب الآخر من الطريق نافذة مضاءة بالطابق الأعلى، فدله ذلك على أن ميستر لم يأو بعد إلى فراشه، ولعله كان في تلك الساعة جالساً مع أحد عملاته الذين كانوا يأتون إليه خفية في غسق الليل من الباب الخلقي... إذ كانت تلك البيوت العتيقة القريبة من النهر تحوي مخابىء ومسالك سرية. وقد هدم في الأيام الأخيرة بيت منها فظهرت به غرفة سرية لم يعلم بوجودها صاحبه الذي اشتراه وسكنه منذ عشرين سنة!

وفيما كان آلان يعبر الطريق، لمح رجلا يخرج من خلال السور الذي يحيط ببيت ميستر ثم يمشى متلصصاً بشكل يدعو إلى الريبة، وسرعان ما صاح به طالباً الوقوف، فوقف الرجل على الفور، ثم أشعل ومبوري مصباح الجيب الذي معه، فرأى أمامه رجلاً ملتحياً لا يذكر أنه رآه من قبل، وقال له: «من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟»

ـ إن لي أن أسألك هذا السؤال نفسه!

فقال له ومبوري بشدة: «أنا مفتش البوليس!»

ـ إذن نحن رفيقان في الشقاء.. لأني مفتش بوليس أيضاً! وأحسبك المفتش ومبوري!

وأومأ ومبوري موافقاً، وتوقع أن يقدم الرجل بطاقته له لكن هذا استطرد فقال:

ـ لاداعي لأن أقدم لك بطاقتي، وأكتفي بأن أقول لك: إن اسمي بليس مفتش البوليس السري المركزي باسكتلانديارد!

وتذكر آلان ذلك الاسم، كما تذكر أن صاحبه هو رئيسه المكروه من جميع رجال اسكتلانديارد. وكان يعلم أنه سيعود من أمريكا في تلك الأيام. فقال له: «حسناً يا سيدي! أكنت تبحث عن شيء هنا الآن؟»

فقال بليس: «لست أدري أأبحث عن شيء معين أم لا! ولكن كنت قد عملت في هذه المنطقة من قبل، فجئت الآن أجدد معرفتي بها.. أذاهب أنت لزيارة ميستر..»

وعجب آلان منه، كيف عرف أنه ذاهب إلى بيت ذلك المحامي! وقال لنفسه: «إن ميستر لم ينتقل إلى ذلك البيت إلا بعد انتقال بليس إلى أمريكا. فما معنى هذا؟». وكأن بليس قرأ ما يدور بخلده فقال له:

ـ لقد علمت أن ميستر يسكن الآن في دبتفورد.. وهذا يعد تأخراً بالنسبة له.. فإني حين عرفته كان يسكن في حي لنكولز أين .

ثم أومأ برأسه محيياً ومبوري ومضى في سبيله بغتة، بينما وقف هذا بباب بيت ميستر يرقبه حتى غاب عن بصره.

ودق جرس الباب، ومضت دقائق قبل أن يسمع وقع خطي تهبط درجات السلم في الداخل، ثم سمع صوت ميستر وراء الباب وهو يهتف: «من هناك؟»

فأجابه: «ومبوري!» وعندئذ رفعت من وراء الباب سلاسل ومزالج، وفتح الباب.

وكان ميستر بكامل ثيابه، وابتدر ومبوري سائلاً: «ماذا جرى يا مستر ومبوري؟»

ولم يكن آلان يعلم كم شخصا هناك في ذلك البيت، ولكنه مضى مع المحامي حتى وصل إلى قاعة الاستقبال. وكان المعزف (البيانو) مفتوحاً، وعلى الأرض أوراق طبعت عليها قطع موسيقية (نوتات). وواضح أن ميستر كان يقضي أمسيته في عزف الموسيقى!

وأغلق ميستر الباب وراءه وقال: «هل جئت من أجل جوني؟»

فقال متعجباً: «جئت من أجله، فقد قبضت عليه منذ ساعة بتهمة سرقة لآلىء اللادي دارنلي وطلب إليّ أن أتصل بك! لكن كيف علمت أني جئت من أجله؟!»

فلم يجب ميستر وأخذ ينظر إلى الأرض مستغرقاً في الفكر. ثم سأل ومبوري أخيراً: «كيف علمت أن له يداً في هذه السرقة؟»

فنظر إليه ومبوري نظرة فاحصة وقال له: «لست مستعداً لأن أخبرك بذلك الآن إذا كنت لاتعلمه حقاً! ولكني وعدت جون لنلي أن أبلغك رسالته وبهذا ينتهي واجبي نحوه!»

وكان المحامي يردد بصره في الغرفة، محاذراً أن يلتقي ببصر ومبوري. ثم قال له: «من العجيب أني كنت أشعر شعوراً خفياً بأن له شأناً في تلك السرقة.. ياله من أحمق! إني أحمد الله إذ لم يبق أبوه على قيد الحياة حتى..»

فقطع ومبوري كلامه قائلاً: «لاداعي لأن نضيع وقتنا في مثل هذا الكلام! إن الحقيقة الواقعة هي أن جون لنلي مقبوض عليه الآن بتهمة سرقة تلك الآلىء!»
ـ هل ضبطت اللآلىء؟

فأومأ ألان موافقاً وقال: «نعم، وكانت في علبة من الورق المقوى. على أنها وجدت ناقصة، فهناك أسورة مما سرق لم نجدها في تلك العلبة ولعل من اليسير أن نتابع البحث في هذا الشأن. فالعلبة عليها بقايا علامة مميزة!»

وعجب ومبوري إذ قال له ميستر على أثر ذلك: «ربما أستطيع أن أعاونك! فقد تكون تلك العلبة لي.. ذلك لأن جوني آخذ مني علبة منذ أسبوع. وكنت خالي الذهن طبعاً من الغرض الذي طلبها من أجله. ولكني أعطيته إياها على أي حال! وربما تكون العلبة التي وجدتها أنت علبة أخرى!»

وكان ومبوري يأمل في قرارة نفسه أن يتاح له إدخال ميستر في هذه المسألة، فتبدد أمله هذا بعد التصريح الذي أدلى به المحامي.. اللهم إلا إذا اعترف جون لنلي باشتراك ميستر في السرقة. ولكن جوني لا ينتظر منه أن يخون صديقاً له!

ثم سأله ميستر بعد ذلك: «ترى بماذا يحكم عليه؟»
فقال ومبوري: «أواثق أنت من إدانته؟!»

فقال مؤكداً: «إنك ما كنت لتلقى القبض عليه لولا أن لديك الدليل القاطع على أنه السارق. إنها فاجعة! يا للفتى المسكين!»

وفي هذه اللحظة، أدرك ومبوري أن هذا المحامي ما خان صاحبه ووشى به إلا من أجل ماري! وقد ظهر له ذلك جلياً بعد أن كان قد سخر من قول الدكتور لوموند: إن ميستر أراد إزاحة جون لنلي من طريقه. وكان يعرف سوء سمعة ميستر ومأساة جوندا ملتون.. كما يعلم بحوادث أخرى ومغامرات له!

وغلا الدم في عروق ومبوري وقال لنفسه: «لقد بعث به إلى السجن ليتاح له السيطرة على الفتاة المسكينة!»

ثم قال له: «على كل حال لاتشغل بالك بشأن الآنسة لنلي.. إنها لحسن الحظ تسكن في منطقتي! ولثقتها بي لن تتردد في اللجوء إلي إذا اقتضى الأمر ذلك!»

وكان ومبوري يقصد بذلك تهديد ميستر.. فابتسم هذا وقال له: «أتظن ذلك محتمل الحدوث؟ لقد عهد إليك في مهمة كريهة هي القبض على أخيها، فكيف تلجأ إليك بعد ذلك؟!»

وكاد قلب ألان يسقط من مكانه، وكان قبل ذلك دائم التفكير في مسلك ماري نحوه بعد أن قبض على أخيها، وساءل نفسه: «أتبقى على مودتها لي بعد أن جلبت لأسرتها العار؟»

ثم استطر ميستر يقول: «إن أسرة لنلي أسرة قديمة ولها كبرياؤها وكرامتها.. وإني لأشك في أن تغفر لك ماري قبضك على أخيها! إن ذلك سيكون ظلماً منها، ولكنك تعرف أن النساء غير منطقيات. وسأفعل كل ما باستطاعتي من أجلها. كما أني لن أتوانى عن مساعدة أخيها في محنته.. أيمكنني أن أرى جوني الليلة؟»

- أجل! وقد طلب إليّ أن أرجو منك زيارته في السجن فوراً، وإن كنت أحسب أنك غير قادر على معاونته، فلن يفرج عنه بكفالة، لأنه متهم بجناية!

فأسرع موريس ميستر إلى الغرفة الأخرى ليستعد للخروج! ولما صار ألان وحده أخذ يروح ويجيء في الغرفة ويداه خلف ظهره، وذقنه مائل إلى صدره!

شعر ألان بأنه يكاد يختنق قلقاً وغماً وسط ذلك الأثاث الباهت اللون والمعزف القديم! وبدا له آن للغرفة أبواباً أكثر عدداً مما يلزم، إذ كان لها أربعة أبواب فضلاً عن الستارة التي تغطى غرفة داخلية. فإلى أين تؤدي كل هذه الأبواب؟

واستقرت عيناه أخيراً على باب للغرفة كان موصداً بالمزالج الثقيلة، ثم لمح مصباحاً

أحمر بأعْلى ذلك الباب، أومض لحظة ثم انطفأ، فأدرك بخبرة رجل البوليس أن ميستر هو المقصود بتلك الإشارة! وأخذ يسأل نفسه: «من يكون مرسلها؟ وماذا تعني؟». وفيما هو كذلك عاد ميستر وقد ارتدى معطفه. فابتدره سائلاً وهو يشير إلى أعلى ذلك الباب: «ما معنى ذلك الضوء الأحمر؟»

فارتاع المحامي وقال: «أي ضوء؟ هل أضاء هذا المصباح الآن؟»

فأجاب قائلاً: «نعم أضاء دقيقة ثم انطفأ!». فعاد ميستر يسأله وقد اشتد قلقه: «أواثق أنت من ذلك؟!». ثم تملك نفسه وقال: «إن هذا الضوء الأحمر بديل من الجرس على الباب.. أعني أنك إذا ضغطت ذلك الجرس أضاء هذا المصباح!»

وأدرك ومبوري أنه يكذب، وأن لذلك المصباح الأحمر معنى خفياً، ولم يفته ما اعترى ميستر من الخوف، وكان هذا قد ثارت أعصابه وصار يمد يده المرتعشة بحركة آلية إلى فمه! ثم لحظ ألان أنه ينظر إليه بمؤخرة عينيه، فتغافل وهو يراقبه خفية، ورآه يخرج من جيبه علبة ذهبية صغيرة تناول منها شيئاً من طرف إصبعه واستنشقه. فأدرك لتوه أنه كوكايين.. وثبت له ذلك إذ عاد المحامي تواً إلى هدوئه المعتاد وقال له:

ـ لاشك أنه كان وهماً خيل لك!. ولم يكن ذلك الضوء إلا انعكاس الضوء الذي على المنضدة!

فقال له: «لكن ألا يمكن أن يكون أحد بالباب الخارجي وقد ضغط الجرس؟»

فتذكر ميستر ما كاد ينساه وقال له: «أجل! لابد أن الأمر كذلك! أتسمح لي بأن ألتمس منك الذهاب إلى الباب الخارجي لترى من هناك؟ هاك المفتاح!»

فأخذ ألان منه المفتاح، وذهب إلى فناء الدار وفتح الباب الخارجي، ولم يكن أحد هناك، وأدرك أن ميستر لم يطلب منه ذلك إلا لكي يبقى وحده في الغرفة لاستقصاء سبب ذلك الضوء الأحمر!

ولما صعد ألان السلم سمع صوت درج يغلق بسرعة. حتى إذا دخل الغرفة رأى ميستر يلبس قفازه بشكل يدل على عدم الاكتراث. ثم سأله:

ـ ألم تجد أحداً بالباب؟ إذن لابد أن أحداً من أهل هذا الحي الكريه قد أراد المعاكسة! هذا إذا لم يكن الأمر وهماً!

فقال له ومبوري: «ألم يوقد المصباح بعد أن غادرت هذه الغرفة؟ أواثق أنت من ذلك؟»

ولما أكد ميستر له أن الضوء لـم يظهر قط، واصل كلامه فقال:

ـ هذا عـجيب! لأني ضغطت جرس الباب الخارجي. ولو كان المصباح كما ذكرت لي لأضاء!

فغمغم موريس قائلاً: «هل ضغطت جرس الباب؟ إذن لعل الجهاز أصابه تلف» ثم خرج معه من الغرفة وهو يكاد يدفعه دفعاً أمامه!

ولم يحضر ألان لقاء ميستر وجون لنلي في سجن البوليس. فقد آثر أن يتوجه إلى بيته طلباً للراحة، بعد العناء الشديد الذي تعرض له في ذلك اليوم المشئوم!

* * *

مكثت ماري وحدها بعد القبض على أخيها وهي جامدة الحس من هول الفاجعة! وكانت جالسة إلى المائدة تحملق في غطائها الأبيض حتى كل منها البصر. وبودها لو تستطيع البكاء لعله يخفف مما بها، وشعرت بأن قلبها يكاد ينتزع من بين جنبيها!

وأخذت الأفكار السوداء تختلط في ذهنها..

كيف كـان ذلك؟ كـيف صار جوني لصاً؟ لابد أنها في حلم مخيف! وسوف يولي عنها هذا الكابوس فتستيقظ لتجد جوني يناديها من الحديقة ولكن أي حديقة؟ إنها ليست بدار الأسرة، بل في مسكن من مساكن الصناع، جالسة على كرسي رخيص.. أما جوني ففي زنزانة بالسجن! نعم، هذه هي الحقيقة الواقعة التي كاد دمها يجمد في عروقها من هولها وشناعتها!

واستعـادت في ذهنها ذلك المنظر الرهيب، منظر القبض على أخيها أمامها، ولم تنس كلمة واحدة مما قاله ألان وقتئذ! وقد أدركت أن ومبوري قد جازف بكل شيء لينقذ أخاها! لقد أتاح له الفرصة. وما كان على جوني إلا أن يظل ساكتاً وأن يخلص من تلك اللآلىء المشئومة. ولـو أنه فـعل لبـقى معها ولم يقبض عليه ولم يتهم. ولكن كبرياءه كانت وبالاً عليه!

إنها لاتكن أي ضغن نحو ألان من جراء ذلك.. بل تشعر بالحزن له، وإن منظر الألم لذي ارتسم على محياه قد آلمها كمنظر أخيها وقتذاك!

ثم سمعت جرس الباب يدق دقاً خفيفاً، وقد دق ثلاث مرات قبل أن تدرك أن أحداً بالباب. وحسبت أن آلان ومبوري هو الذي جاء، فقامت متعبة وذهبت لتفتح الباب. وإذا بها ترى امرأة مرتدية معطفاً أسود طويلاً، وعلى رأسها قبعة سوداء زادت بشرتها الصافية بياضاً. ولحظت ماري أنها سيدة أنيقة حسناء، فقالت لها: «أأنت ماري لنلي؟»

وأدركت ماري من لهجتها أنها أمريكية، فدهشت لقدومها وهي التي لم ترها قط من قبل. ثم قالت السيدة لها:

ـ أتسمحين لي بالدخول؟

فانتحت ماري جانباً، بينما دخلت السيدة إلى الغرفة، ونظرت حولها ثم قالت للفتاة: «أحسبك في كرب؟!» ثم جلست دون دعوة، وأخرجت من كيس يدها علبة مزينة بالجواهر وأشعلت سيجارة!

وعجبت ماري من أمر هذه الأمريكية الغريبة التي جاءتها في تلك الساعة من الليل، وكيف عرفت أنها في كرب، ولكنها أجابت بالإيجاب وفي صوتها رنة حزن، فقالت لها الزائرة:

ـ لقد حسبت ذلك إذ علمت أن ومبوري ألقى القبض على أخيك بتهمة سرقة جواهر.. وأحسب أن المسروقات قد ضبطت معه؟

فأومأ ماري موافقة وقالت: «نعم.. كانت اللآلىء هنا.. ولم أكن أعلم بوجودها!»

ثم ساءلت نفسها: «أتكون هذه السيدة هي اللادي دارنلي! إن كثيراً من سيدات الطبقة الارستقراطية كن من أصل أمريكي!»

ثم قالت الزائرة: «إني أدعى كورا آن ملتون. ولعلك لم تسمعي هذا الاسم من قبل يا طفلتي؟»

فهزت ماري رأسها.. لقد كانت متعبة الجسم والنفس. وكانت تواقة لأن تخرَج هذه الزائرة المتطفلة بأسرع ما تستطيع!

ثم سألتها الزائرة: «ألم تسمعي قط بالدقاق؟»

فتنبهت ماري بغتة وقالت: «الدقاق؟! ذلك المجرم الذي يجد البوليس في طلبه؟»

ـ بل يطلبه كل إنسان يا عزيزتي.. وأنا نفسي أكثر الناس طلباً له.. لأني زوجته!

وهنا قامت ماري من مقعدها مذعورة! وساءلت نفسها: «كيف تكون هذه السيدة الحسناء زوجة لذلك المجرم المجهول الذي يسير في ظل المشنقة؟!»

ثم استطردت كورا آن فقالت: «نعم إنني زوجته! أتظنين أن ذلك لايدعو إلى الفخر؟ إنك إذن تكونين على خطأ!»

ثم قالت لها بغتة: «أنت تشتغلين عند ميستر. . أليس كذلك؟»

ـ نعم. . أنا سكرتيرته. . ولكن يا سيدتي إنني لا أدري سبب زيارتك لي في هذه الساعة من الليل!

وكانت كورا آن تنظر إلى المسكن بعين فاحصة. . ثم قالت للفتاة: «إنه ليس مسكناً فاخراً، لكنه على أي حال خير من ذلك الجناح الذي في بيت ميستر هناك!»

ورأت وجه ماري وقد علته حمرة، فقالت لها: «إذن. . قد رأيت ذلك الجناح؟ حقاً إن ذلك الشخص سريع العمل!»

وعندئذ بدا على ماري الكدر، وقالت لها: «لا أدري ماذا تقصدين بذلك؟»

فردت الزائرة ببرود: «إذا كنت لاتفهمين ما أعنيه فلا حاجة لأن أقول المزيد! ألا يعلم ميستر أني عدت إلى انجلترا؟»

فهزت ماري رأسها. وكانت السيدة ملتون جالسة إلى المائدة أمام درج بها فتح قليلاً، وقد أخرجت منديلاً من الكيس الذي في حجرها وكانت هادئة الأعصاب. ثم قالت لها ماري بصوت يدل على الكلل:

ـ ما أحسب أنه يهتم كثيراً بتنقلاتك يا سيدتي. . أتسمحين لي أن أطلب إليك عدم المكث هنا؟ لقد تلقيت الليلة صدمة شديدة، ولست في حال تسمح لي بأن أبحث في شؤون المستر ميستر أو شؤون زوجك، أو أي أحد في العالم!

ولكن كورا آن لم تتحرك، وإنما قالت لها: «أحسبك حين تنتهي كل هذه المشاكل، ستعملين لدى ميستر إلى ساعة متأخرة من الليل. . ولعلك تحبين أن تعرفي عنواني؟»

ـ لماذا أعرف عنوانك يا سيدتي؟

ـ لأني أحب أن تتصلي بي إذا حدث شيء! لقد كانت هناك فتاة مثلك. . ولكني لا أريد أن أضرب لك مثلاً مخيفاً. . وأرجو ألا تبلغي موريس أن زوجة الدقاق في لندن الآن!

ولم تكد ماري تستمع إلى هذا الجزء الأخير من حديثها، وإنما قامت وفتحت لها الباب، فقالت لها كورا آن وعلى ثغرها ابتسامة:

- معنى ذلك أنه لابد لي من الذهاب! إني لا ألومك يا أيتها الطفلة. وأحسبني كنت أسلك مثل مسلكك لو جاءني أحد يعرض علي الوصاية!

- إني لست في حاجة إلى وصايتك! شكراً! إن لدي أصدقاء عديدين! ثم أمسكت ولم تتم كلامها.. إنها ليس لها في لندن، بل في انجلترا كلها. صديق يمكنها أن تلجأ إليه سوى آلان ومبوري. وموريس.. لماذا ترددت حين فكرت فيه لهذه المناسبة! إن علاقتها به قد اعتراها شيء من التغير في اليومين الأخيرين.. إنه لم يعد الملاذ الذي قد تذهب إليه وتستشيره في محنتها!

وكانت كورا آن ترقبها وهي واقفة بالباب. ثم قالت لها: «إن ذلك الشاب المدعو ومبوري هو شاب لطيف حقاً! ولعلك لا تنقمين منه إلقاءه القبض على أخيك؟»

فأتت ماري بحركة تدل على نفاد صبرها!

بعد أن ذهبت كورا آن، مكث ماري مدة طويلة وهي تسائل نفسها عن معنى زيارتها لها. ولو أنها تبعتها إلى الشارع لعرفت الغرض من تلك الزيارة!

لم تكد كورا آن تقطع بضع خطوات في الشارع المظلم المهجور، حتى ظهر أمامها بغتة رجل كأنما انشقت عنه الأرض، ففزعت وقالت له: «لقد أخفتني!»

فقال لها: «هل رأيت الفتاة؟»

فقالت: «نعم رأيتها يا ارثر! لماذا تبقى هنا؟ ألا تدري يا أحمق أي خطر..»

فقاطعها قائلاً: «أنت ثرثارة يا عزيزتي.. على فكرة، لقد رأيتك بعد ظهر اليوم!»

فشهقت وقالت له: «رأيتني؟ أين كنت؟»

ثم قالت له بغتة: «بالله كيف أعرفك حين أراك؟ إني أشعر شعوراً مبهماً بأنك حولي طول الوقت، ولذلك أتفرس في وجوه الناس الذين أراهم بالطريق!»

فقال ساخراً: «لاريب أن زوجتي العزيزة تعرفني بين الناس.. إن عيني الحب تنفذ وراء كل تنكر!»

- إني الآن سأعرف شكلك

وأخرجت من كيس يدها مصباحاً وضغطت زراً به فأضاء وجهه بغتة، لكنه سارع إلى أخذ المصباح من يدها وقال لها: «أنت حمقاء! إذا استطعت أن تريني فإن غيرك يراني كذلك!»

وكانت حين سقط عليه ضوء المصباح قد رأت أمامها شبحاً غطي بحرير أسود من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، ولم يظهر منه سوء عينين براقتين!

ثم قال لها: «هل تسلمت خطابي؟»

ـ أتعني الشفرة؟ لقد حسبت أن الصحف لا تنشر رسائل بالشفرة!

فلم يجب. وأخذت هي تبحث في حقيبة يدها.. لقد ضاع الغلاف الذي كانت به تلك الشفرة!

ولما أنبأته بذلك، بأن عليه الغضب وقال لها: «أنت حمقاء يا كورا. لاشك أنه سقط منك في بيت الفتاة لنلي حين زرتها! هيا اذهبي واستعيديه منها!

فسارعت كورا آن إلى صعود الدرج وطرقت الباب. وجاءت ماري مسرعة. فقالت لها كورا وهي تلهث: لقد عدت إذ سقط مني خطاب عندك.. ولما بحثت عنه الآن لم أجده!»

وأخذتا تبحثان معاً في كل ركن من أركان المسكن، وقد قلبتا السجاد، وهزتا الستائر، ولكنهما لم تعثرا على الخطاب المفقود!

وأخيراً قالت لها الفتاة: «لعله ضاع منك في مكان آخر؟!»

وكانت كورا في كرب شديد حتى أشفقت عليها الفتاة. وقالت لها: «هل كان يحوي نقوداً؟»

ـ كلا! ليته كان كذلك!

ثم نظرت حولها مرتاعة وقالت: «لقد كان معي بالتأكيد حين دخلت هنا!»

فقالت لها ماري: «ربما تركته في بيتك!»

ولكن كورا آن هزت رأسها. ثم عاودتا البحث معاً حتى يئست كورا من العثور على الخطاب، وبدأت تشك في أنها كانت تحمله حين جاءت!

وأخيراً غادرت المسكن، فأغلقت ماري الباب وراءها، وجلست إلى المائدة. وكان الشاي بارداً مراً، ثم فتحت درجاً صغيراً بالمائدة حيث توضع الملاعق. وما كان أشد دهشة حين رأت الخطاب الذي طال البحث عنه وهو فوق الملاعق والشوك! وكان مكتوباً عليه

اسم كورا آن بغير عنوان. وظنت ماري أن العنوان بداخله ففضت الغلاف وعندئذ سقطت منه بطاقة بيضاء عليها حروف وأرقام كتبت بحروف صغيرة جداً. وأدركت أن هذه الحروف شفرة سرية. ولو كانت لها خبرة لقدرت البراعة التي عملت بها هذه الشفرة!

ثم أعادت البطاقة إلى داخل الغلاف، ووضعته في درج المائدة ثانية، لعل المرأة تأتي مرة أخرى فتعطيه لها!

وكان واضحاً أن كورا آن حين أخرجت المنديل من كيس يدها انزلق ذلك الظرف إلى داخل الدرج الذي بالمائدة وكان مفتوحاً قليلاً. ولما تحركت أغلقت ذلك الدرج من حيث لا تشعر!

ولما أوت ماري إلى فراشها تلك الليلة، أخذت ذلك الظرف إلى غرفة النوم ووضعته في أحد أدراج منضدة الزينة حيث تحتفظ بحليها القليلة. أغلقت الدرج ونسيت كل شيء بشأنه!

* * *

بعد شهر من ذلك، كانت ماري لنلي جالسة تنتظر في ردهة محكمة الجنايات المركزية، وعلى وجهها أمارات الحزن والأسى!

كانت قد سمعت الاتهام وشهادة الشهود، ثم لم تطق أن ترى أخاها في قفص الاتهام، فخرجت إلى الردهة تستريح!

ثم فتح باب قاعة المحكمة وخرج منها ألان ومبوري فسألته عابسة:

ـ هل انتهت الجلسة؟

ـ كلا! لكني أحسب أنها ستنتهي قريباً!

وكان بادي القلق، غائر العينين، كمن لم ينم طول ليلته!

ثم أمسكت يده بيدها وقالت: «إني آسفة يا آلان»!

وكادت لمسة يدها تغريه بالبكاء! . ولكنه تمالك نفسه وقال لها:

ـ إنك لا تدرين شدة ما أنا فيه من أسى يا ماري! والذي يزيدني ألماً أني موضع التقدير للقبض عليه، فقد جاءني أمس خطاب من المدير يهنئني فيه فابتسمت ماري ابتسامة باهتة!

إن كل مأساة لها جانب هزلي! وهو في هذه المأساة يتمثل في الفخر الذي أكره هذا

الضابط على كسبه برغم تقاعسه في القبض على المجرم!

وجلس إلى جوارها يحاول أن يبعث في نفسها العزاء! وقدرت هي إخلاصه برغم ارتباكه وحيرته. ثم جاء موريس ميستر إلى الردهة وهو أحسن ما يكون هنداماً، وأشد ما يكون ثباتاً وطمأنينة وقال لها:

ـ لقد كادت الجلسة تنتهي، ويحسن أن يدخل ومبوري الآن لينبئنا بما يحدث!

وكان هذا طلباً سخيفاً، وقد أدرك ومبوري أن ميستر يريد أن يَخلو إلى الفتاة، لكنه لم يجد بداً من الانصراف، وقال موريس ميستر وهو يتبعه بنظره:

ـ ذلك رجل بلا ضمير! إنه طموح، ولا يبالي الوسيلة التي يتخذها لتحقيق أغراضه!

فردت ماري قائلة: «لا أحسب أنه كما تقول!»

ـ ربما! وعلى أي حال فقد كان عليه أن يؤدي واجب وظيفته، وقد أظهر دهاء في إيقاع جوني في الفخ!

ـ دهاء؟! وفخ؟!

ـ إن هذا لم يظهر طبعاً في المحاكمة لأنه من أسرار العمل.. ولكني أعرف خافية الأمر يا عزيزتي.. وقد علمت أن ومبوري كان يتتبع أثر جوني منذ وقعت السرقة.. ولهذا السبب جاء إلى المزرعة ذلك اليوم!

فحدقت فيه مستغربة وقالت: «أواثق أنت من ذلك؟»

فقال لها: «لقد حسبت يومئذ أنه إنما جاء لزيارتك! ولينبئك بترقيته.. وما كنت لتفهمي غير ذلك. ولكنك إذا فكرت في الأمر ملياً، لأدركت أن رجل البوليس السري يظهر دائماً غير ما يبطن.. ولو أنك صارحته الآن بما كان من غشه وخداعه لأنكر طبعاً وأصر على الإنكار!»

ففكرت هنيهة وكأنها كانت تسائل قلبها ثم قالت:

ـ لا أصـدق ذلـك! لقـد قال لي ألان إنه لم يرتب في جوني حتى تسلم خطاباً خالياً من التوقيع!

وهنا أشار إليها ميستر لتسكت إذ كان ومبوري قادماً نحوهما، ولما وصل إليهما قال: «ستستمر الجلسة نحو عشر دقائق!»

فسألته ماري: «هل صحيح يا ألان أنك كنت تراقب جوني منذ وقت طويل؟»

فقال لها: «أتعنين أني كنت أراقبه بشأن هذه القضية؟ كلا! إني لم أفكر في ذلك إلا

بعد أن جاءني خطاب بغير توقيع، ولا ريب أن كاتبه شخص يعرف كل أسرار تلك السرقة!»
وكان ينظر إلى ميستر وهو يقول ذلك!

فقالت له الفتاة: «وحين أتيت إلى مزرعة لنلي؟»

وقبل أن يجيب، قال ميستر للفتاة: «يا عزيزتي.. لماذا تسألين المفتش ومبوري هذه الأسئلة المحرجة؟»

فقال ومبوري بجفاء: «إن هذه الأسئلة غير محرجة لي؟ لقد ذهبت إلى مزرعة لنلي لأرى الآنسة لنلي وأنبئها بترقيتي.. لعلك لا تقصد أن لزيارتي تلك علاقة بسرقة اللآلىء؟»

فهز المحامي كتفيه، وقال بلهجة تدل على قلة الاكتراث:

ـ أحسب أني نسبت إليك فضلاً لم تستحقه! إنني بوصفي محامياً ليست لي خبرة بتلك الخطابات الخفية التي يقال إن البوليس يتسلمها من... (الأنوف).. وأظن أن هذا الاصطلاح هو الذي يعبر عن (المخبرين)

فقال ألان في حزم: «إنك تعلم يا سيدي أن مخبري البوليس يسمون هكذا.. ولم يكن ثمة أي اخفاء بشأن ذلك الخطاب الذي أوقع بجوني إلا فيما يتعلق بالكاتب.. لقد كان مكتوباً على ورق الآلة الكاتبة من نوع ورق سونيلي بوند رقم ١٤»

ففزع ميستر إذ سمع ذلك.. واستطرد ومبوري يقول:

ـ لقد قمت بتحريات عند تجار أدوات المكاتب، وعلمت أن هذا النوع من الورق لا يباع محلياً، وإنما يباع في محل لبيع أدوات مكاتب المحامين في (تشانسري لين).. ولا يباع في محل آخر.. وأنا أقول لك ذلك يا سيد ميستر لعلك تريد مواصلة التحري عن مصدر ذلك الخطاب!

ثم أومأ برأسه محيياً وتركهما معاً!

وقلت الفتاة بعد انصرافه وقد بدا عليها القلق: «ماذا يعني بما قاله؟»

فقال ميستر لها: «أيستطيع أحد أن يعرف ما يقصده بوليس سري؟!»

فسكتت هنيهة ثم قالت: «إنه يلمح بأن أحداً معيناً هو الذي وشى بالمسكين جوني!»

فقال لها: «إنه يقصد أحداً لا يسكن في(دبتفورد) بالبداهة.. ينبغي لك يا عزيزتي ألا تشغلي بالك بما يقوله.. ويحسن بك أن تكفي عن مقابلته في المستقبل!»
فقال له وهي تحدق فيه: «لماذا»

فقال لها: «هناك عدة أسباب: إن لي عملاء سيرتابون إذا علموا أن سكرتيرتي صديقة لمفتش بوليس سري! وأنا بالطبع ليس لي أن أتدخل في اختيارك أصدقاءك ولكني أريد أن أعاونك يا ماري وأن أكون لك الناصح الأمين.. وهناك شيء أريد أن أبحثه معك بعد انتهاء هذه المسألة: فليس من المعقول أن تعيشي وحدك في عمارة: (مالياس) بين القوم الذين يسكنون تلك المنطقة!»

ـ إذن أنت تعتقد أن جوني سيسجن؟

ـ سيحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة.. لاشك في ذلك.. ويجب أن تروضي نفسك على هذه الحقيقة المؤلمة.. قد يحكم عليه بسبع سنوات.. وبديهي أنك لا يمكنك أن تعيشي وحدك طول هذه السنين!

فقالت بحزم: «إني لن أسكن إلا حيث أنا الآن!»

وهنا فتح باب قاعة المحكمة ووقف ومبوري لحظة جامداً، ثم مشى نحوهما في خطوات بطيئة، فقالت له ماري وهي تحبس أنفاسها: «ماذا؟»

ـ السجن ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة! لقد سئلت بوصفي شاهداً عما أعرفه عنه فقلت كل ما أعرفه!

فقال له ميستر: «وما الذي تعرفه عنه؟»

ـ لقد قلت إني عهدته فتى مهذباً حتى بدأ يختلط بالمجرمين!

ثم أردف قائلاً: «سيأتي يوم أقبض فيه على من أفسده وأقدمه للمحاكمة! وعندئذ لن أشهد لصالح المتهم كما شهدت الآن، بل سأذكر للمحكمة معلومات تؤدي إلى سجن ذلك الذي وشى بجوني سجناً لايعود منه!»

ذو اللحية السوداء

كان موريس ميستر يعتقد أن (الدقاق) قد مات وانتهى أمره! وقد سخر من كل ما قيل عن وجود هنري ارثر ملتون في انجلترا وشغل في الأشهر الثلاثة التي تلت الحكم على جون لنلي حتى إنه لم يعر أي اهتمام للشائعات التي ذاعت بهذا الشأن، ولا لتلميحات بعض عملاته المجرمين عن عودة الدقاق!

وقد اعتادت اسكتلانديارد ألا تعمل إلا على أساس معلومات دقيقة محددة، ولهذا لم تحذر موريس ميستر . . فكان ذلك من دواعي طمأنينته!

وكانت ماري لنلي تأتي لمباشرة عملها عنده بانتظام، وبعد أن أرادها زينة للمكتب، أصبحت كاتبة بارعة على الآلة الكاتبة فلا يقدر أن يستغني عنها. وكانت تسائل نفسها دائماً: أينبغي لها أن تخبره بزيارة كورا آن ملتون لها في تلك الليلة التي قبض فيها على جوني؟ ولكنها آثرت السكوت عن تلك الزيارة إذ لم يذكر أمامها اسم الدقاق بعد ذاك!

ولم تكن تلقى ومبوري إلا نادراً، مع أنها لم تقطع صلتها به! وقد رأته مرتين في الطريق. ولحظت أنه يتفادى لقاءها فآلمها ذلك في البداية. لكنها سرعان ما نسبت ذلك إلى كياسته ورقة شعوره!

وفي أحد الأيام صادفته في هادي ستريت. . وقبل أن يتفاداها واجهته قائلة:

- ليس هذا جميلاً منك يا آلان. . إن الناس قد يحسبون أنك تقاطعني لقرابتي لأحد السجناء!

وعند ذلك احمر وجهه، فشعرت بالندم على ما قالت! ثم رد عليها قائلاً:

- لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً يا ماري. . هل سمعت عن جوني شيئاً جديداً؟

- إنه في حالة نفسية حسنة. . وقد بدأ يفكر في مشروعات يقوم بها بعد خروجه من السجن!

ثم أردفت قائلة: «ألا تأخذني إلى مكان ما لنشرب الشاي يوم الأربعاء؟ إنه اليوم الذي أخرج فيه من المكتب مبكرة!»

ولما عاد إلى مقر عمله في مركز البوليس بعد تلك المقابلة، كان يشعر بالغبطة

والفرح. وبلغ من فرط سروره آن الدكتور أولوموند كان ساعتئذ جالساً هناك يكتب تقريرا عن سائق سكران، فما كاد يراه داخلاً وعلى وجهه دلائل السرور حتى قال له: «هل آلت إليك ثروة كبيرة في هذا اليوم؟»

فقال له: «بل هناك ما هو خير من ذلك! لقد تخلصت من شبح مخيف!»

فضحك الطبيب الشيخ وقال له: «معنى ذلك أنك كنت قد اختلفت مع فتاة تحبها ثم تم بينكما الصلح!»

وكان الدكتور لوموند بارعاً في قراءة فكر محدثه.. ثم أردف قائلاً:

ـ اني لا أقول: إن الزواج حادث سيء لأي رجل! ولكنه بالتأكيد مغامرة خطيرة بالنسبة لمفتش بوليس سري!

فضحك ألان وقال له: «لكني لا أفكر في الزواج!»

فقال الدكتور مداعباً: «إذن.. يجدر بك أن تخجل من نفسك!»

وابتسم ألان.. ورأى أن يغير مجرى الحديث فقال للدكتور:

ـ وأنت أيضاً يجدر بك أن تغتبط يا دكتور! لقد علمت من الكولونيل والفورد أنه وجه إليك كتاب شكر بشأن جهدك في قضية بريدو!

فهز الطبيب الشيخ رأسه وقال: «إني لست فخوراً بعملي! ولكني أمقت المجرمين. وقد كان بريدو من أخطرهم، وهو رجل عجيب، له مؤخرة رأس عجيبة. ألم تلحظ قط مؤخرة رؤوس المجرمين؟ إنك تراها دائماً بارزة!»

وفي هذه اللحظة دخل شخص رث الهيئة، ولكن مسلكه يدل على أن المكان ليس جديداً عليه، فقد أومأ برأسه محيياً الجاويش الجالس إلى مكتبه، ثم هم بأن يكلمه، ولكن ومبوري صاح به قائلاً: «أهذا أنت يا هاكيت؟ لم أكن أعلم أنك خرجت من السجن!»

ثم نهض ومشى إلى حيث وقف ذلك المجرم السابق المدعو سام هاكيت وصافحه، فقال له هذا: «لقد خرجت يوم الاثنين الماضي.. وقد وعدني ميستر بعمل عنده!»

فقال ومبوري مداعباً: «حسناً يا سام. لم أكن أعلم أن لك مواهب في المحاماة!»

فرد سام هاكيت قائلاً: «إنني سأنظف له حذاءه! نعم هذا عمل مهين لرجل له مواهبي! ولكن ماذا أعمل مادام البوليس يطاردني دائماً!»

فابتسم ألان ومبوري وقال له: «إنك تحط من قدرك! إذن ستكون خادماً عند ميستر؟»

ففكر هاكيت هنيهة وهو يدلك بيده وجهه غير الحليق، ثم قال له: «لقد سمعت أن جوني لنلي حكم عليه بالسجن. هذا حظ سيء ولا شك!»

فسأله آلان وهو يبتسم متلطفاً معه: «إذن.. كنت تعرفه من قبل؟»

فتردد سام هاكيت لحظة ثم قال:

ـ لا أستطيع أن أقول إني كنت أعرفه، وإنما ذهبت مرة إلى الريف لأراه، وكنت أعرف أنه قد بدأ يضل الطريق.. وقد أعد أحد الناس (نكتة) مشتركة لي وله!

وكان ومبوري يعرف إن كلمة (نكتة) تعني (سرقة) في لغة اللصوص لكنه أخفي دهشته حتى يسمع تفصيل الأمر، واستطرد سام هاكيت فقال: «لكني لم أقبل، كانت المسألة شديدة الخطر! وأنا لا أحب أن أعمل مع (الهواة) لأنهم يميلون إلى التهور! كما أن الشخص الذي رتب لنا تلك (النكتة) كان يريد مني أن أحمل مسدساً.. وهذا لا يتفق مع خطتي المفضلة كما تعلم!»

وكان ومبوري يعرف حقاً أن هذا اللص المحترف يخشى استعمال الأسلحة النارية، كما كان يعلم أن اللصوص لا يشون قط بمن يستخدمهم إلا في حالة الضرورة القصوى، ومع ذلك سأله:

ـ من هو ذلك الرجل يا سام؟

ـ ذلك الرجل؟ إنه شخص يقطن في شفيلد.. ولكني لم أطمئن إلى تلك المهمة، ولذلك رفضتها! إن جوني لنلي شاب لطيف، من أصل طيب ومن دواعي الأسف أن ينحرف عن الطريق المستقيم!

ثم غير موضوع الحديث فجأة إذ قال: «يامستر ومبوري.. ما هذه الشائعات عن وجود (الدقاق) في لندن؟ لقد سمعت بذلك حين كنت في (ميدستون) ولم يسعني إلا أن أرسلت خطاباً إلى مستر والفورد ضمنته ما سمعت!»

فدهش آلان من ذلك. لأن (الدقاق) من طبقة أخرى من المجرمين وكان صغار المجرمين ينظرون إلى أعماله نظرة إعجاب!

واستطرد هاكيت فقال: «لكن (الدقاق) غرق في استراليا... وقد قرأت عن ذلك حين كنت في السجن أيضاً!»

فسأله آلان: «هل كنت تعرفه يا سام؟»

فعاد اللص يحك ذقنه وقال: «إنني أحد الأشخاص القليلين الذين رأوا (اندقاق) على حقيقته من غير أي تنكر! إن أحداً لا يستطيع إتقان التنكر مثله!»

وكان الجاويش قد أعد البطاقة الخاصة باللص المفرج عنه، وسلمه إياها.. ولما هم هذا بالانصراف قال له ومبوري:

ـ إذا ظهر (الدقاق) فقد نحتاج إليك يا سام!

فهز سام هاكيت رأسه وقال: «إنه لن يظهر أبداً لقد غرق! إنني أعتقد بصحة ما نشرته الصحف!»

وكان الدكتور لوموند يرقب ذلك اللص القصير القامة حتى انصرف، ثم هز رأسه وقال:

ـ ذلك شخص شديد التفاؤل! ألم تلحظ يا ومبوري انبطاح جمجمته؟ بودي لو آخذ مقاييسه!

* * *

كان ألان ومبوري ينتظر يوم الأربعاء بصبر نافد، وقد خيل إليه أن الأيام الباقية قبله أطول كثيراً من الأيام الأخرى!

ولما حل ذلك اليوم الموعود، تلقى من ماري خطاباً طلبت فيه إليه أن يقابلها في مشرب صغير للشاي في وست إند.. وحددت له ساعة المقابلة فسره ذلك كل السرور!

وقبل ربع ساعة من الموعد المحدد، كان ألان جالساً في ذلك المشرب، ثم أقبلت ماري بقدها المياس ووجهها الفاتن، وكانت مرتدية سترة زرقاء توائم بشرتها البيضاء.

وقالت له: «كنت أريد أن ألقاك في محل بلا كهيث.. ولكني خشيت أن يرانا أحد عملاء المستر ميستر فيحسب أن لي علاقة خفية برجال البوليس السري لأنبئهم بأسرارهم!»

فضحك ألان مبتهجاً برؤيتها وسماع صوتها، وزاد في ابتهاجه أن ماري كانت مسرورة هي الأخرى إلى حد لم يعهد عليها منذ عهد بعيد!

ولم يكن بمشرب الشاي أناس كثيرون، فانتحيا ركناً منعزلاً هادئاً فيه وأخذت تحدثه عن آمالها في المستقبل، وكانت تذكر ميستر في حديثها باسمه الأول فقط «موريس» فيشعر ألان لذلك بغيرة شديدة، لكنه كان يجاهد لإخفائها!

وتحدثت ماري عن جوني فذكرت أن موريس سيعد مزرعة للدواجن من أجله ليعمل في إدارتها بعد خروجه من السجن! وكانت تعد الأيام الباقية عليه في سجنه، وتحدد اليوم الذي يخرج فيه، على أساس إعفائه من ربع المدة المحكوم بها عليه لحسن مسلكه!

وأخيراً.. وبعد تردد طويل، وجه إليها السؤال الذي كان يجول بخاطره، فأجابت قائلة:

ـ أجل.. إنه يذكرك في خطاباته إليّ.. وهو لا يشعر بأي ضغن لك وأحسب أنك ستكون له نعم الصديق حين يخرج من السجن!

ثم ذكرت له أنها ـ لكثرة عملها ـ تجد الوقت يمضي مسرعاً، وأكدت غير مرة أن موريس شفيق بها إلى حد كبير! كما ذكرت له أنها ألفت المعيشة في مسكنها، وقد استعانت بخادمة صغيرة في المدة الأخيرة، وأفاضت في الحديث عن هذه الخادمة قائلة: «إنها غريبة الأطوار، لا يهدأ لها بال حتى تذكر لي كل أنباء حي دبتفورد.. وبطلها المحبوب هو المجرم المعروف باسم الدقاق. ولعلك تعرف عنه الكثير، وتعرف أنه بطل كل السذج في دبتفورد.. فإنهم يروقهم أن يتغلب أي إنسان على رجال البوليس، وهم يؤكدون أنه الآن في انجلترا، برغم ما أذيع عن غرقه في استراليا!

ـ إذا كنت مهتماً بأمر الدقاق.. ففي استطاعتي أن أقول لك شيئاً شائقاً.. لقد قابلت زوجته!

فبدت الدهشة في وجهه وقال لها: «أتعنين أنك قابلت كورا آن ملتون؟!»

وضحكت ماري من دهشته، ثم قصت عليه ما كان من زيارة كورا آن ملتون لها.. ولكنها لم تذكر تفصيل الحديث الذي دار بينهما، ولا تحذيرها إياها من موريس ميستر. وقد اشتد اهتمامه حين ذكرت نبأ الشفرة فقالت:

ـ لقد تذكرتها الآن فقط! إنها في مكتبي وكان ينبغي أن أرسلها إليها! فقال الان لها: «بطاقة عليها شفرة؟ إن هذا أمر هام! أيمنك إحضارها إلى غداً؟»

فأومأت برأسها موافقة، وعاد هو يسألها: «هل رأيتها بعد ذلك؟ هذا عجيب حقاً! لماذا زارتك كورا آن ملتون.. وفي الليلة التي قبض فيها على جون بالذات؟!»

وقالت ماري مقطبة: «لم أرها بعد ذلك، والآن دعنا من الحديث عن الدقاق فإنه حديث غير شائق!».

ثم تريضا معاً في حديقة جرين العامة، وتناولا العشاء في مطعم سوهو. وقد حدثها عن رئيسه الجديد المفتش المركزي بليس ذي اللحية السوداء. واشتد في كلامه ضده حتى انفجرت ضاحكة!

كان ذلك اليوم أسعد أيام ألان ومبوري.. ولما افترق عنها أخيراً بعد أن ركبت الترام عائدة إلى مسكنها، شعر بأن قلبه يكاد يتمزق!

وكان ميستر قد طلب إليها أن تمر على المكتب في طريق عودتها إلى مسكنها، ولكنها كانت قد حددت الساعة التاسعة مساء أقصى موعد لعملها عنده، وعلى هذا توجهت إلى مسكنها رأساً، إذ كان هذا الموعد قد فات!

وكانت قد أدخلت إلى مسكنها مظهراً من مظاهر الترف هو جهاز التليفون الذي أصر موريس على تزويد مسكنها به، فلما فتحت الباب وهمت بالدخول سمعت جرس التليفون يدق فأسرعت إلى المنضدة التي وضع عليها. وكان المتكلم هو ميستر كما توقعت!

وقال لها ملاطفاً: «يا فتاتي العزيزة.. أين كنت! لقد انتظرت قدومك منذ الساعة الثامنة!»

فنظرت إلى الساعة التي في معصمها، وكانت العاشرة إلا ربعاً، وقالت له:
«إني آسفة يا موريس.. وإن كنت لم أعدك وعداً قاطعاً بأن أمر على المكتب!»

فسألها بارتياب: «هل كنت في مسرح أو سينما؟ إنك لم تذكرى من قبل شيئاً عن ذلك!»
فقالت له: «لقد كنت على موعد مع أحد الأصدقاء»
فسألها: «أكنت مع رجل؟»

وكاد صبرها ينفد من هذه الأسئلة وكأنما كرهت أن يحقق معها أحد وأحسّ هو ذلك منها لعدم إجابتها عن سؤاله الأخير، فقال لها:

ـ اغفري لي فضولي يا عزيزتي.. إنني أرعاك رعاية أبوية في أثناء غياب جوني.. ويهمني أن أعرف..

فقاطعته قائلة بإيجاز: «لقد ذهبت لتناول طعام العشاء مع صديق لي، وأنا آسفة لأنك انتظرتني ولكني لم أعدك بالحضور!»
وسكت موريس لحظة ثم قال: «ألا يمكنك المجيء الآن؟»

فقالت: «كلا! إن الوقت متأخر. . وماذا تريد مني أن أعمله في هذه الساعة؟»

ولو أنه أجابها مباشرة لصدقته، لكنه سكت حتى سألته هي: «أهناك شهادات أنسخها في هذه الساعة من الليل؟ ما أسخف ذلك! سآتي مبكرة صباح غدا!» وهنا قال لها:

ـ هل صديقك الذي قابلته الليلة هو ألان ومبوري مفتش البوليس؟ .

فرأت ماري أن خير جواب عن هذا السؤال هو أن تدع جهاز التليفون!

ثم ذهبت إلى غرفة نومها الصغيرة لتخلع ثيابها، في حين تركت آنية تغلي على الموقد، وأغلق تيار الهواء باب الغرفة وراءها، فأشعلت مصباح الغاز وأغلقت النافذة. . وكانت قد منحت خادمتها إجازة في ذلك اليوم، وقد خرجت الفتاة قبلها. ثم أخذت تغلق جميع النوافذ خشية ازدياد هبوب العاصفة.

ولاحظت أن النوافذ مفتوحة كلها، فدهشت وأخذت تتلفت حولها وقد تملكها الرعب!

لقد دخل الغرفة أحد من الناس في غيبتها! فهذا هو أحد أدراج الخزانة قد فتح قسراً، ولكن شيئاً لم يسرق منها! وكذلك كانت خزانة ثيابها قد فتحت، وفتش الدرج الذي بأسفلها! وعندئذ تذكرت الظرف الذي به الشفرة، ولم تجده حيث وضعته هناك!

ترى من الذي اقتحم مسكنها وفتح أدراجها؟! إنه لاشك ليس لصاً عادياً، لأنه لم يسرق سوى ذلك الخطاب الذي يحوي الشفرة!

ثم عادت إلى النافذة وفتحتها ونظرت منها إلى الفناء الذي تطل عليه، فإذا بينها وبينه مالا يقل عن خمسين قدماً!

وكانت هناك شرفة بارزة من مطبخ مسكنها وإلى يمين هذه الشرفة مصعد صغير تستخدمه ربات الدار للحصول على لوازمهن المنزلية من الباعة. وكان هذا المصعد وقتئذ على الأرض، وقد رأت الحبال الصلب التي يصعد بها. فقالت لنفسها: إن الشخص الخفيف الحركة يستطيع أن يصعد إلى مستوى الشرفة بوساطة تلك الحبال المتينة دون كثير جهد! ولكن أي رجل يجازف بحياته هكذا. . لا لشيء إلا البحث عن خطاب كورا آن ملتون؟!

وكان لها مشعل كهربائي بالمطبخ، فأخذته لزيادة الفحص. وعندئذ رأت آثار أقدام على السجادة، وكانت سجادة جديدة ومن السهل أن تنطبع عليها كل بقعة وقد رأت عليها

آثار وحل لقدمين اثنتين، وعجبت كيف لم ترها لأول وهلة عند دخولها في الغرفة!

ثم اكتشفت شيئاً آخر . . إن منضدة الزينة التي تركت كل الأدوات عليها مرتبة، كانت ظاهرة الفوضى. وقد وجدت فرشاة للملابس عند إحدى أقدام السرير، والظاهرة أن أحداً قد استعملها لينظف ثيابه، فقد كانت مبللة وعلى أطراف شعرها وحل!

وكذلك كانت فرشاة الشعر قد استعملت، فقد وجدت بين شعرها الأبيض شعرة سوداء! وتذكرت أن أباها كان يتخذ أية فرشاة لترتيب لحيته، فقالت لنفسها:

ـ لابد أن أحداً ذا لحية سوداء، قد استخدم هذه الفرشاة أمام المرآة: وضحكت لذلك، ولكنها لم تلبث أن تركت الضحك إلى الجد، فقد دق جرس الباب، ولما فتحت وجدت أن القادم هو البواب، وقال لها:

ـ آسف لإزعاجك يا آنسة! ولكن هل دخل أحد مسكنك في أثناء غيابك؟

فقال له وهي تريه آثار ذلك الزائر المجهول:

ـ هذا ما أسائلك عنه يا جنكنز

فقال البواب: «لقد كان هنا رجل يطوف حول العمارة طول المساء! وهو رجل ذو لحية سوداء صغيرة، وقد رآه أحد الساكنين في فناء الدار قبل أن يحل الظلام، وكان ينظر إلى مصعد البضاعة! كما ذكرت السيدة التي تسكن الشقة المواجهة أنها رأته يطرق هذا الباب عشر دقائق فلم يفتح له أحد. . وكان ذلك حوالي الساعة الثامنة. . هل ضاع لك شيء يا آنسة؟؟»

فهزت رأسها وأجابت: «لم يضع شيء ذو قيمة!» ذلك أنها لم تقدر بطاقة شفرة الدقاق حق قدرها!

وبقيت ماري وقتاً طويلاً وهي تفكر في الأمر، وتعصر ذهنها لعلها تتذكر متى وأين ذكر أمامها رجل ذول لحية سوداء، وأخيراً تذكرت فجأة حديثها مع ألان وكلامه عن المفتش المركزي بليس!

وأمسكت دليل التليفونات، وأخذت تقلب صفحاته حتى عثرت على رقم قسم البوليس (فلاندرزلين) وسألت عن المستر ومبوري فقيل لها: «إنه لم يعد بعد، وقد كان طول اليوم في الخارج ومن المنتظر أن يعود في أية لحظة». فذكرت اسمها ورقم تليفونها ليتصل بها تليفونياً عند حضوره.

وبعد ساعة تقريباً، دق جرس التلفون في مسكنها. وسمعت صوت ألان يحيها، فذكرت له بإيجاز ما حدث، وقد دهش من ذلك كل الدهشة وقال لها: «إني لا أتصور أنه الشخص الذي ذكرته الآن!»

فقالت له: «أرجو منك أن تأتي فوراً»

وجاء بعد دقائق معدودة، حتى لكأنما طار إليها! وقال وهو يدخل المسكن:

ـ لقد جئت في سيارة مأجورة (تاكسي). . وقليلاً ما توجد سيارات الأجرة عند طلبها في (هاي ستريت) بحي (دبتفورد). . ولكني كنت حسن الحظ!

وكانت هذه أول مرة يزورها في مسكنها بعد القبض على أخيها. وقادته إلى غرفتها وأطلعته على آثار زيارة ذلك الشخص المجهول.

ولما ذكرت له ارتيابها في أن يكون المفتش بليس هو ذلك الشخص قطب جبينه وقال لها:

ـ بليس؟. لماذا يأتي بليس إلى هنا؟! وما الذي ينتظر أن يجده عندك! فقالت له وهي تبتسم: «هذا ما أريد أن أعرفه!»

وكانت بادية الطمأنينة لوجوده معها. ثم استطردت قائلة:

ـ إذا كان قد جاء من أجل الخطاب، فقد كان يمكنه أن يأتي البيوت من أبوابها!

فهز رأسه. . ثم قال لها بغتة: «هل لديك هنا أي شيء من ميستر. . أعني أي أوراق؟»

فأجابت بأنها لا تحتفظ في مسكنها بأي شيء من أوراق المكتب

فسألها: «أليس لديك مفاتيح خاصة به؟»

فأجابت: «عندي هنا مفاتيح داره. . إن طاهيه العجوز لا يكاد يسمع دق الجرس لضعف سمعه، وهو (ميستر) قل أن يكون بالبيت حين أذهب إليه. ولذلك أعطاني مفتاحاً للباب الخارجي، وآخر للغرفة!»

ـ وأين تضعينهما؟

ـ إني أحملهما معي في كيس يدي. . ولكن ما الذي يهم المفتش بليس من مفاتيح ميستر؟ إني أحسبه يقدر أن يزور ميستر في بيته علناً حين يشاء!

ولكن ألان ومبوري كان قد اتجه به الفكر اتجاهاً آخر. . ترى أيعلم بليس بزيارة كورا آن ملتون للفتاة؟ وإذا فرض أنه اضطلع خفية بمهمة اقتفاء أثر الدقاق لأن المكتب المركزي

باسكتلانديارد يريد أن يعمل مستقلاً في هذه المسألة، فما يدعو بليس إلى أن يقتحم مسكن ماري لنلي بحثاً عن مفتاح بيت ميستر؟ وإذا فرض أنه جاء ليبحث عن الخطاب الذي يحوي الشفرة. فكيف علم بهذا الخطاب؟!

وقال ومبوري لنفسه بعد تفكير عميق: «إن رجلاً واحداً قد جاء ليأخذ هذا الخطاب.. وهذا الرجل لا يمكن أن يكون إلا الدقاق!»

وكانا قد تركا باب المسكن مفتوحاً، فرأيا البواب قادماً إليه، ثم قال هذا للفتاة:

ـ ما رأيك يا آنسة؟. إن ذلك الرجل في الخارج الآن.. أأنادي أحد الشرطة؟

فسألته: «أي رجل؟» وسأله ألان بدوره: «أتعني الرجل ذا اللحية السوداء؟»

وكان البواب لا يعلم أن ألان ومبوري ضابط بالبوليس. وما كاد يجيب بأنه هو ذلك الرجل نفسه حتى أسرع ألان فهبط الدرج، وهناك أمام الدار على الجانب الآخر من الطريق رأى رجلاً لا يحاول أن يستتر، إذ كان واقفاً تحت مصباح الشارع، غير أنه انتحى جانباً حين رأى ومبوري ينتقل من الجانب الآخر للطريق. وقبل أن يصل ومبوري إليه أدرك أن ماري كانت على صواب فيما افترضته.. فقد كان ذلك الرجل هو المفتش المركزي بليس!

وحياه هذا ببرود قائلاً: «مساء الخير يا جناب المفتش!»

فقال له ومبوري بغير مقدمة: «لقد اقتحم أحد الناس مسكن الآنسة لنلي في هذه الليلة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه أنت!»

ـ أنا اقتحمت مسكن الآنسة لنلي؟ أتحسبني لصاً؟

ـ لقد رآك بعض الناس في فناء الدار قبيل الغروب وأنت تفحص مصعد البضاعة. والثابت أن الرجل الذي سطا على المسكن قد وصل إليه متسلقاً ذلك المصعد!

فقال المفتش بليس: «في هذه الحالة ليس أمامك إلا أن تقودني إلى قسم البوليس وتوجه إليّ التهمة! ولكن قبل أن تفعل ذلك سأيسر لك مهمتك.. فأنا أعترف بأني تسلقت تلك الحبال الجهنمية، وأني فتحت عامداً نافذة غرفة الآنسة ودخلت الغرفة منها حيث فتشتها.. ولكني لم أجد ما ذهبت من أجله مع الآسف.. لأن رجلاً سطا على المسكن من قبلي وأخذ ذلك الشيء!»

ـ وهل أنت موقن بأن أحداً سبقك إلى اقتحام المسكن؟

ـ نعم، أنا على يقين من ذلك، فأنا لم أتسلق تلك الحبال إلا بعد أن شهدت شخصاً يصعد بتلك الطريقة ويفتح النافذة من الخارج. وكان ذلك قبيل الغروب.. وعلى أثر ذلك

صعدت إلى المسكن وطرقت الباب. ولما لم يفتح لي أحد رأيت أن أصعد بوساطة تلك الحبال.. فهل اقتنعت بذلك يا مستر ومبوري؟ أم تراني قد تخطيت حدود واجباتي في مطاردة أحد اللصوص؟!

وشعر آلان بالحيرة إذ سمع ذلك! ثم سأل المفتش بليس بعد ذلك: «هل قلبت محتويات الأدراج؟

ـ كلا! وأحسب الذي سبقني هو الذي فعل ذلك! وأظن أنه لم يجد ما جاء من أجله، ولذلك أتوقع أن يعاود الكرة الليلة! ومن أجل ذلك تجدني هنا.. ألديك أسئلة أخرى؟

وهز ومبوري رأسه نفياً، فواصل بليس كلامه قائلاً:

ـ حسناً! أنت إذن.. لاتفكر في أن تدعوني إلى مقابلة رئيسك؟. وعلى كل حال، أرى أن وجودي هنا لم يعد هناك ما يدعو إليه!

ثم انصرف على أثر ذلك ماشياً بأقصى سرعته!

ولما عاد آلان إلى ماري أخبرها بالحديث الذي جرى بينه وبين المفتش بليس.. غير أن إخلاصه للواجب حال دون إبدائه رأيه الشخصي في ذلك وقال لها:

ـ ربما صدقني القول! وهو بالطبع إنما أدى واجبه في مطاردة لص وعلى كل حال سينجلي هذا الأمر بعد قليل، لأنه إذا كان صادقاً فلا بد أن يقدم تقريراً بما حدث!

وحين تركها بعد نصف ساعة، أخذ يتلفت حوله في الطريق أمام الدار باحثاً عن بليس.. ولكنه لم يجد له أثراً!

ولما ذهب إلى مركز البوليس وجد أن بليس قدم تقريراً ذكر فيه تفصيل ما حدث، كما ضمنه أن مفتش القسم آلان ومبوري مضطلع بهذه القضية!

وعجب آلان من ذلك، وعاد يحدث نفسه: «إذا كان ما ذكره بليس حقاً.. فمن إذن يكون ذلك الرجل الآخر الذي اقتحم المسكن؟ وأي غرض له من ذلك سوى الحصول على الشفرة؟

وقد جعله هذا يشعر بقرب الدقاق قرباً لايدع مجالاً للطمأنينة! لكن هذا اللغز لم يحل بعد!

* * *



«إن الرجل الذي سطا على هذا المسكن قد وصل إليه مستلقاً ذلك المصعد»

كانت هناك مشكلتان صغيرتان تحيران ماري لنلي. . وكانت لاتفتأ تسائل نفسها: أينبغي لها أن تخبر موريس بأنها خرجت مع ألان ومبوري إلى مشرب الشاي؟ وأن تخبره بالسرقة التي حصلت في مسكنها؟

ولم يكن موريس في داره حين وصلت إليها. . وكان المستر صمويل هاكيت الذي عين خادماً في الدار منذ أيام منهمكاً في تنظيف النوافذ. ورغم معرفتها بسوء ماضيه كانت تشعر بالرثاء له والعطف عليه!

وما كاد يراها حتى حياها قائلاً:

ـ صباح الخير يا آنسة! إن الرجل العجوز لايزال في فراشه!

فقالت: «لابد أنه سهر في الليلة الماضية!». ثم همت بأن تمضي إلى مكتبها حتى لاتشجعه على الاسترسال في الحديث، لكنه قال لها:

ـ إن هذا الدار القديمة عجيبة جداً يا آنسة! إنها أقرب إلى جحور الأرانب منها إلى الدور العادية!

فقالت له: «إن هذه الدار شيدت حين كان (بطرس الكبير) يقطن هذا الحي!»

فقال لها: «لست أعرف بطرس هذا! هل كان ملكاً؟ ربما يكون ذلك من أكاذيب ميستر الكثيرة!»

فقالت له وهي تنفض التراب على آلتها الكاتبة: «إن التاريخ نفسه هو الذي يقول ذلك!»

فقال لها: «أنا لا أبالي التاريخ! إنه هو أيضاً مجموعة أكاذيب! إنك يا آنسة لاتتصورين عدد الكتب التاريخية التي قرأتها! لقد قرأت كتب ماكولي وجيبونز. . وذلك الشخص الذي كتب عن روما!»

وقد أدهشها ذلك، لأنها لا تعرف عن هذا الرجل سوى أنه لص سابق! قالت له: «هل قرأت كل هذه الكتب حقاً؟»

فأجاب: «نعم يا آنسة، ودرستها كذلك. . إن الإنسان يجب أن يشغل نفسه بشيء ما حين يكون في السجن!». وعندئذ أدركت سر اطلاعه على كتب التاريخ!

وقد تسلل مرة أو مرتين إلى المعزف (البيانو)، ولعله كان يقدر ميستر بوصفه موسيقياً أكثر من تقديره إياه بوصفه محامياً. ثم قال لها: «سأذهب غداً إلى اسكتلانديارد يا آنسة!»

وأدركت أن ذهابه إلى هناك لابد أن يكون إجراءات رسمية تتصل بخروجه حديثاً من السجن، فأظهرت له جانب الاهتمام مجاملة له. . بينما استطرد هو فقال:

- إني لم يسبق لي الذهاب إلى هناك، ولكني أحسب أنها لا تختلف عن أي مكتب لأحد (المشغولين). . أعني ضابط البوليس. . فهناك مكتب وكرسي وزوج من الأغلال الحديدية. . وجاويش وخمسة وأربعون كذاباً و. .

وقطع عليه حديثه دخول ميستر في تلك اللحظة، وخيل إلى ماري حين وقع بصرها عليه أنه بادي التعب والإعياء. ثم تحققت ذلك حين صرف خادمه، وقال لها: «إنني لم يغمض لي جفن طول ليلتي. ثم سألها «أين ذهبت؟»

ورأت الفرصة سانحة لتخبره بالسطو على مسكنها. ولكنها لم تشر في كلامها إلى الخطاب المسروق، لأنها لم ترد أن تنبئه بزيارة كورا آن ملتون لها. وكان يستمع لها باهتمام حتى ذكرت له مادار بين ألان ومبوري وبليس فقال لها:

- بليس؟ إن هذا أمر عجيب!

ووقف من شدة الاهتمام وقال: «بليس؟! إني لم أره منذ سنوات. . لقد كان في أمريكا. . إنه شخص بارع. . بليس؟!»

فقالت له: «أليس عجيباً يا موريس أن يتسلق الحبال ليقتحم مسكني، وأن يسبقه أحد إلى ذلك؟! ماذا يمكن أن يسرقه لص من مسكني الصغير البائس؟!»

فقال لها: «أنا لا أصدق ذلك! لاشك أن بليس كان يبحث عن شيء معني في مسكنك! أما أن أحداً سبقه إلى اقتحامه فهذه أكذوبة اخترعها!

فقالت له: «الكن. . ماذا يمكن أن يجده في مسكني؟»

ولكن موريس ميستر كان في شغل عنها! لقد كان يفكر في مجيء بليس من أمريكا، ويسائل نفسه عن الداعي لذلك! إن استدعاء مفتش مركزي مثل بليس إلى حي دبتفورد لايمكن أن يعني إلا أن حادثاً هاماً قد وقع!

وأخذ ميستر يستعيد في ذهنه كل الحوادث التي يمكن أن تستدعي قدوم مثل هذا البوليس السري الكبير. . وعجب إذ تذكر أن حي دبتفورد ظل هادئاً ولم يقع فيه حادث ذو شأن منذ ثلاثة أشهر على الأقل. وقد كانت له يد في أكثر السرقات بالحي، لكنها كلها سرقات صغيرة لا يتطلب من اسكتلاند يارد استقدام رجل مثل بليس إلى هذا الحي!

وانتهى به التفكير إلى أن اسكتلاند يارد ربما استقدمت بليس ليكتشف مدى علاقة مفتش البوليس الجديد ألان ومبوري بآل لنلي. . ثم أخذ يتناول طعام الفطور، وكان كالمعتاد في كل يوم لايحوي سوى فنجان قهوة وصحفة فاكهة وبسكويت. . ثم تناول جريدة الصباح وأخذ يقرأ عناوينها فلفت نظره من بينها عنوان كبير هو «تمرد في سجن. . سجين ينقذه حياة محافظ السجن»!

وقرأ النبأ كله، ولم تكن الجريدة قد ذكرت به أسماء. . وإنما قالت: إن المسجونين في أحد السجون ثاروا، وكادوا يفتكون بمحافظ السجن، لولا أن أنقذه واحد منهم، إذ دافع عنه بيد مكنسة حتى جاء السجانون وأخمدوا الثورة!

وكان موريس ميستر يقرأ النبأ ووجهه يفيض بالسخرية، إذ كان شديد الازدراء للمجرمين، لايكاد يعدهم من البشر! ثم ابتسم وهو يسائل نفسه عن الجزاء الذي سيكسبه ذلك السجين الذي أنقذ حياة محافظ السجن، وفتح علبة السيجار وأخذ سيجاراً وقضم طرفه، ثم عاد به فكره إلى ماري والحادث الذي وقع في مسكنها وساءل نفسه: «ترى ماذا يفعل المفتش بليس في حي دبتفورد؟ وحاول أن يتذكره كما رآه منذ سنوات، لكنه لم يستطع! ثم جاء هاكيت ليأخذ آنية الفطور، ونظر في الجريدة المنشورة أمام ميستر فقرأ النبأ الذي نشرته عن تمرد المسجونين وقال:

ـ إن محافظ السجن هذا رجل طيب! وما أدرى كيف ثار المساجين ضده؟

فاستاء ميستر وقال له: «إذا أردت أن تبقى على عملك هنا فلا تتكلم إلا إذا سئلت!»

ـ معذرة. . إني ثرثار بطبعي!

ـ إذن. . أشبع ثرثرتك مع غيري!

وخرج هاكيت من الغرفة حاملاً الصينية! وبعد دقائق عاد يحمل ظرفاً مستطيلاً أصفر اللون. فاختطفه ميستر من يده. . وكان مكتوباً في أعلاه:

«عاجل وسري»، وعليه خاتم اسكتلانديارد!

وسأل هاكيت: «من الذي أحضر هذا الخطاب؟»

فرد سام قائلاً: «شرطي!»

فأشار موريس إلى الباب وقال له: «اخرج!»

وانتظر حتى خرج سام هاكيت من الغرفة وأغلق الباب وراءه، ثم فض غلاف الخطاب

بيد مرتعشة. وقرأ فيه ما يأتي:

«سيدي.. يشرفني أن أخبرك أن المدير المساعد الكولونيل (والفورد) يريد لقاءك بمكتبه في (اسكتلانديارد) في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل ظهر غد والأمر هام جداً، ولذا يأمل المدير المساعد أن تبذل كل جهد للمجيء في ذلك الموعد، وأن تبرق إليه إذا لم تستطع المجيء فيه!»

دعوة إلى اسكتلانديارد؟! إنها أول دعوة تلقاها ميستر مَنها! ترى ما هو الحافز إليها؟

وقام من مجلسه، وفتح خزانة أخرج منها زجاجة طويلة من البراندي وصب جانباً كبيراً منها في كأس وتجرعه على الفور!

ونقم من نفسه ارتعاش يده! لكن: ما الذي تعرفه عنه اسكتلانديارد وما الذي تريد أن تعرفه؟ إن مستقبله، وحريته، يتوقفان على هذين السؤالين. غداً! إنه اليوم الذي اعتزم أن ينفذ فيه خطة ما! . إن اسكتلانديارد قد منحت ماري لنلي - بغير قصد - يوماً ترتاح فيه!

في اسكتلنديارد

لبت ماري طلب موريس ميستر . . فجاءت إلى المكتب مبكرة في صباح اليوم التالي، وعجبت إذ وجدته قد استيقظ وارتدى ملابسه! وكان شديد العناية بهندامه، ولذلك كان يلبس ثيابه في بطء، كما كان يحلو له أن يتجول في أرجاء داره وهو بجلباب الراحة إلى أن يأت عملاؤه فيأخذ في ارتداء بذلته!

ولاحظت ماري أنه قلق إلى حد بعيد، فهو يروح ويجيء في الغرفة ويداه خلف ظهره. وكان بادياً أنه لم يذق النوم طول ليلته، لكنه حينما سألته في ذلك أجاب قائلاً: «لقد نمت جيداً!»

وكان صوته ينم عن قلقة واضطراب أعصابه! ولم يخطر لماري وقتئذ أنه في رعب شديد يحاول جهده أن يخفيه! ثم قال لها:

ـ عليّ أن أذهب إلى اسكتلانديارد يا عزيزتي:

وقبل أن تتكلم، تكلف الابتسام وأردف قائلاً: «إني أسائل نفسي هل تريدين أن تذهبي معي إلى هناك؟!»

ولم يفته أن يلحظ نظرة الاستياء في عينيها، فقال: «لست أقصد ذهابك إلى اسكتلانديارد نفسها. . ولكن لعلك تحبين أن تنتظريني في مشرب شاي حتى آتي إليك!»

ولم تكن تتوقع منه هذا الطلب فقالت له: «ما الداعي إلى ذلك؟»

وكان قليل الصبر وقتئذ، فقال لها بحدة: «إذا كنت لا تريدين المجيء فلا داعي لمجيئك!»

ولكنه سرعان ما غير لهجته وأردف قائلاً: «هناك شيء أو شيئان أريد أن أكلمك عنهما! بعض شؤون العمل التي تحتاج إلى الكتابة!»

وسار إلى منضدتها وتناول ورقة وقال لها: «هنا أسماء بعض الناس وعناوينهم. . وأحب أن تضعي هذه الورقة في كيس يدك. . ويجب إخبار أصحاب هذه الأسماء إذا. . إذا حدث شيء. . أعني عند الضرورة!

ولم يذكر لها أنه قضى الليل وعرقه يتصبب من الخوف، بين نوم متقطع تتخلله أحلام مخيفة، ويقظة قلقة تمضي في التفكير فيما يخبئه الغد! كذلك لم يقل لها: إن الأسماء التي كتبها هي أسماء أناس ذوى نفوذ يمكنهم أن يشهدوا له ويزكوه عند الحاجة.. ولو أنه صدقها القول لذكر لها أنه محتاج إلى صحبتها في ذلك الصباح لتبعث في نفسه عزاء قبل لقائه مدير البوليس. وإذا حدث له شيء بعد ذلك أمكنه أن يخبرها بما ينبغي عمله لصالحه!

ثم قال لها وهو يحاول أن يبدي قلة الاكتراث: «لا أدري لماذا دعيت إلى اسكتلانديارد.. ربما يكون الأمر متعلقاً بمسألة تافهة تخص أحد عملائي!»

فسألته بسذاجة: «أتدعى كثيراً إلى اسكتلانديارد في العادة؟»

فأجاب: «كلا! إني لم أذهب إلى هناك قط! بل الحقيقة إن استدعائي هذا هو أمر شاذ.. ولم أسمع قط باستدعاء محام إلى هناك!»

فقالت له: «هذا ما حسبته، فإن ألان قال لي مرة إن الإنسان لا يستدعي إلى اسكتلانديارد إلا (لتفريغه) أو للقبض عليه!»

فبدا الكدر في وجهه، وقال لها: «أرجو منك ألا تنقلي إليّ مرة أخرى كلام السوقة الذي تسمعينه من صاحبك! إنهم دعوني طبعاً لأني دافعت عن مجرم يريدون بعض معلومات عنه!»

ورأت ماري ألا تواصل الحديث عن هذا الموضوع الذي يثير ثائرته!

ولم يكن لديه سيارة خاصة به، كما أن مخزن السيارات الذي بتلك الجهة لم يستطع أن يرسل إليه سيارة فاخرة توائم مزاجه، ولذلك كان يستأجر من حي وست إند سيارة حديثة فخمة، فكان أهالي فلا ندرزلين يقفون للتفرج عليها في دهشة وإعجاب حتى تختفي به عن أنظارهم؟

وركبت ماري معه، وبدا لها أن أعصابه زادت هياجاً بدل أن تهدأ حين غادرا حي دبتفورد.. وقد سألها مراراً عديدة للتأكد من أنها لم تنس في المكتب رقعة الورق التي بها أسماء أصدقائه ذوي النفوذ. وبعد أن سكت قليلاً وهو متجهم الوجه، سألته: «هل قرأت نبأ التمرد في أحد السجون؟»

فقال لها: «نعم.. لكن ماذا يهمك منه؟»

فقالت: «إنه السجن الذي به جوني.. وقد انزعجت حين قرأت هذا النبأ، فإني أعلم أن جوني متهور، وأخشى أن تكون له يد في تلك الحركة.. ألا توجد وسيلة لمعرفة

الحقيقة؟»

وهنا بدا الاهتمام على ميستر وقال لها: «هل جوني في ذلك السجن؟ لم أكن أعلم ذلك! نعم ياعزيزتي سوف نعرف الحقيقة!»

والظاهر أنه شغل بذلك لأنه قال بعد مدة: «لعل جوني لم يتورط في ذلك التمرد، وإلا نقصت درجات سلوكه!»

ولما وصلت بهما السيارة إلى شاطىء التيمس أوقفها بالقرب من باب اسكتلانديارد وقال للفتاة:

ـ لعلك تحبين أن تمكثي بالسيارة حتى أعود؟

فسألته: «أتمكث طويلاً؟». ولا ريب أن ميستر كان لايتردد في دفع مبلغ طائل من المال لمن يقدر أن يجيب عن هذا السؤال إجابة صحيحة.. ولكنه أجاب قائلاً:

ـ لا أدري! إن جماعة الموظفين مشهورون بالبطء في عملهم! وأياً كان الحال فيمكنك أن تتسلى كما تشائين!

وفيما هو يحدثها، لمح شخصاً ينزل من الترام ويدلف إلى دار اسكتلانديارد فقال وهو لايكاد يصدق عينيه:

ـ هاكيت؟ إنه لم يخبرني بأنه سيأتي إلى هنا! لقد قدم لي طعام الفطور قبل نصف ساعة من حضورك!

وكـانت عضلات وجهه تختلج! فعجبت ماري كيف يؤثر فيه هذا الأمر البسيط كل هذا التأثير!

ثم تركها ومضى حتى وصل إلى باب اسكتلانديارد.. وهناك وقف لحظة متردداً، دما يقف الحيوان البري بباب الفخ الذي نصب له!

ماذا يعرف هاكيت عنه؟ وماذا يمكنه أن يقول؟ إنه حين رضى بأن يستخدمه لم يفعل ذلك بباعث الخير، بل إنه بالعكس شعر بأنه يعقد صفقة. ولكن.. هل هاكيت في خدمة البوليس؟ هل هو «أنف».. أي مخبر أرسله البوليس إلى بيته ليتجسس عليه، ويطلع على أوراقه وأسراره، ويكشف خبايا المخازن المغلقة والسراديب المظلمة التي في داره؟

ثم استجمع جرأته ودخل الدار أخيراً محاولاً جهده أن يبدو على خير ما يروم!

* * *

أرادت ماري أن تقرأ إحدى الصحف في أثناء انتظارها بالسيارة، ولكن الحركة التي كانت تدور حولها شغلتها عن القراءة، فقد كانت تمر بها عربات الترام مزدحمة بالركاب، وكانت صفوف من السيارات تعبر الكوبري القريب منها، وقد بدت المدينة رائعة من خلال الواجهة الزجاجية للسيارة.

وساءلت نفسها عما إذا كانت دواعي العمل ستأتي بصديقها ألان ومبوري إلى اسكتلانديارد في تلك الساعة!

وفيما هي مشغولة بهذه المناظر والأفكار، لمحت ظهر رجل مر بجانب السيارة مسرعاً قبل أن ترى وجهه، ولكنها عرفته لتوها فخرجت من السيارة مسرعة ونادته: «آلان . . آلان!»

وعرف هو صوتها فالتفت في دهشة وقال لها: «ماري؟! ما الذي جاء بك إلى هنا؟ أم تراك قد أتيت مع ميستر؟!»

فقالت له: «هل تعلم أن ميستر قد استدعى إلى اسكتلانديارد اليوم؟»

فأومأ ألان برأسه وقال: «نعم!»

فسألته: «هل استدعي لأمر هام؟ أحسب أنه قد انزعج من هذه الدعوة!»

وكان بوده لو أجاب بأن الخوف الذي اعترى ميستر قبل مجيئه إلى اسكتلانديارد لايكاد يذكر إلى ما ينتظره. لكنه غيّر مجرى الحديث بأن سألها: «لعلك لم تأتي بهاكيت أيضاً إلى هنا؟»

فهزت رأسها نفياً وقالت: «كلا! إن ميستر نفسه لم يكن يعلم بقدر هاكيت إلى اسكتلانديارد. . ويبدو أنه قد ساءه مجيئه! ماسر ذلك كله يا ألان؟ إنني في حيرة إزاء هذه الألغاز!»

فضحك وقال لها: «ليس في الأمر ألغاز يا عزيزتي كما تتوهمين!»

فقالت: «على كل حال، لست أحسب أنها تعنيني! لكن أتعقدون مثل هذا الاجتماع كثيراً؟»

وفي هذه اللحظة، وقفت سيارة فاخرة أمام السيارة التي هي بها، ونزل سائقها ففتح بابها، ثم هبطت منها فتاة مرتدية ثياباً غالية وقد فاحت منها رائحة عطر شرقي وكانت تدخن

سيجارة. فقال ومبوري لصاحبته: «إنها حسناء أليس كذلك؟ لعلها صديقة لك؟»

فنظرت إليها ماري وقالت بدهشة: «أحسبها السيدة ملتون؟! يجب أن أدركها!»

وأومأت إليه محيية فقال لها: «إنك تعرفين أين تجدينني إذا احتجت إليّ يا ماري!»

وجاء شرطي فطلب من سائق السيارة أن يبتعد بها قليلاً، فسار السائق بها إلى يسار مدخل اسكتلانديارد ووقف في نقطة يمكن ماري منها أن تنظر البناء جيداً. ولم يكن يبدو كمقر رتيبي للبوليس السري، بل كان أقرب إلى أن يكون المقر الرئيس لشركة تأمين مثلاً، أو إلى بناء حكومي شيد على الطراز الغوطي.

ترى ما الذي يجري وراء تلك النوافذ؟ وأية فاجعة أو مأساة تمثل في تلك الغرف التي تطل نوافذها على النهر؟

وفكرت ماري في جوني فأحست رعدة تسري في جسدها! إن له أوراقاً في مكان ما بهذا البناء، وهذه الأوراق تحوي اتهامه وبصمات أصابعه وعلامات جسمه ولون بشرته وطوله الخ. لقد كان غريباً عليها أن تفكر في أخيها وقد أصبح رقماً على بطاقة! ترى هل للسجناء أيضاً أرقام يعرفون بها في السجن؟ يخيل إليها أنها قرأت مرة عن ذلك!

وشعرت فجأة بأن أحداً من الناس يرمقها وهي في السيارة، فلما التفتت إليه، رأت عينين زرقاوين ضاحكتين تنظران إليها، وأبصرت رجلاً طويل القامة، محني الظهر قليلاً، قد ارتدي بذلة رخيصة، وعلى رأسه الأشيب قلنسوة صغيرة. وكان يبدو عليه أنه يريد أن يكلمها، ففتحت باب السيارة وخرجت وقال لها: «ألست الآنسة لنلي؟

فابتسمت له وقالت: «نعم.. وأنت الدكتور لوموند.. وقد عرفتك!»

فقال لها: «ما أحسب أننا تقابلنا قبل اليوم!»

فقالت: «لقد حدثني ألان.. أعني المستر ومبوري عنك كثيراً، ووصفك لي حتى لكأني أعرفك من زمن!»

فضحك الدكتور لوموند ثم قال لها: «لكنك ليس بك فضول، وإلا لسألتني كيف عرفتك؟!»

ونظر نحو دار اسكتلانديارد وقال لها: «إنه بناء مقبض! لعلك لم يطلب حضورك إلى هنا رسمياً؟»

ثم أخرج من جيبه علبة طباق فضية، وبعد أن لف سيجارة، قال لها:

ـ لقد استدعيت من وسط بحوثي لأبحث جسماً دقيقاً!

ثم أردف قائلاً حينما رأى نظرة الاشمئزاز في عينيها:

ـ إنه ليس جثة يا عزيزتي.. بل جسم فتاة حسناء على قيد الحياة! ثم مد ذراعه الطويلة وصافحها بيده قائلاً:

ـ يسرني أن أراك مراراً يا آنسة لنلي.. ولعلي آتي يوماً لزيارتك وللتحدث معاً!

فقالت له: «إن هذا يسرني كثيراً يا دكتور!»

والواقع أنها ارتاحت إلى هذا الطبيب الشيخ، فإن في ابتسامته حيوية تنفذ إلى القلوب.. وقد راقبته حتى احتواه البناء واختفى عن ناظريها. ثم تساءلت: ترى أي جسم يقصد؟ لابد أنه يعني تحقيقاً، لأن ألان أخبرني بأن تحقيقاً سيجري مع السجين بريدو.!

ثم تذكرت فجأة كورا آن ملتون.. وشعرت بالعطف على الدكتور لوموند.. فإنه رجل لطيف المعشر ولا بد أنه سيلقى نصباً مع تلك السيدة الحسناء الشديدة المراس!

* * *

لم تر ماري المفتش المركزي بليس وهو يلج باب اسكتلانديارد.. ولعله هو أيضاً كان مشغول الذهن، حتى إنه لم يرد تحية الكونستابل الذي عليه نوبة حراسة الدار، ودخل تواً إلى غرفة الكونستابل الرئيسي. وكان بليس رجلاً نحيل الجسم، ملتحياً، شاحب الوجه، قد حاز احترام مرؤوسيه، وإن لم يكن له من محبتهم نصيب يستحق الذكر.

وقال الضابط لزميل له أقل منه رتبة: «هذا هو المستر بليس.. تنح عن طريقه، فقد كان سيء الخلق قبل سفره إلى أمريكا، وهو الآن أسوأ خلقاً!!»

ورآه المستر ميستر وهو جالس على معقد خشن هناك، أثناء مروره بالباب، فعرفه من مشيته على الفور، وازداد لذلك تجهم وجهه!

ونظر إليه سام هاكيت وهو يتسكع في الردهة، فأخذ يسائل نفسه: «أين رأيته من قبل؟»

وفتح المستر بليس غرفة كبير الكونستبلات، ودخل وأغلق الباب وراءه بعنف! وكان رمبوري ينظر من خلال النافذة إلى شاطىء النهر، فأدار رأسه وحياه بإيماءه! إنه هو أيضاً يشعر في كل مرة يرى فيها المفتش المركزي بليس بأن ميله إليه يتضاءل باستمرار!

ومضى بليس نحو المكتب الذي وسط الغرفة، وتناول ورقة وقرأها، ثم زمجر! وجاء حاجب فسلمه خطاباً فقرأ العنوان الذي عليه ثم وضعه على المكتب وقال بجفاء:
ـ لماذا يتولى المدير المساعد التحقيق في هذه القضية؟

فرد عليه ومبوري قائلاً: «لقد كان كبير الكونستبلات هو الذي يتولى التحقيق. ولما مرض اضطلع بالتحقيق الكولونيل والفورد بنفسه!»

فقال بليس ساخراً: «لماذا يحققها والفورد بالذات؟ إنه لايعلم من هذا الأمر أكثر مما يعلمه إبهام قدمي!»

وكان ألان قد راض نفسه على الصبر، إذ قدر أنه سيلقى بليس هذا الصباح! واعتزم أن يسأله عن سر زيارته الخفية لعمارة مالباس التي بها مسكن ماري.. ولكنه حين وجده غاضباً لم يجرؤ على فتح باب الحديث معه بهذا الشأن، واكتفي بأن رد عليه قائلاً:

ـ إن الأمر خطير! ويبدو أن الإدارة المركزية واثقة من عودة الدقاق إلى لندن!

فابتسم بليس بازدراء، وتساءل متعجباً: «الدقاق؟!» ثم تذكر أمراً فقال:
ـ هناك شخص كتب إلينا من سجن ميدستون.. فمن هو؟
ـ إنه يدعى هاكيت.. وهو يعرف الدقاق.. ويعرف عنه الكثير!

فضحك بليس وقال: «هاكيت؟! أتظن أنه يعلم أي شيء عنه؟. إنكم أصبحتم شديدي السذاجة في اسكتلاند يارد في المدة الأخيرة!»

وهكذا كان بليس يتخذ مسلك التحدي دائماً، وكأنه يتعمد أن يثير عداء محدثه. ولكن ألان ومبوري رد عليه بهدوء قائلاً:
ـ إنه يقول أنه يعرفه إذا رآه!

هذا هراء! إنه لا يبالي آن يقول أي شيء لكي يجعل لنفسه أهمية!
ـ ولكن الدكتور لوموند يقول..

وهنا قطع بليس كلامه وقال محتداً: «لا أريد أن أعرف رأي طبيب البوليس.. إن هذا الرجل صفيق الوجه! لقد أراد أن يعلمني مهنتي!»
ولم يكن ومبوري قد علم قبل ذلك أن طبيب البوليس الشيخ اختلف مع هذا الرجل المشاكس، فقال له: «إن الدكتور لوموند بارع حقاً!»

وكان بليس يقلب صفحات كتاب أخذه من فوق المكتب فقال:

ـ إنه ينسب لنفسه البراعة في هذا الكتاب الذي ألفه! لكأني بكم قد راقكم هذا الطراز من الكتب؟ لقد مكثت سنتين في أمريكا، وهي موطن علم وصف الإنسان. . وقابلت هناك معتوهين يمكنهم أن يعلموا لوموند الشيء الكثير! والآن لنفرض أن هاكيت وصف لنا الدقاق وصفاً دقيقاً، فكيف تتحقق صحة ذلك؟!

فقال ألان في هدوء: «أحسب أن في استطاعتك ذلك ياسيدي، لأنك حاولت القبض على الدقاق في قضية (أتامان). . أليس كذلك؟»

فنظر إليه بليس نظرة حادة وقال له: «أنا؟! إني لم أر قط ذلك الخنزير! لقد كان ظهره إلى حين ذهبت لإلقاء القبض عليه! ولم أكد أضع يدي على كتفه حتى أفلت مني ووجدت نفسي ملقى على الأرض وقد طعنت بمدية طعنة نفذت في جسمي مسافة أربع بوصات!»

فعاد ألان يقول: «لعل ميستر ـ مثلاً ـ يمكن الانتفاع به في هذا الشأن!»

فقطب بليس جبينه وقال: «ميستر؟! هل يترك (الدقاق) له فرصة ليتكلم؟ هذا ما أود لو أعرفه!»

فدهش ومبوري لذلك وقال: «ولم لا؟»

ولكن بليس هرب من الجواب وقال له: «إني أراهن أن ميستر لم يره قط في هيئته الحقيقية! إن (الدقاق) شديد الدهاء، وأنا أقر له بذلك. وددت لو لم أغادر وشنطون، فقد كان عملي هيناً هناك!»

فابتسم الشاب وقال له: «يبدو أنك غير مرتاح إلى عملك هنا ياسيدي؟»

ـ لو كنت أنت هناك لتركوك! أما أنا فقد أعادوني إلى اسكتلانديارد كما ترى!

فضحك ومبوري بالرغم منه وقال: «إني أعجب بمسلكك، ولكني لا أقر هذا التواضع فيك! ومع ذلك يبدو أننا كنا نقبض على المجرمين دون تقصير منا وأنا لم ألحظ نقصاً في عددهم بعد عودتك!»

ولكن بليس لم يلق بالاً إليه فقد كان يقرأ صفحة في الكتاب الذي بيده وقد هم بأن يبدي ملاحظة يسخر فيها من الدكتور لوموند ودراساته في علم وصف الإنسان، وإذا بالكولونيل والفورد قد جاء فوقف الاثنان وقفة انتباه!

وقال الكولونيل بلهجة ودية: «صباح الخير.. أخشى أن أكون قد تركتكما تنتظران طويلاً!»

وواصل آلان كلامه فقال: «إن الشخص الذي كتب إليه من سجن ميدستون هناك الآن!»

فتساءل الكولونيل: «هاكيت؟!»

فقال بليس معقباً: «ما أحسب أنك تعتقد أنه يعرف (الدقاق) كما يزعم؟!»

فقال الكولونيل: «إني في الحقيقة لا أعتقد ذلك! ولكن ذلك الرجل من حي دبتفورد أصلاً.. وهناك احتمال ضعيف لأن يكون صادقاً.. أحضره يا ومبوري.. وسأخبر الرئيس الآن بأني سأتولى التحقيق!»

ولما خرج الكولونيل والفورد قال بليس يحدث نفسه: «هاكيت؟ إني أتذكره. فمنذ خمس سنوات أو نحوها كنت السبب في الحكم عليه بالحبس سنة ونصف سنة بتهمة السطو على بيت... إنه كذاب بسليقته»

وبعد دقيقتين جيء بهاكيت بناء على طلب ومبوري له بالتليفون!

وحينما دخل هاكيت لم يكن يبدو عليه أي خوف! وقد ابتسم له ومبوري محيياً، فرد تحيته قائلاً:

- هالو يا مستر ومبوري.. إنك تبدو بأحسن صحة!

ونظر هاكيت نظرة صارمة إلى بليس.. فقال له ومبوري مشيراً إليه «لعلك تعرف المستر بليس المفتش المركزي؟»

فقال هاكيت عابساً: «بليس؟ لقد تغيرت قليلاً يا سيدي المفتش! من أين جئت بهذا الشارب؟»

فقال له بليس بجفاء: «اقفل فمك القبيح الشكل!»

فرد عليه قائلاً: «حسناً! إنك لم تتغير كثيراً ياسيدي!»

وعندئذ حذره ومبوري قائلاً: «لاتنس أين أنت الآن؟»

فرد قائلاً: «إني أعرف أين أنا ياسيدي! إنني الآن في اسكتلانديارد.. وهذا كل ما هناك!»

ونظر إليه بليس نظرة لو تمثلت لكانت خنجراً يفتك به!

وفي هذه اللحظة دخل الكولونيل والفورد فقال له سام هاكيت بلهجة ودية :

ـ عم صباحـاً يا سـيدي! إن داركـم هذه دار بديعة حقاً، وإن تكن قد شيدت من السرقة والقتل!

فأخفي الكولونيل والفورد ابتسامة ارتسمت على شفتيه وقال له :

ـ لقد أرسلت إلينا خطاباً حين كنت في السجن؟

ثم فتح ملفاً وأخرج منه خطاباً مكتوباً على ورق أزرق وقد جاء فيه مايلي :

«سيدي العزيز . . أرجو أن يصل إليكم خطابي هذا وأنتم بغاية الصحة والسرور، وكذلك جميع الرفاق في اسكتلانديارد . . »

وقاطعه هاكيت وهو يقرأ، قائلاً : «لم أكن أعلم أن بليس قد رجع!»

واستطرد الكولونيل يقرأ الخطاب : «لقد سمعت كلاماً كثيراً يقال عن (الدقاق) الذي غرق في استراليا . وأنا يا سيدي العزيز يمكنني أن أقول لك الشيء الكثير عنه بعد أن فارق الآن هذه الدنيا . فقد رأيته لحظة قصيرة، وعرفت أين كان يسكن»

وسأله والفورد بعد ذلك : «هل هذا صحيح؟»

فرد سام قائلاً : «أجل ياسيدي! لقد كنت أسكن معه في بيت واحد!»

ـ إذن أنت تعرف شكله على حقيقته . . أعني تعرفه إذا رأيته؟

ـ وكيف أراه وقد مات!

فهز الكولونيل والفورد رأسه وقال له : «إنه لايزال على قيد الحياة!»

وما سمع هاكيت ذلك حتى تولاه الرعب وقال

ـ لم يمت؟! ألا يزال (الدقاق) على قيد الحياة؟ وداعاً ياسيدي! وشكراً جزيلاً!

واستدار ليخرج، ولكن الكولونيل قال له : خبرنا أولاً ماذا تعرف عنه؟»

ـ لاشيء مطلقاً! مطلقاً! سأقول لك الحقيقة يا سيدي دون خفاء . . لأن أشيء برجل ميت شيء، ولأن أشيء برجل شيء حي آخر . . إني أعرف قليلاً جداً عن (الدقاق) . ولكني لن أذكر لكم هذا القليل . ولماذا؟ لأني خرجت من السجن منذ أيام معدودة وقد أعطاني ميستر عملاً أرتزق منه . وأنا الآن أريد أن أعيش في أمان من غير أن يزعجني أحد!

فقال له المدير المساعد : «لاتكن أحمق يا هاكيت! إنك إذا ساعدتنا أمكننا أن

نساعدك!»

فبتسم سام هاكيت ابتسامة ساخرة وقال له:

ـ لو أنني مت.. أفتساعدونني إلى حد إعادتي للحياة؟! إني لا أقدر أن أتجسس على (الدقاق).. فإني لا أجازف بحياتي!

وهنا قال له بليس ساخراً: «الحقيقة أنك لا تعرف من أمره شيئاً! هذا ما أعتقده!»

ـ فقال له: «لا أبالي أتعتقد ذلك أم لا!»

فقال له بليس ساخراً: «ماالذي تخشاه؟ هيا أخبر المدير بكل ما تعرفه ولا تخف!»

فرد عليه بقوله: «إنه كاد يفتك بك يوماً! وهذا لا يغريك بالضحك!. إني آسف! لقد جئت إلى هنا بناء على ما تسمونه بسوء التفاهم! وداعاً ياسادة!»

واستدار مرة أخرى ليذهب، ولكن بليس استوقفه قائلاً: «انتظر!»

فالتفت المدير المساعد إلى بليس وقال له: «دعه يذهب!» ثم التفت إلى هاكيت وأشار إليه آذناً بالانصراف!»

وقال بليس على أثر ذلك: «إنه لم ير الدقاق قط!»

ـ فقال له والفورد: لست أعتقد ذلك!. فإن مسلكه يدل على العكس!» ثم سأل: «هل ميستر هنا؟»

فأجاب ألان ومبوري قائلاً: «نعم يا سيدي.. إنه في غرفة الانتظار!»

ولم تمض دقيقة حتى جاء موريس ميستر. وكان يبدو عليه شيء من القلق برغم جهده في إخفائه! وردد بصره بين الجالسين في الغرفة، ونظر إلى ساعته بشكل ذي معنى وقال:

ـ لابد أن هناك خطأ، فإني كنت أنتظر أن أقابل كبير الكونستبلات! فقال له والفورد: «أجل! ولكنه مرض ولذا حللت محله!»

ـ لقد طلب إليّ أن آتي الساعة الحادية عشرة والنصف. والآن الساعة الواحدة إلا ربعاً. وعندي قضية أترافع فيها في محكمة جرينويتش المركزية. والله يعلم ما يصيب المتهم المسكين إذا لم أحضر الجلسة!

فقال له الكولونيل ببرود: «آسف إذ تركتك تنتظر.. اجلس!»

وإذ جلس ووضع قبعته وعصاه على المنضدة، لمح بليس فقال له: «لكأني رأيتك من قبل؟!»

فقال له بليس بجفاء: «إن اسمي بليس. . »

ونظر إليه نظرة تحد، فحاد ميستر ببصره عنه قائلاً: «آسف! حسبت أني أعرفك!

وسكت لحظة ثم قال: «أحسب أنه ليس من المعتاد أن يدعى إلى اسكتلانديارد آحد المحامين؟!»

وكان المدير المساعد قد لقى أناساً أبرع من ميستر وأشد مكراً، فاعتدل في جلسته وقال له:

ـ سأكلمك بصراحة يا مستر ميستر. وسأشرح لك السبب الذي جعلني آتي بك إلى هنا!

فقاطعه ميستر قائلاً: «تأتي بي إلى هنا؟! إنني لا أرتاح إلى هذه العبارة يا سيدي!»

وتناول الكولونيل رقعة ورق وقرأ فيها سطراً أو سطرين ثم قال له:

ـ أنت يا مستر ميستر محام له عملاء كثيرون في دبتفورد. . وليس في جنوبي لندن لص لا يعرف الأستاذ ميستر الذي مكتبه وسكناه في فلاندرزلين. لقد اشتهرت كمحام في القضايا الميئوس منها، وكرجل. . كرجل خير!

فأومأ ميستر برأسه وقد حسب أن الفورد يثني عليه! واستطرد هذا فقال:

ـ قد يرتكب لص جريمة سرقة ويهرب بالغنيمة ثم يقبض عليه من غير أن يعثر البوليس على المسروقات وهو في الظاهر لا يملك شيئاً. وعندئذ تبادر أنت إلى الدفاع عنه في المحاكم على اختلاف درجاتها، ولا تكتفي بذلك بل تعاون ذويه أيضاً بمالك طول مدة بقائه في السجن!

فقال ميستر: «ذلك طبعاً بدافع الإنسانية. أم تراني موضع الشبهات لا لشيء سوى أني أساعد أولئك البؤساء؟ إني لا أطيق أن أرى زوجاتهم وأطفالهم يقاسون العوز من غير ذنب جنوه!»

وكان بليس قد خرج من الغرفة. ورد الكولونيل قائلاً:

ـ إني واثق من كرم بواعثك يا مستر ميستر! ولم أحضرك إلى هنا لكي أسألك عن ذلك المال الذي توزعه أسبوعاً بعد آخر، ولا عن المصدر الذي تستمده منه. كذلك لا أقول إن أحداً من الناس المسموح لهم بمقابلة المسجونين بحكم مهنتهم، يعلم منهم أين خبئت

المسروقات فيؤدي لهم مهمة الوكيل في بيعها!

فرد ميستر وهو يكظم غيظه: «يسرني أنك لا تقول ذلك! ولو أنك قلته لكنت. . »

فقاطعه الكولونيل قائلاً: «لقد ذكرت لك أني لا أقول لك! إن المال يأتي بالطبع من مصدر ما. . وأنا لست فضولياً، ولذلك لا أسأل عن هذا المصدر! وأنت أحيانا لا تساعد عملاءك بالمال وإنما تستخدم ذوي قرباهم!»

ـ إني لا أتردد في مساعدتهم بأية طريقة!

وكان الكولونيل يرمقه عن كثب، فقال له: «إذا كان لأحد المحكوم عليهم مثلاً، أخت حسناء، فأنت ترى من الملائم أن تستخدمها في مكتبك! إن لديك الآن سكرتيرة تدعى الآنسة لنلي. . وقد حكم على أخيها بالسجن ثلاث سنوات بناء على معلومات وردت منك!»

فهز ميستر كتفه استخفافاً وقال: «لقد أديت واجبي! ومهما أكن مقصراً في نواح أخرى، فإن واجبي كمواطن هو أعظم الواجبات!»

ثم قال والفورد وهو يزن كلماته: «قبل سنتين كانت لك سكرتيرة أخرى! . وهي فتاة غرقت في النهر وانتشلت جثتها!»

وسكت ليسمع منه رداً على ذلك، ولكن ميستر لم يقل شيئاً، فسأله والفورد قائلاً: «ألم تسمع ما قلته؟!»

فتنهد ميستر وأومأ برأسه موافقاً ثم قال: «أجل سمعت! لقد كانت فاجعة! وقد أثرت في نفسي بشكل لم يسبق له مثيل! وأنا الآن أمنع نفسي من التفكير فيها!»

ثم استطرد الكولونيل فقال: «كانت تلك السكرتيرة السابقة تسمى جوندا ملتون. . وهي أخت هنري ارثر ملتون المعروف باسم الدقاق. . »

وكانت لهجته تنم عن معنى خفي، فنظر إليه ميستر متسائلاً. . بينما واصل هو كلامه قائلاً:

ـ إنه أبرع وأخطر مجرم في سجلاتنا!

فصعد الدم إلى وجه المحامي الشاحب وقال: «ومع ذلك لم يقبض عليه قط يا كولونيل: «لقد كان البوليس يعرف موعد مروره بباريس باليوم والساعة بل بالدقيقة! ولكنه أفلت من بين يديه كالزئبق! إن جميع رجال البوليس في انجلترا واستراليا لم يستطيعوا

القبض عليه برغم براعتهم الفائقة!»

وكان قد استعاد رباطة جأشه، ولذلك وجه هذه الطعنة إلى رجال البوليس! لكنه لم يلبث قليلاً حتى حاول تخفيف أثرها فقال:

ـ لست أنتقد رجال البوليس! بل أنا ـ بوصفي دافع ضرائب ـ أراني معجباً بهم! ولكن لم يكن من البراعة أن يدعوه يفلت منهم! وأنا أصارحك بذلك لأنك حديث العهد بهذه المسألة!

فتغافل والفورد عن إشارة ميستر إلى حداثة تعيينه في منصبه. وقال بهدوء:

ـ إني أقر بأنه كان ينبغي القبض عليه! ولكن ليس هذا موضوع الحديث.. لقد ترك الدقاق أخته في رعايتك.. ولست أدري إن كان قد ائتمنك على ماله! ولكن الثابت أنه ائتمنك على أخته!

فقال ميستر مؤكداً: «لقد لقيت مني أحسن معاملة! وهل من ذنبي أنها ماتت؟ هل أنا أغرقتها في النهر؟ يجب أن تقول كلاماً معقولاً يا كولونيل!»

فسأله والفورد بلهجة صارمة: «لماذا انتحرت؟!»

فأجاب: «ما أدراني أنا؟ إني لم أكن أعلم مطلقاً أنها في ضائقة! والله شاهد على ما أقول!»

فقال له الكولونيل: «لكنك أنت نفسك أدخلتها دار الأمومة! أليس كذلك؟»

فاصفر وجه ميستر وصاح قائلاً: «هذا كذب!»

فابتسم والفورد وقال: «إن ذلك لم يتضح وقتئذ في التحقيق! ولا يعلم هذه الحقيقة فيما عدا اسكتلانديارد سوى شخص واحد هو.. هنري آرثر ملتون شقيق تلك الفتاة!»

فابتسم موريس ميستر وقال: «لقد مات في استراليا! فمن أين له أن يعلم شيئاً؟!»

فابتسم الكولونيل والفورد مرة أخرى، وقال له: «إن الدقاق لم يمت! بل هو حي يرزق.. لا في استراليا، بل في لندن نفسها!»

وما سمع ميستر ذلك، حتى وقف فزعاً وقد غاض الدم من وجهه! ثم قال للمدير المساعد وفي عينيه نظرة رعب:

ـ الدقاق هنا؟! هل أنت جاد فيما تقول؟!

فأومأ والفورد برأسه وقال: «نعم! أكرر لك القول بأنه على قيد الحياة، وأنه هنا في

لندن!»

ـ إن هذا مستحيل! إنه لا يجرؤ على المجيء إلى انجلترا وهو المحكوم عليه بالإعدام! إنك تحاول إزعاجي!

وضحك ضحكة مغتصبة وقال: «إنها نكتة منك يا كولونيل!» ولكن والفورد رد عليه قائلاً بلهجة بالتأكيد:

ـ كلا! إنه هنا! وقد بعثت في طلبك لكي أحذرك!

ـ ولماذا تحذرني؟ إني لم أره قط في حياتي! ولا أدري له شبهاً! وإنما عرفت الفتاة التي كانت صاحبته، وهي فتاة أمريكية يوجد عادة حيث توجد هو!

وهنا قال والفورد له: «حسناً! إن هذه الفتاة حقاً توجد كما تقول في المكان الذي يحل فيه.. وهي الآن في لندن، بل هي هنا في هذا المكان!»

ففتح ميستر عينيه دهشة وقال: «هنا؟ إن الدقاق لا يجرؤ على ذلك!»

ثم قال بغتة بعنف: «مادمت تعرف أنه في لندن، فلماذا لا تقبض عليه؟» إن ذلك الرجل مجنون بلا ريب! وماهي مهمتكم يا رجال البوليس؟! إنها وقاية الناس بالطبع! وقاية أمثالي.. ألا يمكنك الاتصال به؟ ألا يمكنك أن تخبره بأني لم أكن أدري شيئاً عن أخته، وأني رعيتها وكنت لها في مكان الوالد؟!»

ثم التفت إلى ومبوري وقال له:

ـ إنك أنت تعلم أني لم تكن لي أية يد في وفاة تلك الفتاة؟

فرد ألان عليه قائلاً في برود: «إني لا أعرف شيئاً مطلقاً عن هذا الموضوع! والشيء الوحيد الذي أعرفه، هو أنه إذا حدث شيء للآنسة لنلي فإني..»

فصاح به ميستر قائلاً: «أتهددني؟!»

فرد عليه قائلاً: «لست أدري ماذا يعجب النساء فيك! إن سمعتك سيئة إلى أقصى حد!»

وكانت شفتا ميستر ترتعشان من الحنق حين رد قائلاً: «إنها أكاذيب! ولا شيء سوى أكاذيب! وهذا لايمنع أني عرفت نساء كثيراً.. فأنا رجل دنيوي ولست بالناسك!»

ثم ابتسم ابتسامة مغتصبة وقال:

ـ الدقاق؟! لاشك أن بعض الناس كانوا يضحكون منك يا كولونيل! لو كان الدقاق في لندن لسمعت بوجوده! إني أعرف كل حركة وسكنة في حي دبتفورد.. من الذي رآه؟

فقال والفورد بلهجة الجد وهو يدق جرساً:

ـ لقد حذرتك يا مستر ميستر . . . ومن الآن فصاعداً سيكون بيتك تحت المراقبة، ويجب أن تضع قضباناً على نوافذ بيتك! ولا تدع أحداً يدخل ليلاً . . ولا تغادر البيت بالليل إلا بصحبة البوليس!

وفي هذه اللحظة جاء المفتش بليس فقال له الكولونيل:

ـ أرى يا بليس أن الميستر ميستر في حاجة إلى عنايتنا! وأنا أضعه تحت حمايتك الأبوية!

فقام ميستر وهو يقول:

ـ في اليوم الذي تضعون أيديكم على الدقاق أتبرع بألف جنيه لملجأ أيتام البوليس!

فقال له والفورد: «لسنا بحاجة إلى المال لمؤسساتنا إلى هذا الحد! وليس من شأني أن أحكم على الناس. ولكنك تلعب لعبة خطرة! إن مهنتك تتيح لك ميزة على غيرك ممن يخبئون المسروقات!

فرد ميستر قائلاً: «إنك لاتدري ماذا تقول!»

ـ إني أعني ما أقوله تماماً! والآن مع السلامة!

فقال له ميستر وهو يضع قبعته على رأسه:

ـ سوف تندم على هذه العبارة يا كولونيل!

ونظر إلى ساعته ثم قال: «الساعة الواحدة إلا خمس دقائق!» ثم مضى نحو الباب. وكان قد نسي عصاه فالتقطها بليس وكانت قبضتها محلولة قليلاً، فنزعها بسرعة واستل خنجراً كان داخل العصا، ثم نادى مستر وقال له:

ـ لقد نسيت سلاحك يا مستر ميستر . . يبدو أنك مستعد لحماية نفسك بنفسك!

فأخذ ميستر منه العصا ورمقه بنظرة قاسية، ثم غادر الغرفة مسرعاً! لكنه ما كاد يبلغ فناء الدار حتى خفف من سرعته، وأخذ يفكر في الأمر!

كلا! إن ذلك محال! كيف يكون الدقاق حيّاً؟! وكيف عاد إلى لندن ؟! إذن فقد صدقت تلك الشائعات التي كان يسمعها فيسخر منها!

وكان ميستر يحملق في وجوه الناس الذين صادفهم بين باب اسكتلاند يارد الخارجي والبقعة التي وقفت فيها سيارته! ولما رأته ماري لنلي قادماً، أسرعت نحوه وسألته بلهفة:

ـ هل من شيء سيء يا موريس؟

ـ شيء سيء؟ كلا! كلا يا عزيزتي!

وكان وهو يقول ذلك يشعر بأن رأسه يدور. . من يكون ذلك الرجل القادم نحوه وهو يهز عصاه بغير اكتراث؟ آلا يمكن أن يكون هو الدقاق؟ وذلك البائع الجوال الذي يحمل صينية عليها عيدان ثقاب وأزرار. إنه شيخ رث الثياب قذر الهيئة، ولكن الدقاق قادر على آن يتنكر في هذا الشكل! بل إنه قد تفرس في سائق السيارة كذلك. . إنه رجل ضخم الجسم، أفطس الأنف. . لكنه أيضاً قد يكون الدقاق. . ثم تذكر فجأة وجه المفتش المركزي بليس الذي سيكون تحت حمايته، وحدث نفسه قائلاً: «أين رأيت وجهه من قبل؟ من يدري؟ لعله هو أيضاً!»

وقالت له ماري وقد لحظت شرود ذهنه: «ماذا دهاك؟»

فتنبه من ذهوله وقال لها: «يجب أن نعود إلى البيت فوراً!» ثم قبع إلى جوارها بالسيارة، فقالت له:

ـ أتريد أن تعود إلى ديتفورد؟» فغمغم قائلاً: «نعم!»

وقالت الفتاة في الطريق: «هل صادفك شيء مزعج في اسكتلانديارد؟»

فأجاب: «كلا ياعزيزتي. . إنها أكذوبة. . هذا كل ما في الأمر. . لقد أرادوا أن يخيفوني. . نعم آرادوا أن يخيفوا موريس ميستر. . ولكن خاب فألهم، لأن موريس ميستر ليس كما يتوهمون!»

وضحك ضحكة مصطنعة ثم قال: «إنك تعرفين عقول رجال البوليس هؤلاء! إنهم ضباط سابقون في الجيش جاءوا يلتمسون الراحة في البوليس ويظنون أن عمل البوليس هين!»

ثم تغيرت سحنته وقال: «كان هناك أيضاً ذلك الرجل المسمى بليس. . وأحسب إنك حدثتني عنه من قبل. . إني لا أتذكره تماماً يا عزيزتي. . ألم يخبرك ومبوري بشيء عنه؟»

ـ كلا يا موريس! لقد قلت لك كل ما أعرفه عنه!

فغمغم قائلاً: «بليس؟! إني لم أر قط من قبل رجل بوليس سري ذا لحية! لقد كانوا يلتحون قبل سنوات عديدة وكان ذلك شيئاً معتاداً. . لكنهم الآن يحلقون ذقونهم حتى تنعم! ثم إنه قد جاء من أمريكا! هل رأيت هاكيت. . بعد دخوله هناك؟»

ـ نعم! لقد خرج من اسكتلانديارد قبلك بعشر دقائق، وركب الترام! فتنهد وقال: «ليتني رأيته! بودي لو أعرف لماذا جاء؟! ولكني الآن أعرف السبب طبعاً. . لقد جاءوا به إلى هناك لسبب آخر إن هؤلاء القوم ما كرون. . والانسان لايعرف قط ماذا يقصدون!»

ثم آخذ يتحسس في جيبه العلبة الذهبية الصغيرة التي يضع بها المخدر، فتظاهرت ماري بأنها لاترى! وكانت قد عرفت بحدسها طبيعة ذلك العقار الذي يستنشقه بين حين وآخر. وهو في المدة الأخيرة لم يكن يتستر أمامها في هذا الشأن! وبعد أن استنشق قليلاً من مسحوق أبيض لامع، لم يلبث حتى عاد مشرق الوجه كذي قبل. وكانت كثيراً ما تعجب من سرعة أثر ذلك العقار، وهي لا تدري أنه في كل أسبوع يزيد الجرعة التي تحدث الأثر المطلوب، وأنه عما قريب سيصبح عبداً رقيقاً له بعد أن كان يستخدمه!

ـ لقد هددني ومبوري. . تصوري أن ضابط بوليس أجيراً يهدد محامياً أمام المحكمة العليا؟!

ـ هذا غير معقول يا موريس؟
وهم بأن يبين لها نوع ذلك الوعيد، ولكنه رأى أن الحكمة تقتضيه الصمت. فإنه حتى في حالة الانتعاش التي أصبح فيها، لم يشأ أن يفتح باب الحديث عن جوندا ملتون. ثم استطرد قائلاً:

ـ إني لم أكترث سهديده طبعاً! فإني قد اعتدت معاملة المخلوقات التي من هذا القبيل. ولهذه المناسبة يا ماري. . لقد تحريت أمر ذلك التمرد الذي حدث في السجن، وعلمت أن جوني لم يشترك فيه!

وفرحت الفتاة بهذا النبأ فرحاً جعلها لا تستوثق من حقيقته!

والتفت إليها، وكان المخدر قد رده إلى سجيته من الجرأة والاعتداد بالنفس، ثم قال لها:

ـ لا ينبغي لك أن تمكثي في ذلك المسكن بعمارة مالباس. . إني لا أسمح بذلك. وجوني لا يصفح عني إذا حدث لك شيء!»
ـ ولكن أين آذهب؟!

فابتسم لها وأجاب قائلاً: «ستنتقلين إلى بيتي! وسأعد لك تلك الغرفة. وستكون لك خادمة. . إني بالطبع ما كنت لأطلب إليك أن تنتقلي إلى دار رجل عزب إلا بعد أن أعد بيتي

إعداداً يواتم هذا الظرف الجديد!
ولكن إذا كنت مصممة على عدم تشريف بيتي الصغير بسكناك إياه. فلك ما تشائين!»

ولما اقتربا من (نيوكروس) قال لها: «بودي لو أعرف من الذي يتولى التحقيق مع المتهمين الآن؟»

فسألته: «أتعني في اسكتلانديارد يا موريس؟»

فأجاب: «نعم إني مستعد لأن أدفع قدراً من المال لأعرف ماذا يحدث في الغرفة (س ٢) في هذه اللحظة. ومن هو البائس المسكين الذي يواجه المحققين هناك!»

والواقع أن المحققين الذين أشار إليهم ميستر في حديثه لم يكونوا سوى الدكتور لوموند، والكولونيل والفورد، والمفتش المركزي بليس، والمفتش ألان ومبوري.. وهم لا يثيرون الرعب في نفوس من يحققون معهم كما زعم للفتاة!

سرّ دفين

كان للدكتور لوموند عدة صفات طيبة، فهو ميال للسخرية، ذو يقظة وذكاء، متمكن من علمه إلى حد أنه يسخر من نفسه ومن هذا العلم! وكان مسلكه نحو المدير المساعد مسلك احترام لرجل أكبر منه سناً، ولكنه ند له!

ووقف بباب الغرفة وقال: «أخشى أن أكون متطفلاً؟»

فابتسم الكولونيل والفورد وقال له: «بل يسرنا أن تكون معنا يا دكتور!»

وهز لوموند رأسه أسفاً وقال: «مسكين بريدو! إن ضميري سوف يؤنبني إذ أبعث رجلاً إلى الضواحي ليشنق! لقد كان الشنق في نيوجيت محوطاً بشيء من الوقار، وكان للشنق في تيبورن قيمة تاريخية! ليتني لم أدرس علم الطب الشرعي! هل لاحظت أذني ومبوري يا سيدي؟ إنهما أذنا مجرم بطبيعته! فإذا أضيف إلى شكلهما، بروز فكيه اتضح أنه أهل لسرعة القتل! ألم تقتل أحداً في حياتك يا سيد ومبوري؟!»

فرد ألان ومبوري قائلاً: «إلى الآن لم أقتل أحداً!»

وأتمّ الدكتور لوموند لف سيجارته. وكان والفورد ينتظر انتهاء كلامه بصبر نافد، فقال له: «أريد أن أكلمك يا دكتور!».

فقال له دون أن يرفع بصره إليه: «بشأن امرأة؟!»

فدهش الكولونيل والفورد وقال له: «كيف عرفت ذلك؟!»

فأجاب قائلاً: «إنني عرفت ذلك لأنك في الواقع أشبه بجهاز (إرسال) كأكثر الناس، ولأني مازلت محتفظاً بالصفة الحيوانية الباقية لي، وهي سرعة (الاستقبال). فالمسألة كما ترى مسألة انتقال فكر، لا أكثر ولا أقل!»

وكان بليس يستمع إلى هذا الحوار، فزمجر قائلاً:

ـ الصفات الحيوانية؟ لقد كنت أحسب دائماً أن انتقا الفكر من أمارات الذكاء! هذا ما يقولونه في آمريكا على الأقل!

فقال له الدكتور لوموند: «إنهم في أمريكا يقولون أشياء كثيرة لا يعنونها حقاً! إن انتقال الفكر ليس سوى غريزة حيوانية قد هذبها العقل! والآن ماذا يريد جناب المدير أن

آقوم به لتلك السيدة؟»

فقال له والفورد: «أريد منك أن تستل منها سراً بشأن زوجها!»

فسأله: «أهي تعرف شيئاً عنه؟. إن الزوجات عادة ينقصهن الكثير من الحقائق عن آزواجهن!»

فتدخل بليس قائلاً: «إني لست موقناً أنه زوجها حقاً!»

فضحك الدكتور لوموند وقال: «إذن.. ثق بأنها تعلم شيئاً عنه!

وإذا كان زوج امرأة أخرى فلا بد أنها تعلم عنه أكثر! هل لي أن أعرف اسم تلك السيدة؟»

فالتفت المدير المساعد إلى ومبوري وقال له: «ما اسمها الحقيقي!»

فرد ومبوري قائلاً: «اسمها (كورا آن متلون)، وكانت قبل زواجها تدعى (كورا آن بارفورد)..»

فرفع لوموند بصره بغتة وقال: «هذه مصادفة عجيبة حقاً! اسمها (كورا آن)؟ لقد سمعت الكثير منذ بضعة أشهر عن سيدة تحمل هذا الاسم!»

وهنا قال المفتش بليس للكولونيل: «أحسب أنك لست في حاجة إلي يا سيدي؟ إن عندي عملاً مهما يجب أن أنجزه!»

ثم اتجه إلى الباب، ولما بلغه التفت إلى الدكتور لوموند وقال له: «هذه يا دكتور مهمة تروقك! إن رجلاً له مثل حكمتك جدير بأن يقبض على السجين الهارب في مدة لا تعدو أسبوعاً!»

فضحك الدكتور لوموند وقال له: «إني أجهل أن لي مثل هذه الحكمة!»

وكان على الدكتور لوموند أن يستمع إلى قصة (الدقاق) ففتح المدير المساعد سجلاً وقال:

ـ إن تاريخ هذا الرجل عجيب جداً يا دكتور، ولا بد أنه سيروقك لصلته ببحوثك العلمية. وأقول لك بداءة: إن ارثر ملتون هذا، لم يقع في أيدينا قط! وهو قاتل يغتال ضحاياه. وفيما نعلم لم يكسب درهماً من أية جريمة قتل ارتكبها! ونحن نكاد نثق بأنه كان في سنوات الحرب ضابطاً في القوات الجوية المسلحة. ثم هو ميال إلى الوحدة، ولم يكن له صديق سوى شاب أعدم بتهمة الجبن، وهي تهمة لا أساس لها وجهها إليه رئيسه الكولونيل تشافريس ـ ويسمان. وحينما اغتيل ذلك الكولونيل عقب انتهاء الحرب، حامت

شكوكنا حول (الدقاق). بل استوثقنا في الواقع من أنه هو القاتل. وقد اختفى بعد ذلك مباشرة، ولم ينتظر حتى يقبض مكافأته على خدمته في القوات الجوية!

وهنا قال الدكتور لوموند متسائلاً:

ـ إذن لم يكن اسكتلنديا؟!

واستطرد الكولونيل والفورد فقال: «والعجيب أنه رفض كل وسام منح إياه! ولم ترسم له أية صورة فوتوغرافية في أية فرقة كان فيها! وإنما لدينا رسم يدوي رسمه خازن الباخرة التي تسافر بين (سيتل) و(فانكوفر). وعلى تلك الباخرة عقد قرانه!»

فبدت الدهشة في وجه الدكتور لوموند وعاد يتساءل في دهشة: «عقد قرانه؟!»

فقال الكولونيل: «نعم! كانت هناك فتاة على ظهر تلك الباخرة، وكانت هاربة من البوليس الأمريكي، إذ كانت قد أطلقت الرصاص على رجل أهانها في حانة وضيعة للرقص في (سيتل). ولا بد أنها أسرّت بمخاوفها إلى ملتون وبأنها تتوقع أن يقبض عليها عند وصولها إلى (فانكوفر).. ولذلك تعجل عقد قرانهما، وتولى هذا العقد قسيس كان على ظهر الباخرة. وبذلك أصبحت من رعايا بريطانيا فلم تطبق عليها قوانين الجنسية! وهكذا ترى أن تصرفه الأحمق هذا كان من أعمال الشهامة الكاذبة!»

فعلق الدكتور لوموند على ذلك بقوله: «إذن... لابد أنه اسكتلندي!»

واستطرد الكولونيل فقال: «المهم يا دكتور أن متاعب كثيرة لابد أن تقوم ويشتد خطرها إذا عرف الناس أن هذا الرجل موجود الآن في انجلترا.. إنه بالتأكيد هو الذي قتل الشيخ أوبرزون الذي كان يدير وكالة للرقيق الأبيض في أمريكا الجنوبية! وهو الذي قتل كذلك أتامان المرابي! ولهذه المناسبة أقول إن ميستر كان ببيت هذا المرابي حين قتل! وقد كان (الدقاق) يتبع خطة تدل على منتهى المكر والدهاء في كل جريمة ارتكبها. وقد ترك أخته في رعاية ميستر حين هرب من انجلترا عقب حادث أتامان. ولعله لم يكن يقدر أن ميستر سيشي به ويسر إلينا بحركاته وتنقلاته. ولما كان ميستر سافلاً كما نعرفه..»

وهنا اقترب الدكتور لوموند من الكولونيل وقال له

ـ هل علم (الدقاق)؟ إن هذا شائق حقاً!

واستطرد والفورد فقال: «منذ ثمانية شهور، علمنا أنه في استراليا وتدل المعلومات التي وصلت إلينا أخيراً على أنه الآن في انجلترا فإذا كان قد عاد حقاً إلى هذه البلاد فلابد أن له غرضاً واحداً، هو أن يسوى حسابه مع ميستر بطريقته الخاصة به! لقد كان ميستر هو

المحامي الذي دافع عنه، وكان دائماً على صلة بأخته جوندا ملتون التي. . »

وهنا قطع الدكتور لوموند كلام المدير المساعد سائلاً إياه: «أين الرسم الذي ذكرت أنه صنع له بالقلم الرصاص؟» فتناول الكولونيل والفورد ذلك الرسم من الملف الذي أمامه وناوله إياه، وما كاد هذا ينظر إليه حتى صاح قائلاً:

ـ لاشك أنك تمزح! إني أعرف هذا الرجل!

فسأله الكولونيل والفورد وقد أخذته الدهشة: «ماذا تقول؟!»

فأجاب ضاحكاً: «إني أعرفه بلحيته الصغيرة المضحكة! وبوجهه النحيل، وعينيه الجميلتين حقاً! هذا عجيب ولاشك!»

والتفت ومبوري بدوره إلى الدكتور لوموند وسأله: «أتعرفه حقاً؟»

فأجاب: «لا أقصد أني أعرفه، ولكني قابلته!»

فسأله والفورد والآن معاً في صوت واحد: «في لندن؟!»

فأجاب في هدوء: «كلا! قابلته في بور سعيد! وكان ذلك منذ ثمانية شهور!

وسكت الدكتور لوموند ريثما لف سيجارة وأشعلها، ثم استأنف كلامه فقال: «كنت قد نزلت من الباخرة في بور سيعد، أثناء عودتي من بومباي. وفيما أنا بأحد الفنادق هناك قيل لي: إن رجلاً أوربياً فقيراً اشتد به المرض في فندق متواضع بحي العرب الفقير في تلك المدينة. فذهبت إليه تواً ورأيته وكان في شدة المرض حتى حسبته قد أشرف على الموت!»

ثم رفع الدكتور لوموند يده برسم (الدقاق) وقال وهو يلوح به: «هذا هو ذلك المريض!»

فسأله والفورد في اهتمام: «أواثق أنت من ذلك يا دكتور؟»

فأجاب في ثقة: «إن أي رجل ذا ذهن علمي لا يمكن أن يكون واثقاً من شيء! إن ذلك الرجل كان قد نزل من باخرة استرالية. . »

فقاطعه ومبوري قائلاً: «إنه ضالتنا بلاشك!»

وسأله الكولونيل والفورد بدوره: «هل شفى ذلك الرجل من مرضه؟!»

فرد الدكتور لوموند قائلاً: «لا أدري! لقد كان في حالة هذيان حين عدته. وسمعته يكرر اسم كورا آن. وقد عدته مرتين. وفي المرة الثالثة قالت لي المرأة العجوز التي تدير الفندق إنه غادره في ظلام الليل من حيث لم يشعر به أحد. وكان هذا آخر عهدي بأخباره. والله وحده يعلم مصيره بعد ذلك! ومن يدري؟ لعله قذف بنفسه في قناة السويس هناك!

ولكن. . على كل حال ما أظن أن ذلك المريض البائس هو الدقاق الذي تبحثون عنه!»

وهنا تناول والفورد رسم الدقاق وأعاد النظر إليه ثم قال: «يبدو لي أنه هو! وأعتقد أنه حي لم يمت. . . وقد تفيدنا كثيراً في هذه المسألة يا دكتور! وأعتقد أن السيدة ملتون وحدها أول وآخر من يمكن أن يكون لديهم علم بالمكان الذي يوجد فيه الدقاق. هذا إذا كان هناك من يعلم ذلك!»

وأومأ الدكتور لوموند موافقاً. بينما استطرد الكولونيل والفورد فقال له:

ـ لقد أعجبت أشد إعجاب بطريقتك في فحص بريدو. . والآن أريد أن تجرب طريقتك هذه مع السيدة ملتون. . هيا يا ومبوري. . أحضر كورا آن ليفحصها الدكتور.

ولما خرج ومبوري من الغرفة، سحب الكولونيل والفورد ورقة أخرى من السجل وقال:

ـ هذا بيان بحركاتها! لقدعادت إلى انجلترا بجواز سفر بريطاني، منذ ثلاثة أسابيع. وهي الآن نزيلة فندق مارلتون.

وعندئذ عدل الدكتور لوموند منظاره ثم تناول الورقة من يد الكولونيل والفورد. وقرأها بسرعة، ثم سأل:

ـ لقد حضرت بجواز سفر بريطاني على أساس ذلك الزواج. وهي لم تمكث مع (الدقاق) على الباخرة إلا أسبوعاً واحداً! لكنها مع هذا قد تكون متعلقة به. . على كل حال إذا كان صاحبنا الذي كان في مصر هو (الدقاق) فإني أعرف الشيء الكثير عن هذه المرأة!. لقد كان ثرثاراً في هذيانه. . وقد بدأت أتذكر أشياء مما قاله إذ ذاك. . والآن دعني أتذكر! كورا آن؟! بل زهرة (الأوركيديا). ثم زهرة (الأوركيديا). لقد تذكرت الآن!

وفي تلك اللحظة، دخلت كوران آن إلى الغرفة، وكانت مرتدية ثياباً زاهية فاخرة. . ووقفت لحظة تردد بصرها بين الحاضرين وقد أمسكت سيجارة بين أصبعين يغطيهماالقفاز!

وقام المدير المساعد تحية لها قائلاً: «سعد صباحك يا سيدتي. لقد طلبت إليك الحضور إلى هنا لأني أريد أن تتحدثي قليلاً مع صديقي هذا!». ثم أشار إلى الدكتور لوموند. . لكنها لم تعر هذا كبير اهتمام، وعادت تركز نظراتها في اتجاه المدير الجالس أمامها، قائلة له في اغتباط:

ـ هذا بديع! إني أتوق لأن أتحدث مع أحد من الناس!

ثم نظرت إلى ومبوري وابتسمت وهي تسأله: «ماهي أحسن رواية تعرض الآن في دور السينما بلندن؟ لقد رأيت معظم الروايات في نيويورك! ولكن كان ذلك منذ وقت طويل!»

فقال لها الدكتور لوموند: «إن أحسن رواية في لندن الآن تعرض في دار اسكتلانديارد.. وهي دراما مضحكة.. موسيقية أيضاً.. ومع هذا يخيل لي أن لك دوراً كبيراً في هذه الرواية العجيبة!»

فأشاحت عنه بوجهها غير مخفية تبرمها، ومضت تدخن سيجارتها، بينما استطرد هو فقال:

ـ إنك لم تري كثيراً في لندن منذ عودتك. أليس كذلك يا سيدة ملتون؟

فأومأت موافقة.. ثم سألها: «هل كنت في الخارج؟»

فاكتفت بالإيماء برأسها موافقة، ولم تزد على ذلك. وهنا سألها الدكتور فجأة: «وكيف تركت زوجك؟»

فاختفت الابتسامة من ثغرها، وبان عليها الجد.. ثم التفتت إلى ومبوري وسألته متضايقة:

ـ من يكون جنابه؟!

فقال ومبوري لها: «إنه الدكتور لوموند طبيب البوليس بقسم ر..»

فبان عليها الاطمئنان، والتفتت إلى الدكتور قائلة:

ـ أنتم تعلمون طبعاً أني لم أر زوجي منذ سنوات، وأني لن أراه أبداً!. إن أرثر المسكين قد غرق في ميناء سيدني! وكنت أحسب أن الناس جميعاً قد اطلعوا على النبأ في الصحف!

ـ وهنا قال لها الدكتور لوموند بلهجة ساخرة:

ـ صحيح! لقد لحظت أنك ترتدين ثياب الحداد!

وكانت نظراته مركزة على ثيابها الزاهية، فبان عليها شيء من القلق، ثم قالت له:

ـ إنك تتكلم بأسلوب لا يعجبني!

فابتسم الطبيب الشيخ وقال لها: «إنه الأسلوب الوحيد الذي أعرفه!. والآن يا سيدة

ملتون لنعد إلى ذلك الموضوع وإن يكن مؤلماً!»

فقالت له: «إذا كان يؤلمك فلا داعي لأن تتكلم فيه!»

فالتفت الدكتور لوموند إلى ومبوري ثم قال لها: «إن زوجك غادر هذه البلاد مسرعاً منذ ثلاث سنوات أو أربع سنوات! فمتى رأيته آخر مرة؟»

وكانت كورا آن محتفظة بهدوئها تماماً! ولم تجب عن هذا السؤال الأخير، إذ أدركت أن الرجل الذي يحدثها لا يمكن اللعب عليه فهو رجل ماكر خبير!.

ثم استطرد هو فقال: «إنك كنت في سيدني بعد ثلاثة أشهر من وصوله إليها»! وكان ينظر إلى التقرير الذي أعطاه الكولونيل والفورد إياه. ثم قال:

ـ وقد اتخذت لنفسك إذ ذاك اسم السيدة جاكسون، ودونت اسمك هكذا في سجل فندق الميناء، واستأجرت الجناح رقم ٣٦ وفي ذلك الوقت كنت على اتصال بزوجك.

وهنا ارتسمت على ثغرها ابتسامة ساخرة وقالت:

ـ هذا منتهى البراعة! الجناح رقم٣٦؟ وكل شيء بالتفصيل! لكنني لم أر زوجي مطلقاً هناك!

فقال الدكتور: «أنت لم تريه؟ ربما! لكنه كلّمك بالتليفون! وقد طلبت أنت إليه أن يقابلك!. أليس كذلك؟ إنني لست واثقاً من ذلك تماماً!»

وسكت لحظة ولكن كورا آن لم تجب! فاستطرد قائلاً:

ـ ألا تريدين أن تخبريني؟ لقد خاف أن يكون أحد في أثرك! خاف أن تقودي البوليس إليه من حيث لا تعلمين!

فقالت له بازدراء: «خاف؟! من أين جئت بهذه الكلمة؟ إن ارثر ملتون ما كان يخاف شيئاً في العالم! على أنه الآن قد مات واأسفاه!»

فقال لها: «إذن لنبعثه حياً! إن هنري ارثر ملتون قد غادر ملبورن على ظهر السفينة سمثتوكليس يوم الذكرى السنوية لزواجه! غادرها مع امرأة أخرى!»

وما سمعت كورا آن ذلك حتى ولى عنها الهدوء، وبان عليها الغضب، ثم قالت بحدة:

ـ هذا كذب! إنه لم يعرف امرأة سواي!

ثم تمالكت نفسها وضحكت وقالت: «من الحماقة أن أغضب منك! إنك لاتدري

شيئاً! هذا كل مافي الأمر! وأنتم ليس لديكم أي شيء ضدي! ولست بحاجة لأن أجيب على أسئلتكم! إني أعرف القانون فلا تنسوا ذلك! والآن أنا ذاهبة!»

وقامت ومشت متجهة إلى الباب، ووقف ومبوري يريد أن يفتحه لها، فقال له الدكتور لوموند: «افتح الباب للسيدة ملتون.. نعم السيدة ملتون. أليس كذلك؟»

فالتفتت إليه متجهمة وسألته قائلة: «ماذا تعني؟!»

فقال في خبث: «لقد حسبت أنه زواج فني مما هو شائع بين الطبقات المتبطلة!»

وعندئذ عادت إليه وقالت له:

ـ ربما كنت طبيباً.. ولكن ثق أن تشخيصك خاطىء!

ـ فقال لها بلهجة الشك: «هل تزوجته حقاً؟»

فأومأت موافقة وقالت: «لقد عقد قراننا قسيس على الباخرة، وهذا زواج قانوني لاغبار عليه، ولكننا مع ذلك عقدناه بعد ذلك في كنيسة سانت پول بحي دبتفورد.. إن دبتفورد أصبحت بمثابة الوطن لي! وإذن.. لم يكن زواجنا زواج فن كما تزعم! ولم ينقصه آي شيء، اللهم إلا جهاز العروس!»

ثم سكتت، فتشاغل الدكتور هنيهة بمسح نظارته، ثم نظر إليها مكرراً قوله: «إذن.. تزوجتما؟ حسناً يا سيدة ملتون.. هكذا الأمر إذن؟!»

وكان صوت الطبيب الاسكتلندي ينم عن الشك.. ثم قال:

ـ إن الكذابين والمتزوجين ضعاف الذاكرة عادة.. فإن زوجك قد نسى أن يرسل إليك زهر الأركيديا!

فالتفتت إليه في غضب شديد وصبر نافد وقالت له: «ماذا تعني؟!»

فابتسم في دهاء وقال لها في هدوء مثير:

ـ أعني.. أنه كان دائماً يرسل إليك أزهار الأركيديا يوم الذكرى السنوية لزواجكما.. في حين كان مختفياً باستراليا، وهو في بلد وأنت في آخر، وكل منكما تحت الرقابة، لم يفته أن يبعث إليك بتلك الأزهار.. ولكنه لم يرسلها إليك في هذه السنة.. وأحسبه قد نسي، أو لعله استخدم تلك الأزهار لغرض آخر!

فاقتربت منه كوران آن وهي في أشد غضبها وقالت له: «أنت تظن ذلك! إنه الظن السيء الذي يطرق ذهن رجل مثلك! ألا يمكنك أن تخرج هذه الحشرة من رأسك؟ امرأة أخرى؟! إن أرثر لم يكن يفكر في أية امرأة سواي! وما كان يؤلمه شيء سوى ابتعادي عنه

اضـطراراً! هذه فـي الحقـيقة! لقـد كـان يجـازف بكل شيء لكي يراني. ولابد أني قابلته في شارع كولنز ولكني لم أعرفه! لقد جازف بالذهاب إلى المشنقة لكي يقف هناك ويراني وأنا أمر!»

فقال الدكتور لوموند: «حقاً إنه أمر يستحق المجازفة! إذن فقد كان في ملبورن حين كنت أنت فيها. . ولكنه مع هذا لم يرسل إليك الأزهار التي تحبينها؟!»

ـ وماذا يعنيني من الأزهار؟ لقد أدركت حين لم تصل إليّ أنه. . . .

وسكتت قبل أن تتم كلامها! فقال لها الدكتور لوموند متمماً عبارتها: «أدركت أنه غادر استراليا. . ولهذا جئت إلى هذه البلاد مسرعة. . لقد بدأت أعتقد أنك متيمة حباً به!»

فضحكت وقالت: «هل كنت أحبه؟ نعم إنني كنت أميل إليه!». ثم تناولت كيس يدها وقالت: «أحسب أن هذا هو كل ما عندكم؟!» وأومأت برأسها تحية للكولونيل، ثم اتجهت إلى الباب وهي تقول له:

ـ ما أحسبك ستقبض عليّ؟

فرد والفورد قائلاً: «أنت حرة في الذهاب حيث تشائين يا سيدة ملتون. .»

فقالت: «هذا بديع! سعد صباحكم جميعاً!» ثم واصلت مشيها تريد الخروج، ولكن الدكتور لوموند استوقفها بأن قال لها: «حقاً إن الحب أعمى! لقد صادفته ولكنك لم تعرفيه! إنك تريدين منا أن نصدق أنه قد أتقن التنكر إلى حد أنه جرؤ على الخروج في وضح النهار في شارع كولنز! كلا يا كورا آن. . إن هذا غير معقول!»

وكانت قد نفد صبرها واشتد بها الغيظ حتى تولتها رعدة فقالت له: «في شارع كولنز؟ بل كان يجرؤ على المشي في شارع ريجنت في وضح النهار لو أراد! ولو خطر بباله أن يأتي إلى اسكتلانديارد التي هي عرين الأسد لفعل من غير أن تهتز منه شعرة! وعندئذ ما كان يجديكم نفعاً أن تحرسوا جميع الأبواب فإنه كان حتى في هذه الحالة يدخل ويخرج كما يحلو له، وكان يفعل ما يشاء!»

وفي هذه اللحظة جاء بليس. . ووقف وراء الدكتور لوموند. . فاتجهت ببصرها إليه، ولم يلحظ ألان ومبوري اتجاه بصرها، ولكنه لحظ أن وجهها شحب بغتة، ثم ترنحت وسقطت بين ذراعيه مغمى عليها!

* * *

كانت ماري لنلي في البداية تثق ثقة مطلقة في موريس ميستر. . فقد نشأت منذ طفولتها وهي تعرف أنه صديق أبيها ومحامي أسرتها. غير أنها لما صارت سكرتيرة له بدأت تعرفه على حقيقته بعد مسلسلة حوادث طفيفة. كما بدأت في الوقت نفسه تدرك الحقيقة في مأساة جوندا ملتون وإن لم يحدثها أحد حديثاً صريحاً في هذا الشأن!

والعجيب أنها لم تفزع من ذلك، ولم تر أنها في خطر، فإنها لم يخطر ببالها قط أنه يسرع نبضه حين يراها، وتلقت ما عرضه عليها من إسكانها في بيته على أنه دلالة عطف عليها. . وما رفضت ذلك خوفاً على نفسها منه ولكن لميلها إلى الاستقلال في معيشتها، وإباتها آي فضل منه أو من سواه!

وبعد يومين من استدعائه إلى اسكتلانديارد. . جاءت إلى داره كعادتها في الصباح فوجدت هناك عمالاً يثبتون قضباناً حديدية على النوافذ. وقد أدهشها ذلك وساءلت نفسها عن الداعي إليه. وقد تكون هذه الجهة غير مأمونة، لكنها لم تسمع قط بأن لصاً حدثته نفسه بالسطو على دار ميستر المحامي الذي آلى على نفسه الدفاع عن اللصوص. . ولم يكن في داره شيء ثمين يستحق السرقة اللهم إلا الفضيات فقد كانت ثمينة حقاً، وكان هاكيت لا يمل الكلام عنها فقد خلبت لبه. . حتى قال لها يوماً:

ـ إني كلما نظفت إناء اللبن يا آنسة أشعر بأني قد حكم عليّ بالحبس تسعة شهور!

وقد ذكرتها هذه الإشارة إلى السجن باسكتلانديارد، فسألته عن سر ذهابه إلى هناك فقال لها:

ـ لقد قابلت المدير! إن رجال البوليس هؤلاء لا يستطيعون شيئاً بغير معاونتنا نحن!

ـ وما الذي كان يريده منك؟

فتردد هاكيت في الإجابة ثم قال: «كان ذلك بشأن سيد كنت أعرفه!»

ولم يرض أن يسترسل في هذا الحديث، مما جعلها تسأل ميستر عما يكتمه عنها هاكيت، فتهرب هو أيضاً من الجواب وقال لها:

ـ يحسن يا عزيزتي ألا تتكلمي مع هاكيت عن أي موضوع. . إن هذا الرجل كذاب ولا ضمير له! وهو لا يتردد في قول أي شيء لإزعاجك هل سمعت عن جوني شيئاً؟

فأجابت بالنفي، ثم قالت له: «كان ينبغي أن يصل خطاب منه صباح ذلك اليوم،

ولكنه لم يصل، وقد أزعجني ذلك»

ثم سألته بغتة: «لماذا تضع تلك القضبان الحديدية وراء النوافذ يا موريس؟»
فقال وهو يتظاهر بقلة الاكتراث: «هذا تحوط لاتقاء الأشرار! إني أوثر أن يأتوا من الباب!»
وكان مظهره يدل على أنه أخذ جرعته من المسحوق الأبيض، ثم استطرد يقول:
ـ إن الدار موحشة ليلاً! وما أحسب أنك تقدرين مدى وحدتي يا ماري!
ـ لماذا لا تكثر من الخروج ليلاً؟
ـ هذا مالا أفعله! في الوقت الحاضر على الأقل! وبودي لو مكثت معي بضع ساعات كل مساء.. لتزيلي الوحشة عني!

ـ إني آسفة يا موريس! وقد يبدو ذلك مني نكراناً للجميل بعد كل ما فعلته لي، ولكن ألا ترى أن ما تطلبه هو عين المحال؟!

وكان يحدق فيها.. ولم يتلق جوابها هذا بكدر واستطرد يقول:
ـ ألا تأتين ليلة لتتناولي العشاء معي وتجربيني؟ إني سأعزف لك أجمل القطع الموسيقية! إني أضجر إذ أعزف لنفسي!

ولم تجد داعياً للرفض فقالت له: «سأفكر في ذلك!»

وبعد ظهر اليوم تسلم ميستر قضية سائق موتوسيكل كان يسوق سيارة وهو سكران فقبض عليه. وكانت ماري لنلي قد تأهبت للعودة إلى بيتها، فجاء إليها يقول:

ـ لا تذهبي الآن يا ماري.. إني أريد أن أكتب خطاباً إلى الدكتور لوموند عن هذا السجين البائس! لقد قرر لوموند أنه كان يسوق السيارة في أثناء سكره، ولكني سأطلب طبيبه الخاص، وأريد أن يكون ذلك الشيخ الاسكتلندي حاضراً الاستجواب!

وأملى عليها الخطاب فكتبته على الآلة الكاتبة وقدمته له فوقع عليه، ثم رفع بصره إليها وقال لها:

ـ كيف أوصل هذا الخطاب إلى بيت الدكتور لوموند؟ إني أسائل نفسي أيمكنك أن تأخذيه معك؟ إنه في طريقك فإنه يسكن نزلاً (بنسيونا) في طريق شاردلوس
فابتسمت ماري وقالت له: «سآخذه بكل ارتياح»
ـ وكانت الغرف التي يسكنها الدكتور لوموند في بيت صغير بشارع موحش. وقد

فتحت البيت ربة البيت. والظاهر أنها كانت ترعى راحة الطبيب الشيخ وقالت لها:

ـ لقد عاد منذ برهة.. وما أحسبه يرضي أن يقابلك!

ولكن ماري ألحت في طلب لقائه، وذكرت اسمها، فذهبت المرأة وعادت إليها فأدخلتها غرفة جلوس من طراز عصر فكتوريا.. تحوي كراسي مكسوة بشعر الخيل. وكان الدكتور جالساً على مقعد منها وفي حجره كتاب.

ولما رآها أغلق الكتاب وقام تحية لها وقال: «أهلا يا عزيزتي!»

وسلمته الخطاب، فقص غلافه وقرأه. وكان يعلق على فقراته وكأنه يحدث نفسه:

ـ آه من ميستر.. ذلك الوغد! بشأن السكران.. لقد حسبت ذلك!

ووجدت نفسها دون أن تدري تقص عليه نبأ السرقة التي حدثت بمسكنها فقال لها: «المفتش بليس؟ أجل لقد كان هو الرجل! وقد سمعت بذلك!»

ثم نظر إليها نظرة ماكرة وقال لها: «سأقول لك شيئاً! إنك تتساءلين عم دعا بليس إلى زيارة مسكنك! ولست أزعم أني أعرف الجواب الصحيح!. ولكني طبيب نفساني أزن الاحتمالات المعقولة والدوافع الشاذة! وعلى هذا أرى أن بليس لم يذهب إلى مسكنك إلا لكي يجد شيئاً يحتاج إليه أشد احتياج! وإذا احتاج ضابط بوليس سري إلى شيء احتياجاً شديداً فقد يتخذ مسلكاً وعراً إليه! هل فقدت شيئاً؟»

ـ لاشيء سوى خطاب لم يكن يخصني! وكانت السيدة ملتون قد نسيته عندي! ثم وجدته ووضعته في أحد الأدراج! وهو الشي الوحيد الذي سرق

ـ إنه لغز! وأنت يا سيدتي الصغيرة قد انفردت بسره!

حساب عسير

اعترى موريس ميستر شيء من التغير منذ زار اسكتلانديارد. فقد أصبح يكثر من شرب الخمر، وصارت زجاجة البراندي دائماً في متناول يده. وكان يبدو كل صباح وكأنه شيخ مريض. وبعد أن يتناول طعام الفطور يذهب إلى القاعة الكبيرة حيث يجلس إلى البيانو ويبقى ساعات متوالية يوقع مختارات من الألحان.

والحق أنه كان موهوباً في الموسيقى. وكانت ماري لنلي تستمع إلى عزفه معجبة. وقد خيل إليها أنه كلما كان مخموراً زاد إتقاناً للعزف.. وكان إذا جلس إلى البيانو نسى كل ما حوله، ولا يكاد يرى أو يسمع شيئاً! وكان هاكيت يتسلل إلى الغرفة أحياناً فيرقبه بنظرة ازدراء، أو يوجه إليه عبارة ساخرة، واثقاً أنه في شغل عنه!

وكانت ماري كذلك تضطر إلى الانتظار طويلاً تتلقي منه جواباً عما تسأله عنه!

وقد أصبح ميستر شديد الخوف، يفزع لأي صوت، ويرتعد إذا طرق الباب أحد. وكان هاكيت يبيت في الدار، ويقص حكايات غريبة عما يحدث في الليل. وفي صباح أحد الأيام وجد المائدة قد غطت سطحها زجاجات خمر كلها فارغة ما عدا زجاجة واحدة!

وبعد يومين من انتهاء عمل الصناع الذين وضعوا القضبان الحديدية وراء النوافذ، كان آلان ومبوري في قسم البوليس في فلاندرزلين، فدق جرس التليفون. وكان سام هاكيت هو المتكلم، وقال له:

ـ لست أدري ماذا دهاه؟! إنه ثائر الأعصاب منذ الساعة الثالثة صباحاً. ألا يمكنك أن تحضر طبيباً ليراه؟

فدهش ومبوري وسأله: «ماذا به؟»

فأجابه: «لست أدري! لقد أغلق على نفسه غرفة النوم وهو يصيح ويصرخ كأن به جنّة!»

فقال له ومبوري: «سآتي فوراً». وما كاد يترك سماعة التليفون، حتى بدا الدكتور لوموند قادماً من ناحية السجن الذي بالقسم. وكانت هذه هي المرة الثانية التي يدعى فيها ذلك الطبيب لمعالجة حالة هياج. فذكر له ومبوري ما قاله هاكيت. فقال الطبيب:

ـ ربما يكون ذلك من أثر الخمر! ولكنه بالتأكيد عاقبه المخدر الذي يتعاطاه. . سأذهب إليه معك!

وبعد ربع ساعة دق ومبوري جرس الباب الخلفي ببيت ميستر. ولما فتحه له هاكيت قال له:

ـ هذه لعبة جديدة منك يا هاكيت. . لماذا تطلب من قسم البوليس أن يرسل طبيبه ولا تطلب الطبيب الخاص الذي يعالج ميستر!

فقال هاكيت معتذراً: «لست أعرف طبيبه الخاص، وقد رأيته يصخب ولا تهدأ ثائرته فلم أدر ماذا أفعل!»

وهنا قال الدكتور «سأرى ماذا به. . أين غرفته؟»

ـ إنها في الطابق الأعلى يا سيدي!

فتبعه ومبوري إلى الطابق الأعلى، ثم دخلا غرفة ميستر. . وكان هذا راقداً في سريره يتنفس بصعوبة، وقد ازرّق وجهه، وتعلقت يداه بغطاء السرير. فقال ومبوري يحدث نفسه:

ـ إنها نهاية عادية حقيرة لفاجعة كانت تعد من الطراز الأول!

ثم أطرق مفكراً، إذ تذكر أن هذه الخاتمة ليست إلا بداية لمأسة لاتنتظم ميستر وحده بل تشمل الفتاة التي تعلق بها قلبه منذ كانت طفلة صغيرة تقف عند باب الكوخ الذي نشأ فيه!

وكان ومبوري واقفاً خارج الدار حين عاد إليه الدكتور لوموند وسأله ساخراً: «أتنتظر أحداً؟!»

فأجاب متلعثماً: «أجل! كلا! إني أنتظر أحداً من رجالي!»

وضحك الطبيب الشيخ، إذ وفق إلى جعل ضابط بوليس يحمر وجهه خجلاً!

وكان ميستر يغالبه النوم، حين فتح عينيه ورأى الطبيب الذي يعالجه، ثم هبط هذا مرة أخرى إلى الطابق الأدنى ليفحص الغرفة التي هي غرفة مكتب وغرفة استقبال في آن واحد. ودخل سام هاكيت وراقب الدكتور لوموند باهتمام وهو يفحص الغرفة ثم قال له:

ـ لقد رأيت ومبوري في الخارج! وأحسبه ينتظر الآنسة لنلي حين تحضر ثم سأله الدكتور لوموند: «أتعزف الآنسة لنلي على البيانو؟»

ـ كلا يا سيدي. . بل هو الذي يعزف!

ـ لقد سمعت أنه يجب العزف!

وفي هذه اللحظة دق جرس الباب الخارجي، فخرج هاكيت من الغرفة. وجلس الدكتور لوموند على كرسي البيانو ويداه في جيبه، وأخذ يدير بصره في الغرفة. وإذا به يرى نوراً أحمر يضيء فوق الباب!

وقال لنفسه: «إنها إشارة ولاريب في ذلك. ولكن من الذي أرسلها؟ وما هو المقصود منها؟!». ثم سرعان ما اختفى ذلك الضوء، فمشى لوموند على أطراف أصابع قدميه إلى الباب ووقف يستمع، ولكنه لم يسمع شيئاً!

ورجع هاكيت يحمل بيده عدة خطابات جاء بها ساعي البريد، فقال له الدكتور لوموند: «من الذي يسكن هذا البيت سواك وسوى ميستر؟»

فنظر إليه هاكيت بارتياب وقال: «لا أحد! إن الطاهي العجوز مريض!»

ـ ومن الذي يعد طعام الفطور لميستر؟

ـ أنا! وهو لا يعدو قطعة بسكويت.. وإحدى الزجاجات!

فنظر الدكتور لوموند إلى السقف وقال: «ماالذي فوق هذه الغرفة؟»

ـ الغرفة التي يخزن بها الخشب!

وسكت الدكتور، بينما بدا على هاكيت الخوف وسأله: «هل من شيء يادكتور؟»

فقال له الدكتور لوموند: «لقد ظننت! ولكن لاشيء.. لا شيء!»

فقال هاكيت له: «أتريد أن ترى غرفة الخشب يا سيدي؟»

فأومأ لوموند برأسه موافقاً، ثم تبعه على الدرج، وتخطيا غرفة ميستر إلى غرفة غبراء كدست بها قطع أثاث قديمة.

كان هناك طريق سري يؤدي إلى بيت ميستر لا يعرفه سوى ثلاثة أشخاص، وقد مات أحد هؤلاء الثلاثة كما أمل ميستر، أما الثاني فهو جون لنلي الذي اكتشف ذلك الطريق قبل دخوله السجن! وكانت الأرض التي يقوم عليها البيت تمتد في الأزمان الخالية إلى شاطىء قناة صارت جافة وإن بقيت أرضها موحلة. ولا يزال هناك دكان متداع قائم في أرض تعلوها الأعشاب، وكان هذا الدكان فيما مضى ملحقاً بتلك الدار ثم فصلته عنها عدة مساكن صغيرة بينها دروب ضيقة.

وفي صباح اليوم التالي، كان هناك شاب يسير على شاطىء تلك القناة، ثم وقف يستوثق من أنه لا يتبعه أحد، وبعدئذ وضع مفتاحاً في باب فقد لونه من القدم والجو، ومضى إلى الأرض الكثيرة الأعشاب. وكان في أحد أركانها بناء صغير يبدو أنه مخزن،

ففتح باب هذا البناء بالمفتاح نفسه الذي فتح به الباب الأول، ثم دخل إلى ذلك البناء وجعل يتسلق سلماً كان قد وضع هناك في السنوات الأخيرة!

وكان في أدنى هذا السلم ممر يعلوه قبو منخفض لا يزيد ارتفاعه على قامة رجل قصير، فكان على ذلك الشاب أن ينحني لكي يسير في ذلك الممر!. ولم يكن هناك ضوء، ولكن القادم تحسس طريقه حتى وصل إلى كوة تعلو بضع درجات من السلم ووجد فيها المشاعل الكهربائية الأربع التي اعتاد ميستر تركها هناك لكي يستخدمها حين يريد!

وكان ميستر قد كنس أرض ذلك الممر حديثاً بنفسه كيلا يطلع أحد على سره! وكان يتوقع أن تمر زائرة حسناء قريباً بهذا الممر الخفي لتفلت من رقابة الحراس الذين يحرسون الدار! كما قاد ماري لنلي يوماً من هذا الطريق الذي خلا من المخاوف المعتادة في الطرق الخفية التي تحت الأرض!

وسار ذلك الشاب الغريب في طريقه يتقدمه ضوء مشعل أمسكه بيده. ثم حاد به الطريق بغتة إلى اليسار، وانتهى إلى ما يشبه الكرار (المخزن). وهنا بدا سلم مفروش بالبساط، فصعده الشاب في بطء محاذراً أن يحدث صوتاً! وفي منتصف السلم وطأت قدماه درجة لينة من المطاط إذا ضغطت عليها قدم أضاء مصباح أحمر في غرفة ميستر الخاصة!

وساءل القادم نفسه: «ترى من يكون مع ميستر الآن؟ وهل ضغطي عفواً على تلك الدرجة من السلم قد أفزعته؟!»

ثم وصل إلى لوح مستطيل ووقف يتسمع! وطرقت أذنيه أصوات عرف من بينها صوت ميستر وصوت ماري لنلي. فقطب الشاب جبينه وقال لنفسه: «هل ماري هنا؟ كنت أحسب أنها تركت العمل!»

ثم وضع أذنه على اللوح، وأخذ يصغى إلى ما يدور خلفه من حديث!

ـ وكان ميستر يقول: «يا عزيزتي. إنك بديعة.. إنك فتانة! إن من يرقب أصابعك وهي تتحرك على هذه الآلة الكاتبة القديمة يتصور أنها فراشة تتنقل من زهرة إلى زهرة!»

فقالت له ماري معابثة: «ما أسخفك اليوم يا موريس!»

ثم سمع صوت موسيقى بطيئة، إذ جلس ميستر إلى البيانو.. ثم سمع صوت ماري ثانية، وصوت عراك خفيف. ذلك أن ميستر كان قد أمسكها من كتفيها وجذبها نحوه، وإذا به يري يداً تمتد إلى مقبض الباب!

ولم ير غير تلك اليد. فصاح صيحة فزع، وجرى هارباً من الغرفة تاركاً الفتاة وحدها! ومكثت حيث هي وقد شل الرعب حركتها! ثم أبصرت اليد الخفية تمتد، والباب قد فتح، وظهر بالغرفة شاب!

فصاحت قائلة: «جوني؟!»

وبعد لحظة كانت تنتحب بين ذراعي أخيها!

وقالت له وهي تنتحب: «لماذا لم تقل إنك راجع؟ هذه مفاجأة سعيدة! لقد كتبت إليك خطاباً صباح اليوم!»

وأبعدها عنه قليلاً، وتفرس في وجهها، ثم قال لها بلهجة الجد:

ـ ماري . . . ماذا تفعلين في مكتب ميستر؟

فردت قائلة: «إنني أعمل عنده. وأنت كنت تعرف ذلك يا جوني قبل. . قبل أن تذهب. . ما أسعدني إذ أراك! دعني أنظر إليك! يالك من غلام مسكين! هل قاسيت كثيراً؟!

وكان سام هاكيت قد دخل من غير أن يلحظاه، فوقف يشهد هذا المنظر وهو في شدة التأثر، وقد رأى أن سؤالها الأخير هو تحصيل حاصل، وهو الخبير بالسجن!

ورد عليها جوني من غير اكتراث قائلاً: «لم تكن الحالة سيئة إلى الحد الذي كان يمكن أن تصل إليه!»

ثم سألها: «لماذا أجبرت نفسك على العمل؟ لقد تركت لك مالاً مع موريس وقلت له: إني لاأريد أن تقومي بأي عمل! كان هذا آخر شيء قلته له في السجن!»

وهنا تدخل هاكيت قائلاً: «تركت مالاً مع ميستر؟! أنت مجنون!»

ولكن جون لنلي لم يسمعه. ومضى يسأل ماري وقد اشتد به الغضب: «هل كان يدفع لك نفقتك؟»

ـ كلا يا جوني! إني لم أكن أعلم أنك رتبت لي نفقة!

ـ فهمت!

فسألته: «أأنت متكدر مني؟». ثم اغرورقت عيناها بالدموع وقالت له: «إني لا أكاد أصدق أنك معي الآن! لقد مكثت أنتظر عودتك وأنا أعد الأيام يوماً يوماً!»



«وبعد لحظة ، كانت الآنسة ماري تنتحب بين ذراعي أخيها»

فقال لها: «لقد صدر عفو عن بقية المدة المحكوم بها عليّ! فإن سجيناً أحمق هاجم محافظ السجن فأنقذته من الموت! وكنت لا أتوقع لي جزاء على ذلك سوى اختصار مدة سجني بضعة أيام. ولكن محافظ السجن بعث في طلبي عند تناول الغداء أمس، وأنبأني بأني سيفرج عني فوراً. !»

وهنا بان الأسى على هاكيت إذ بدت له أعمال جون لنلي غير مطابقة لأصول الفن كما يعرفها، وسخر منه في نفسه لاعترافه في غير خجل بأنه أنقذ حياة واحد من الأعداء!

ووضعت الفتاة يديها على كتفي أخيها ونظرت إليه قائلة: «لقد باعدت الآن بين نفسك وبين حياتك الماضية، أليس كذلك؟ والآن لنقصد إلى مكان بعيد عن لندن لنعيش فيه. وقد كلمت موريس في هذا الشأن فقال لي أنه سيعاونك على سلوك الطريق المستقيم. لو أنك اتبعت نصائحه يا جوني لما حدث ما حدث!»

فعض جوني شفته من الغيظ وقال لها: «هل قال لك ميستر ذلك؟! أتراك وقعت في غرامه؟»

فبان عليها الاشمئزاز، ولكنه حسبه منها ارتباكاً وحيرة.. فعاد يسألها: «أتحبينه؟»

فردت عليه ببرود: «لقد كان شفيقاً بي!»

ـ إني أدرك ذلك يا عزيزتي! ولكن ما وجه شفقته عليك؟ أياً كان الحال فلن تعملي عنده بعد اليوم!»

فضحكت وقالت: «إذن يجب عليّ أن أعمل بجد الآن! وعليك أن تتذرع بالصبر.. واذا كنت تريد رؤية موريس فسيأتي إليك تواً.. وأحسبك قد سببت له رعباً!»

وراقبها وهي تعود إلى منضدة الآلة الكاتبة، ثم التقى بصره ببصر هاكيت فقال له:

ـ ماذا هنالك يا سام؟

فرد هاكيت قائلاً: «إني لم أشتغل هنا إلا منذ أيام قليلة! وأنت رجل خبير بالحياة يا جوني.. فهل رأيت يوماً نمراً يشفق على أرنب سلخ جلده؟!»

ـ هل الأمر كذلك إذن؟ لقد جئت إلى دار ميستر مباشرة لكي أصفي ديوناً قديمة، ولأنهي تلك الشركة الخاسرة معه! وبعدئذ لا تراني لندن، ولا فلاندرزلين. وسوف أجد حقولاً أعمل فيها حراً من رقابة الحراس المسلحين، هانئاً بالطمأنينة والرخاء!

وفيما هو واقف بالباب، يسأل هاكيت أسئلة [illegible] وهو لايشك قط في النهاية التي

كانت ستنتهي إليها (شفقة) ميستر على ماري . . عاد هذا إلى الغرفة، وكان بصره متجهاً إلى الفتاة وهي تنتقل أصابعها على حروف الآلة الكاتبة . ثم ذهب إليها ووضع يديه على كتفيها وقال لها :

ـ معذرة يا عزيزتي! لقد أصحبت متوتر الأعصاب، أتخيل مخاوف لا وجود لها!

ولم يكن قد رأى جوني فناداه هذا من مكانه : موريس!

والتفت إليه ميستر . . ولما رآه فزع وقال متلعثماً :

ـ أنت؟! أخرجت من السجن؟! لقد كنت أظن . .

فابتسم جون لنلي بازدراء وقال له : «لقد جئت قبل الأوان بسنتين! أليس كذلك؟ إني آسف إذ خيبت أملك، ولكن قد تحدث معجزات، حتى في السجن، وقد حدثت لي معجزة منها!»

وبعد جهد شديد، تمالك ميستر أعصابه، ومد إليه يده مصافحاً وهو يقول : «مرحباً بك يا عزيزي!»

ولكن جون لنلي تغافل عن يده ولم يصافحه! واستطرد ميستر فقال له . «ألا تجلس؟ ما أعجب هذا! إذن كنت أنت الذي حركت ذلك اللوح، يا هاكيت . . أعطه كأساً . . أنت تجدها في الخزانة!»

وجاء هاكيت بكأس من الخمر، ولكن جون لنلي رفض تناولها وقال : «إني أريد أن أتحدث معك يا موريس بعض الوقت!»

ونظر إلى ماري نظرة ذات معنى . فقامت وخرجت من الغرفة!

* * *

في الساعة الخامسة بعد الظهر خرجت ماري لنلي من دار المحامي ميستر . وكان رأسها مصدعاً ولم تكد تؤدي عملاً إذ خيل إليها أن الحروف ترقص أمام عينيها من شدة حيرتها واضطرابها! وأسرعت من الدار إلى الشارع المعتم وكان الضباب قد بسط وشاحه على حي دبتفورد . ثم مضت في شارع هاي ستريت الكثير الزحام! .

وخطر ببالها أن تقصد تواً إلى ألان ومبوري وتقص عليه ما كان بينها وبين موريس ميستر ووعيده لها بأن يزج بأخيها في السجن . إذا لم توافه ليلاً بمنزله . ولكنها عدلت عن هذا الخاطر ورأت أن تحل مشكلتها بنفسها . ولو أنها وجدت أخاها بالبيت لأخبرته بما

كان، هذا إذا لم يدله مظهرها على ماهي فيه من هم وكمد!

وكان جوني لنلي قد غادر البيت وترك لها رقعة ورق على المائدة ذكر لها فيها أنه ذاهب لزيارة صديق له. وقد تذكرت اسم هذا الصديق فيما بعد، وكان مزارعاً من جيرانهم حين كانوا يمتلكون ضيعة لنلي في الأيام الخالية. وانتابها الحزن إذ أدركت أن كل ما يعده جوني الآن لحياتهما المقبلة في الريف سوف يذهب مع الريح إذا لم يكن ميستر راضياً عنهما!

وسرت في جسمها رعدة إذ تذكرت وعيد ميستر. . وما كادت تأوى إلى غرفتها حتى جاءت خادمتها تنبئها بقدوم زائر! فلما سألتها من يكون؟ قالت: «إنه لا يريد ذكر اسمه، ولكنه ذو لحية»، وعندئذ أسرعت ماري إلى الردهة لتلقى الزائر فقال لها:

ـ أحسبك لا تعرفينني إن اسمي بليس. . مفتش باسكتلانديارد!

فكاد قلبها يسقط من مكانه. وساءلت نفسها: ترى هل بادر ميستر إلى الوشاية بجوني بشأن الصك المزيف؟

ودعته إلى الدخول، فدخل إلى الغرفة وفي فمه سيجارة، وخلع قبعته ببطء ثم قال لها:

ـ لقد علمت أن أخاك قد أفرج عنه اليوم، أو أمس؟

فقالت له: «أمس! وقد عاد إلى البيت صباح اليوم!»

وعلى غير ما كانت تتوقعه لم يشر بعد ذلك إلى جوني في حديثه، وإنما أخرج من جيبه جريدة صباحية وأشار إلى عمود في الصفحة الأولى منها نشر به الإعلان الآتي:

س ٢ ز   ل ب (١) ٤ ت   ك ك ٥٧ ج

ل ل ٤١٨ ت س   ١٩٧ ب ف

فسألته قائلة: «ما معنى هذا؟»

فقال لها: «هذا ما جئت لأعرفه! إنها رسالة من (الدقاق) إلى زوجته، أو من زوجته إليه. وهي مكتوبة بالشفرة التي تركت بهذه الغرفة في الأسبوع الماضي. وأريد منك الآن أن تطلعيني على تلك الشفرة!»

فقالت له: «أني آسفة يا مبستر بليس. . إن تلك الشفرة قد سرقت. وكنت أظن أنك. .»

فأتم عبارتها قائلاً: «أني أنا الذي سرقتها؟ إذن لم تصدقي ما قلته من كوني قد رأيت رجلاً يتسلق حبال مصعد البضاعة إلى هنا فتبعته؟ إني يا آنسة لنلي أعتقد أن الشفرة لم تؤخذ من مسكنك هذا، بل لاتزال به!»

وشعرت بأنه إنما يريد اختبارها، فقالت له: «إن الشفرة لم تعد هنا! . وقد افتقدتها ليلة وجودها فتحققت أنها سرقت!»

ففكر لحظة، ثم طوى الصحيفة وقال لها: «لابد لي أن أصدقك! . وإذا كان ما تقولينه حقاً فإن تلك الشفرة لا يملكها الآن سوى (الدقاق) وزوجته!»

وكان عليها هي أيضاً أن تخرج بعد ذلك، فإن الحوانيت تغلق في الساعة السابعة مساء، وهي لايتاح لها شراء حاجاتها إلا عند الغروب بعد عودتها من العمل. فكتبت بياناً بالسلع التي يحتاج إليها جوني. . وحاولت جهدها أن تبعد عن فكرها كل خاطر مؤلم، ثم حملت سلة وخرجت بها إلى لوشام هاي رود حيث قضت نحو ساعة في شراء تلك السلع، ثم أسرعت عائدة إلى مسكنها، فلما بلغت الدار التي يقع فيها، رأت رجلاً طويل القامة يسير أمامها، وكان يرتدي معطفاً رمادي اللون، ولكنها عرفته من مشيته وانحناء كتفيه. إنه الدكتور لوموند. فسألته: «أأنت تراقب أحداً الآن؟». فأشار إلى شخص كان يسير في تلك اللحظة بجانب مصباح الشارع وقال لها: «نعم. . ذلك الشخص!». ولم يسعها إلا أن ابتسمت إذ عرفت لأول نظرة أن ذلك الشخص لم يكن سوى بليس نفسه!

واستطرد الدكتور لوموند فقال: «إن ذلك الشخص يروقني، فإنه يحيط به الخفاء. . وكل ما يحيط به الخفاء يجذب شيخاً بسيطاً سهلاً مثلي!»

ثم تركته يراقب من يشاء، وعادت إلى مسكنها، وكان جوني قد رجع منذ لحظة. ولحظت أنه بادي السرور، وقد مازحها بشأن مشترياتها وأبدي خوفه من أن تحدث له عسر هضم. . وكانت لم تره بمثل هذا الجذل منذ مدة طويلة. ثم قال لها شيئاً زادها سروراً فقد باغتها بقوله:

ـ إن ذلك المدعو ومبوري ليس بالشرير! وهذا يذكرني بأني ينبغي لي أن أذهب إلى قسم فلاندرزلين وأسجل اسمي!

فارتاعت وقالت له: «هل صحيح أنك قد أفرج عنك بترخيص موقت يا جوني؟ بمعنى أنك . . أنك إذا تغلب عليك الطيش مرة أخرى. . فإنك تسجن بقية المدة الماضية. . و. .

والمدة الجديدة؟»

ـ إذا تغلب عليّ الطيش؟ ماذا تعنين؟ إن هذا القول منك هو عين الطيش! اسمعي يا ماري . . لقد عزمت على أن أعيش حياة شريفة محترمة!

ثم أشعل جوني سيجارة ونفخ دخانها في الهواء . . وكان في تلك اللحظة يصوغ الأكذوبة التي يريد أن يقولها . . ثم قال لها :

ـ قد أعود إلى البيت في ساعة متأخرة هذه الليلة . . فقد دعاني رجل إلى تناول طعام العشاء معه في حي وست اند . . لعل ذلك لا يضايقك!

وكانت تسائل نفسها : «ترى هل ينخدع بهذا القول؟ والظاهر أنه صدقها تواً فقد قال لها : «يجب أن تنالي أقصى ما تستطيعينه من السرور! وأحسب أن تلك الحفلة ستكون سخيفة بالقياس إلى الحفلات التي كانت تقام بدارنا في الأيام الخالية! ولكن اصبري حتى تصير لنا مزرعة . . وسنتسلي هناك بالصيد أيضاً، وسيكون لنا جواد أو اثنان!

وكان قد دخل غرفة النوم فلم تسمع بقية ما يقوله عن آماله ومشروعاته!

ثم غادر البيت في الساعة الثامنة ، ومكثت هي تنتظر فوات الوقت . . ترى كيف ينتهي هذا اليوم؟ وماذا يكون رأى ألان ومبوري في الأمر كله؟ إنه يعدها شيئاً مقدساً لايمس! وأغمضت عينيها كأنما تبعد عنهما شبحاً مخيفاً!

* * *

في بداية المساء من ذلك اليوم جاء ألان ومبوري مسرعاً إلى بيت ميستر . وكانت ماري لنلي قد أنهت عملها وعادت إلى منزلها . وجاء ميستر يقابل زائره في جلباب البيت، وكان ثائر الأعصاب، فظن ومبوري أنه إنما بعث في طلبه لكي يهدىء أعصابه . . لكنه كان مخطئاً في هذا الظن ، فقد بادره ميستر بقوله :

ـ إنني آسف لاستدعائك الآن!

وكان بادي الحيرة، لا يدري كيف يدخل في الموضوع! ومكث ألان ينتظر ما يقوله . ثم استطرد ميستر قائلاً :

ـ الواقع . . الواقع إن عليّ مهمة ثقيلة أؤديها . . مهمة غير سارة . . وإني أصارحك بأني أكره أداءها!

وظل ألان ساكتاً. فقال ميستر له: «إن الأمر يتعلق بالمسكين جوني لنلي. ولعلك تدرك موقفي يا ومبوري. وأنت تعرف ما قاله لي مدير البوليس. إنني موضع الشبهة عند اسكتلانديارد وإن لم يقم ذلك على أساس!»

وجعل ألان يسائل نفسه: ماذا وراء هذه المقدمة؟ ثم استطرد المحامي فقال:

لايمكنني أن أجازف! قبل بضعة أسابيع كان يمكنني أن أراعي ماري. أعني الآنسة لنلي. ولكني الآن لا أستطيع ذلك. فإذا علمت أن هناك جريمة توشك أن تقع، فإن واجبي يقتضيني أن أبلغ البوليس!

وهنا فقط أدرك ألان ومبوري ما يرمي إليه محدثه. ولكنه مع ذلك ظل ساكتاً. . وكان موريس ميستر يذرع الغرفة رواحاً وجيئة وهو يتكلم. وقد شعر بعداوة ومبوري له وازدرائه إياه، فأحس بغضاً له من أجل ذلك. والأسوأ من هذا أنه أدرك أن ألان يعرف أنه يكذبه القول، ويعرف أنه إنما يخون أخا ماري عن قصد!

ثم قال له ميستر أخيراً: «أفاهم أنت؟» فرد عليه ألان ومبوري قائلاً:
ـ حسناً! أي جرم يريد لنلي ارتكابه؟
ـ يجدر بك أن تعلم أن سرقة لآلىء اللادي دارنلي لم تكن أول جريمة ارتكبها جوني. فقد سرق من بيت الآنسة بولتر منذ سنة تقريباً. . أتذكر حادث تلك السرقة؟

فأومأ ألان ـ أسه وقال: «لقد كانت الآنسة بولتر عانساً غريبة الأطوار، تمتلك ثروة طائلة. وكان لها بيت في أطراف جرينويتش. وعندها مجموعة كبيرة من الجواهر القديمة. سرق منها ما لاتقل قيمته عن ثمانية آلاف جنيه. . ولم يقبض على السارق حتى الآن، فهل تريد أن تقول إن جوني لنلي كانت له يد في هذه السرقة؟ وهل هذه هي المعلومات التي تريد الإدلاء بها إليّ؟»

ـ إني لا أدلي بمعلومات، وإنما أقول لك ما أعتقده حقاً. إن ما أعلمه يمكنك أن تستوثق من صدقه. وهو أن تلك الجواهر التي سرقت لم تخرج قط من البيت. وقد تذكر أن اللصوص بوغتوا أثناء السرقة!

فقال له ألان: «إني لاأزال غير مدرك ماترمي إليه»

فنظر ميستر حوله ثم قال بصوت منخفض: «لقد فهمت من بعض عبارات أفلتت من لسان جوني أنه ذاهب الليلة إلى (كمدن كريسنت) ليخرج تلك الجواهر من مخبئها. وقد

استعار مفتاح البيت المجاور لبيت الآنسة بولتر. واتفق أنه خال من الساكنين. وأنا أعتقد أن الجواهر مخبأة على سطح الدار رقم ٥٧. وأقترح ـ مجرد اقتراح ـ أن تضع أحداً للرقابة هناك الليلة!»

فقال آلان له: «فهمت!»

ـ لا أريد منك أن تظن أني أقصد إيذاء جوني. بل إني أوثر أن تقطع يدي اليمنى على أن يمس بسوء. ولكن عليَّ واجباً أؤديه، وقد أصبحت موضع الريبة في اسكتلانديارد فيما يتعلق به على الأقل!

ولما عاد آلان ومبوري إلى قسم البوليس الخاص بفلاندرزلين، كان ينتابه هم شديد... وكان في حيرة شديدة، فإن في إمكان ميستر أن يبلغ اسكتلانديارد أنه أنهي إليه ذلك النبأ. فإذا هو حذر جون لنلي كان ذلك ذنباً ينافي واجبه ويؤدي لا محاله إلى فصله من الخدمة!

وأرسل ومبوري أحد رجاله ليقوم بالرقابة على سطح تلك الدار التي عينها ميستر.. ولم تمض ساعة دق جرس التليفون في قسم البوليس، ورد الجاويش ثم حول إليه التليفون. وقال محدثه من الطرف الآخر، وكان الشرطي الذي عليه نوبة الحراسة في كليفرز:

ـ يوجد رجل على سطح الدار رقم ٥٧ في كمدن كريسنت
ـ لاتقلق بالك.. إنه من رجالنا.. آه.. تقول أنه ينظف المدخنة؟ أجل.. إن رجالنا ينظفون المداخن عادة.. وهم لا يؤدون هذا العمل ليلاً!

وكان شرطة ذلك القسم يبحثون عن مجرم آخر في تلك الليلة، فإن سام هاكيت اختفى فجأة من دار المحامي ميستر.. وفي الوقت نفسه جيء بالمرأة السليطة اللسان المعروفة باسم السيدة هاكيت إلى قسم البوليس بتهمة المشاجرة مع شابة قيل إنها أعجبت بسام هاكيت الخائن.. وانتقمت الزوجة المخدوعة لنفسها فذكرت لرجال البوليس ما تعرفه من أسرار زوجها. ومن ثم راح اثنان من رجال ومبوري يبحثان عنه في كل مكان!

لقد قال الدكتور لوموند مرة: إن البوليس شديد القسوة على صغار المجرمين، وأنه أصبح قليل الإحساس بآلامهم.. والآن عجب آلان من نفسه: هل أصبح هذا الوصف ينطبق عليه؟ إن ضابط البوليس ينبغي له أن يكون أشبه بالطبيب الذي يمارس عمله لصالح الإنسانية دون تأثر من جانبه!

وفيما هو يفكر في جون لنلي إذا به قد دخل فجأة إلى قسم البوليس، ووقف أمام

منضدة الجاويش الذي عليه النوبة وقال :

ـ لقد جئت لأبلغ . . إني أدعي جوني لنلي، وأنا سجين مفرج عنه بترخيص! ثم لمح ومبورتي فذهب إليه تواً . . فقال له هذا :

ـ لقد علمت بالإفراج عنك يا لنلي وأنا أهنئك!

وكان وهو يحدثه يتصور ذلك الشرطي المختبىء فوق سطح تلك الدار! ورد جوني قائلاً : «أجل! لقد خرجت أمس!»

فقال له : «لاريب أن أختك قد فرحت لعودتك!» فلم يزد جوني على أن قال له : «نعم!»، وكأنما لم يرد أن تذكر أخته في هذا المجال.

ثم قال له ألان بعد ذلك : «سوف أجد عملاً لك يا جوني قريباً!»

فابتسم جون لنلي في خجل وقال له : «عن طريق جمعية مساعدة المساجين؟» كلا! شكراً لك . . أم أنك تفكر في جيش الخلاص؟ تريد لي عملاً كفرز الورق مثلاً بأجر بنسين عن كل قنطار؟ إني إذا أردت عملاً لنفسي، فيجب أن يكون عملاً لأتعابي، لا عمل المتعطلين . . وأنا لا أريد معاونة من أحد . . فدعني وشأني!»

وساد الصمت برهة . . ثم قطعه ألان بقوله : «إلى أين تذهب الليلة؟»

لقد رأى أن يحذره مهما تكن العاقبة! وكان يفكر في ماري وهي تنتظر أوبة أخيها بالبيت، ولم يطق أن يتصور حالها إذا قبض عليه مرة أخرى!

ونظر إليه جون لنلي بارتياب وأجاب قائلاً :

ـ إني ذاهب إلى وست إند . . ماالذي تريد معرفته

وتظاهر ألان بعدم الاكتراث وقال له :

ـ لا أريد أن أعرف شيئاً معيناً!

ثم التفت إلى الجاويش وقال له : «كم تبعد المسافة من هنا إلى كمدن كريسنت؟»

وعندئذ فزع جوني . وأجاب الجاويش قائلاً : «نحو عشر دقائق سيراً على الأقدام»

فقال له ومبوري : «إذن . . هي جد قريبة من قسم البوليس هذا؟»

ولم يقل جوني شيئاً! ثم استطرد ألان قائلاً : له : «لقد كنت أفكر في أن أتريض قليلاً في تلك الجهة! ألا تحب أن تمشى معي لنتحدث قليلاً؟»

وكان جوني يرقبه بارتياب، فرد قائلاً: «كلا. . إن عليّ أن أقابل أحد أصدقائي!»

فالتقط ألان كتاباً وأخذ يقلب صحفاته، وقال من غير أن يرفع بصره:

- إني أسائل نفسي من الذي ستقابله تلك الليلة؟ لقد كنت شغوفاً بالرياضة في صغرك يالنلي. وكنت عداء، أليس كذلك؟ وأذكر أنك كنت تحصل على جوائز في مسابقات الجري!

فقال جون لنلي في دهشة: «أجل. . حصلت على بعض الكؤوس!»

- فقال ألان من غير أن يرفع بصره عن الكتاب:

- لو كنت في مكانك لجريت من هنا عائداً إلى بيتي، من غير أن أقف في الطريق أو آتمهل! ثم لأغلقت باب مسكني عليّ حتى لا أخرج!

وهنا قال الجاويش الذي عليه النوبة: «لماذا؟»

- قد يحصل على كأس أخرى كجائزة، أو على دبلوم في الجري!

وكان جون لنلي قد أدار له ظهره، ومضى نحو الباب. فقال له ومبوري: «عم مساء يا لنلي. . هذا إذا لم أرك ثانية!»

فتنبه الشاب وقال له: «أتنتظر رؤيتي ثانية؟ الليلة؟» فأجابه: «نعم!»

وقد قال ومبوري ذلك عمداً، وكان أقرب ما يكون إلى تحذيره مما هو مقبل عليه. وكان بذلك يخرج عن واجبه كمفتش بوليس سري، ولكن جون لنلي لم يفهم وهز كتفه استخفافاً وخرج!

واشتد حنق ألان فقال: «ما أشد حماقة هؤلاء القوم!»

فقال له الجاويش: «لولا يكونوا حمقى لما أمكننا القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة!»

وكان ومبوري يود لو يخرج في تلك الساعة، لولا أنه كان قد اتفق مع الدكتور لوموند على اللقاء في القسم. وكان لايحبُّ أن يكون حاضراً حين يؤتى بجوني مقبوضاً عليه. . هذا طبعاً إذا لم يكن قد فهم تحذيره له، ولكن هل فهم؟ لقد أوضح له الموقف بقدر ما يستطيع، فمن المحال أن يكون قد غفل عن ذلك التحذير!

اليد المسحورة

دخل الدكتور لوموند الغرفة وهو يلعن الطقس، ودخل موريس ميستر في أثره وهو يقول له:

رجل الطب ورجل القانون معاً؟! يا عزيزي الدكتور.. إن هذا لقاء تاريخي!

ثم التفت ميستر إلى ألان وقال له: «هل أحضروه؟ إني لا أعتقد أنه بلغ به الطيش أن يرتكب هذه الجريمة! ويحسن أن يبعد عنها يا ومبوري!»

فقال له ألان بجفاء: «هل جئت لتتأكد؟ كان يكفي أن تسأل بالتليفون!»

ـ كلا! لم آت من أجل ذلك!

وجاء أحد الشرطة وهمس في أذنه شيئاً.. ثم قال ميستر وهو بادي الاضطراب:

ـ إن هاكيت قد هرب وتركني وحدي في الدرا! لقد أصبحت ثائر الأعصاب يا ومبوري، أفزع لكل صوت ولكل حركة!

وفي تلك اللحظة دخل رجل لم يلتفت الثلاثة لدخوله إذ كانوا منهمكين في الحديث. وكان هو المفتش بليس وقد ألقى نظرة على الغرفة ثم اختفى وكأنه طيف، ولكن الجاويش لمحه فقام هو والدكتور لوموند وتبعاه على مسافة قريبة!

واستطرد ميستر يقول: «إن كل صوت يجعل قلبي يقفز من مكانه يا ومبوري. وأشعر كأن الأسرار على مقربة مني. بل لكأنه في هذه الغرفة رباه! إن هذا فظيع لا يطاق!

وترنح فجأة وكاد يقع لولا أن أسرع ومبوري إلى نجدته. وكان الدكتور لوموند لحسن الحظ على مقربة منهما فأجلساه على كرسي، وجاء الجاويش كارتر بملح نشادر كثيراً ما عالج به نساء أغمى عليهن في القسم!

وتساءل ومبوري قائلاً: «ماذا به؟»

فرد الطبيب قائلاً: «إنه المخدر! خذه إلى غرفة المفتش يا جاويش، وسيفيق بعد لحظة!»

ونظر إليه الدكتور لوموند، والجاويش ينقله من الغرفة.. وهز رأسه. ثم عاد إلى الباب المؤدي إلى الردهة وأخذ ينظر إلى الخارج في ظلمة الليل. فقال له ألان: «ماذا هناك ياكتور؟»

فأشار الدكتور لوموند إلى الشارع وقال: «لقد عاد ثانية! وقد كان يراقب المكان منذ جاء ميستر إلى هنا!»

ثم عاد الدكتور لوموند إلى الغرفة وجلس على كرسي أمام الموقد. وسأله ومبوري في لهفة: «من هو ذلك المراقب الخفي؟»

ـ لا أدري. ولكنه يبدو لي أنه يشبه بليس. وهو لايميل إليّ ولا أدري لماذا؟!

فزمجر ومبوري قائلاً: «أتعرف أحداً يميل بليس إليه سوى نفسه؟!»

فقال الدكتور لوموند: «لقد سمعت عنه بعد ظهر اليوم في النادي أنباء غريبة! وصادفت طبيباً كان يعرفه في وشنطون، وهو يقسم أنه رآه في قسم الأمراض النفسية بمستشفى بروكلين هناك!»

ـ ومتى كان ذلك؟

ـ هذا وجه الغرابة.. فإنه يقول إنه رآه منذ أسبوعين فقط!

فابتسم ومبوري وقال: «هذا غير معقول! فقد رجع بليس إلى لندن منذ بضعة أشهر!»

ـ أتعرف بليس معرفة جيدة؟

ـ الواقع أني لا أعرفه معرفة جيدة! ولم أكن قد قابلته قبل عودته من أمريكا، وإن كنت قد رأيته قبل.. ذلك وهو أكبر مني سناً بمراحل، إذ كان مساعد مفتش حين كنت أنا برتبة كونستابل!

وفي هذه اللحظة دخل المفتش بليس وذهب تواً إلى مكتب الجاويش وقال له: «آريد مسدساً!»

فسأله كارتر: «معذرة! ماذا تريد؟»

فرفع بليس صوته وقال: «أريد مسدساً!»

وقال ومبوري بخبث: «لابأس يا جاويش! إن المفتش المركزي بليس من رجال اسكتلانديارد يطلب مسدساً.. لماذا تريد مسدساً يا بليس؟»

ـ وما شأنك أنت؟

ـ لاتنس أن هذا الحي هو من اختصاصي

ـ هل هناك مانع من إعطائي مسدساً؟

ـ كلا! ولكن عليك أن توقع على صك بتسلمه. . يبدو أنك نسيت قواعد العمل؟!

ـ لقد كنت بعيداً عن هذه البلاد الملعونة كما تعلم!

وكان الطبيب الشيخ يغمز بعينيه، ثم قال أخيراً: «عم مساء يا مستر بليس»

ـ عم مساء يا أستاذ! هل قبضت على الدقاق؟

فابتسم لوموند وقال: «لم أوفق بعد!»

ـ يحسن بك أن تؤلف كتاباً جديداً، وعندئذ قد يتاح لك القبض عليه!

فقال لوموند بجفاء: «هذه فكرة بارعة! إني لم أقبض على الدقاق بعد، ولكن يمكنني القول بأني كان في إمكاني أن أضع يدي عليه!»

فنظر بليس إليه بارتياب وقال: «أتظن ذلك؟ لعلك كونت لنفسك رأياً؟!»

ـ بل عقيدة قوية!

وذهب الدكتور لوموند إلى غرفة المفتش حيث كان ميستر راقداً تحت رقابة شرطي. ثم قال: «إنه بصدد العودة إلى وعيه!»

وجاء شرطي وهمس في أذن ومبوري شيئاً. فقال له ومبوري: «سيدة جاءت إليّ؟ من هي؟»

فقال الدكتور لوموند بما أوتيه من إلهام خفي:

ـ لاشك أنها كورا آن ملتون. . عروسي المستقبلة!

ودخلت كوران آن وعليها سمت التحدي وقلة المبالاة، وقالت للدكتور لوموند:

ـ هل هناك خلل في مفكرة مواعيدك يا دكتور؟ إني لم أعتد أن أنتظر أي رجل أكثر من ساعة واحدة!

ونظر ألان ومبوري بارتياب إلى الدكتور لوموند وهو يتناول يدها بين يديه. . ثم قال لها الطبيب الشيخ:

ـ كنت قادماً إليك لأصحبك إلى مطعم نتناول فيه العشاء. وإذا بي استدعى إلى هنا

وأنسى ذلك الموعد!

فنظرت كورا آن حولها باشمئزاز وقالت: «إني لا ألومك.. فإني لو دعيت إلى مكان كهذا لفر عقلي! هل هذا قسم بوليس؟ إنه أشبه بالجحيم!»

ثم نظرت إلى ومبوري وقالت له: «أين بذلتك الرسمية؟ إن الجميع مرتدون بذلاتهم ماعداك!»

فابتسم ألان وأجاب قائلاً: «إني أحتفظ بها للحفلات!»

ـ وكيف تستطيع البقاء بهذا القسم؟ إن الذي يرضى هذه المعيشة لابد أن يكون بعقله دخل!

وهنا تدخل الدكتور لوموند قائلاً لها: «أنت في حالة غير طبيعية، فإني أراك زائغة البصر!»

فقالت له: «ذلك لأني لم آكل شيئاً منذ تناولت الغداء!»

فبان الألم في الطبيب الشيخ وقال لها: «يالك من سوسة مسكينة جائعة! أما كان يمكنك آن تأكلي وحدك؟!»

فردت كورا قائلة: «إني أوثر أن آكل تحت رقابة طبيب!»

ـ إن ذلك لايدعو إلى الاطمئنان!

ـ أتظن أني سأضع السم في طعامك؟

ـ كلا! وإنما أخشى أن تسممي أفكاري!

وكان ألان ومبوري يصغي إلى هذا الحوار بينهما وهو في دهشة بالغة! ترى ماذا يرمي إليه الدكتور؟ ولماذا يوطد صلته بهذه الفتاة؟

ثم قالت كورا آن للطبيب الشيخ: «أتنوي أن تشفق على امرأة هستيرية بائسة؟»

وكان صوتها ينم عن اليأس، وكأنها تبذل آخر جهد لديها! وتساءل ألان عن غرضها من ذلك؟ ثم رد الدكتور لوموند قائلاً: «بودي ذلك يا كورا آن ولكن..»

فسألته: «ولكن ماذا؟ إنك دائماً تستدرك! اسمع أيها الاسكتلندي الشحيح... إنك تدفع ثمن العشاء!»

فضحك وقال: «هذا إغواء شديد! ولكن عليّ عملاً أنجزه!»

فضحكت ساخرة وقالت: «عمل؟! إني أعرف ذلك العمل. إنك تحاول أن تشنق ارثر ملتون. هذا ما تعده أنت عملاً! حسناً!»

فسألها وقد بان القلق في وجهه: «إلى أين تذهبين الآن؟»

فابتسمت وقالت: «لقد فات وقعت العشاء! وأحسب أني سأذهب الآن لأتناول العشاء وأتلقى درساً في الموسيقى في آن واحد! إن لي صديقاً يحسن العزف على البيانو!»

ثم غادرت الغرفة، فشيعها الدكتور لوموند إلى الباب ثم قال موجهاً كلامه إلى ومبوري:
ـ يبدو أن هذا وعيد لي!

فرد ألان قائلاً بلهجة الجد: «بودي يا دكتور لو لم تغازل زوجة الدقاق هذه!»
ـ ماذا تعني بذلك؟
ـ أعني.. إني لا أحب أن أشغل بفاجعتين معاً!

وكان الجاويش كارتر قد ذهب إلى الغرفة التي رقد بها ميستر ثم عاد إلى مكتبه فقال له ومبوري:
ـ كيف حاله الآن؟
ـ لا بأس به يا سيدي!

وفي هذه اللحظة جاء شرطي يلبس ثياباً مدنية وقد سحب جون لنلي وقال:

ـ أنا بل كونستابل البوليس السري. في مساء اليوم كنت على سطح الدار رقم ٥٧ في كمدن كرسنت فرأيت هذا الشخص يأتي من باب سري في الدور العلوي بالدار رقم ٥٥.. ثم رأيته يبحث خلف الحوض في البيت رقم ٥٧، فقبضت عليه بتهمة اقتحام بيت مغلق بقصد ارتكاب جريمة!

ووقف جون لنلي وهو ينظر إلى الأرض، ثم رفع بصره فلما التقى ببصر ومبوري قال له:

ـ شكراً لك يا ومبوري.. لو كان لي ذرة من الذكاء لما كنت هنا الآن!

فغمس الجاويش كارتر ريشته في الحبر وسأله عن اسمه وعنوانه، ثم أخذ يكتب محضر التحقيق. ولما سأله عن صناعته أجاب جوني قائلاً: «إنني سجين مفرج عنه

بترخيص». ثم أمر الجاويش شرطياً بتفتيشه!

وعلى أثر ذلك التفت جون لنلي إلى ومبوري وسأله: «من الذي وشي بي»
ـ لا داعي لأن تسألني هذا السؤال، فإنك تعرف الجواب!

ثم سأله الجاويش كارتر عن سبب وجوده على سطح تلك الدار فأجاب قائلاً:

ـ لقد ذهبت أبحث عن شيء ما وراء الحوض، ولكني لم أجده هناك وهذا كل مافي الأمر! من الذي وشي بي؟ ولكن لا حاجة لإخباري.. والآن يا ومبوري أرجو أن تعنى بأختي.. إنها في حاجة إلى من يعنى بها، وأنا أثق بك أكثر من أي شخص آخر!

ولسوء الحظ اختار ميستر تلك اللحظة بالذات ليعود إلى الغرفة بعد أن استعاد وعيه. وقد حملق في جون لنلي وهو مقبوض عليه فقال له هذا:
ـ هالو يا ميستر!

فقال المحامي متلعثماً: «من أرى.؟ جوني؟ هل أوقعت نفسك في مشكلة مرة أخرى؟ يا للأسف! سأحضر إلى المحكمة صباح غد لأدافع عنك يا بني!»

ثم التفت إلى الجاويش وقال له بصوت مرتفع:
ـ إذا احتاج إلى أي طعام فأتوه به على حسابي!

وعندئذ صاح به جون لنلي بصوت رهيب:

ـ لم يكن وراء الحوض أي كيس!
فتصنع ميستر الدهشة وقال:

ـ لم يكن وراء الحوض أي كيس؟!. ماذا تعني بذلك؟. إني لا أفهم ما تقوله! فقال له جوني بشدة: «يبدو أني خرجت من السجن قبل الأوان فأفسد ذلك خطتك! أليس كذلك أيها الخنزير؟!»

وباغت جون لنلي الجميع فانقض على ميستر وأمسكه من خناقه، فأسرع ومبوري وكارتر لتخليصه من يده، وما لبثوا حتى وقعوا جميعاً على الأرض في صراع شديد!

وإنهم لكذلك، إذا بالمفتش بليس قد جاء، ولما رأى هذا المنظر بادر إلى الإمساك بالشاب، وكان ميستر مطروحاً على الأرض فقال بليس: «هل أصابه سوء؟»

ووقف جون لنلي وهو يلهث من التعب وقال: «ياليتني قضيت عليه!» فنظر بليس إليه

وقال له: «لاتكن أنانيا يالنلي!»

* * *

غادر آلان ومبوري قسم البوليس وهو يشعر بالحزن والتعاسة، فقد كان عليه أن ينبىء ماري لنلي بالقبض على أخيها من جديد، وهكذا يكون رسول الشؤم إليها للمرة الثانية!

وكان الضباب كثيفاً حتى صار يتحسس طريقه، فلما وصل إلى (لويشام هاي رود) كان الضباب أقل كثافه، وقد لعن في سره الضباب، ولعن جون لنلي لطيشه. على أنه كان أشد سخطاً على موريس ميستر.. فإن سفالة هذا الشخص لم يكن لها حد!

ثم صعد درج عمارة مالـباس وطـرق باب مسـكن ماري فلم يجبه أحد!. وطرق الباب ثانية.. وبعد لحظة سمع أحداً يمشي في الداخل وصوت ماري وهي تقول: «أهذا أنت يا جوني؟»

ـ كلا يا عزيزتي! أنا آلان ومبوري!

ولما فتحت الباب ورأته تراجعت خطوة إلى الوراء ووضعت يدها على قلبها وقالت:
ـ هل حدث شيء؟

وشحب وجهها من الفزع! وهز آلان رأسه في أسى بينما جلست هي على مقعد وغطت وجهها بيديها وقالت:

ـ أين جوني؟ هل قبض عليه مرة أخرى؟
فأومأ برأسه موافقاً، ولم يتكلم. ومضت هي تقول:
ـ لتزييف الصك؟ أليس كذلك؟

فحملق فيها مستغرباً وقال: «تزييف؟! إني لا أدري عم تتحدثين يا عزيزتي!»

فذهشت وقالت: «إذن.؛ ليس تزييف الصك هو السبب؟»

وكأنما أدركت فلته لسانها، فقالت له: «أرجو أن تنسى ما سمعته مني الآن!»

فقال لها: «قد نسيته يا عزيزتي! لكني لا أعلم شيئاً عن هذا التزييف.. لقد قبض على جوني لأنه وجد على سطح بيت مغلق!»

ـ بتهمة السرقة إذن؟ رباه!

ـ إني لا أدري كنه المسألة . . وأنا نفسي في حيرة . . وبودي لو استطعت إخبارك بكل شيء! لقد بذلت قصارى جهدي لتحذيره . ومازلت أعتقد أن أمامه فرصة للنجاة من هذه التهمة! وسأقصد إلى أحد المحامين من أصدقائي لأستشيره . ياليته لم يزر ميستر . !

ثم قص عليها ما حدث في قسم البوليس فارتاعت وقالت له :

ـ ضرب ميستر؟ لاشك أنه جن! إن موريس يقدر أن يوقع به!

وكان على ألان بعد ذلك أن يزور محامياً من أصدقائه في حي جرينويتش . . وقد خرج من هذه الزيارة مسروراً .

ولما عاد إلى غرفة البلاغات بالقسم، نظر إلى ساعة الحائط هناك، فإذا به غاب عن القسم ساعتين! ثم سأل :

ـ هل كان المستر بليس هنا؟

وكان بليس قد غادر القسم خفية كما دخله من قبل! وأجاب الجاويش كارتر قائلاً :

ـ أجل يا سيدي! لقد أراد أن يرى رجلاً محبوساً في الزنزانة هو ذلك الفتى المسمى لنلي . وقد أعطيته المفتاح!

ترى ما وجه اهتمام مفتش اسكتلانديارد بذلك الشاب؟ لقد حار ومبوري في حل هذا اللغز . ثم سأل الجاويش :

ـ هل بقي بليس وقتاً طويلاً هنا؟

ـ نحو خمس دقائق!

ـ وهل من بلاغات جديدة؟

ـ كلا يا سيدي! ولكن هناك سكير سبب كثيراً من المتاعب، وقد كلمت الدكتور لوموند بالتليفون وهو معه الآن . ولهذه المناسبة يا سيدي . .

هل رأيت هذه بين أوراق لنلي . لقد وجدتها بعد أن ذهبت!

وناول ومبوري بطاقة كتب عليها مايلي : «هاك المفتاح وبمكنك تدخل حين تشاء . . رقم ٥٧» .

فقال موبوري : «هذا خط ميستر»

ـ أجل ياسيدي. والمنزل رقم ٥٧ هو ملك ميستر.. ولست أدري مدى تأثير ذلك في الاتهام الموجه إلى لنلي!

وأحس ألان ومبوري أن عبئاً ثقيلاً أزيح من فوق صدره!. واستعاد في هذه اللحظة كل ماقاله له صديقه المحامي، ثم قال:

ـ الحمد لله!. إن في هذا براءته كما حسبت!. ولابد أن ميستر كان مخموراً حتى كتب ذلك!. إنها أول فلتة له!

ولم يكن ومبوري من رجال القانون، ولكن مادام لنلي قد قبض علي.

ثم سأل الجاويش: «هل كان هناك مفتاح؟»

ـ أجل ياسيدي وعليه اسم ميستر أيضاً!.

ـ ومع ذلك فأنا مسرور لأن لنلي محبوس الآن.. فإني كنت قد قرأت في عينيه نية القتل!

وعندئذ وجه الجاويش إليه سؤالاً كان يحيره قائلاً: «لعل لنلي ليس هو الدقاق..؟»

فضحك ألان وقال له: «لاتكن سخيفاً!. كيف يمكن أن يكونه».

وإذ قال ذلك سمع أحداً يناديه، فقد جاء الدكتور لوموند من الردهة المدية إلى الحبس بومبوري سائلاً:

ـ في أية زنزانة وضع جون لنلي هنا.

فأجاب كارتر: «في الزنزانة رقم ٨ التي في الطرف!»

ـ إنها خالية وبابها مفتوح!

فاندفع كارتر من الغرفة.. والتقط ألان سماعة التليفون من فوق مكتب الجاويش وقال للدكتور لوموند:

ـ رباه!. لابد أنه ذهب لينتقيم من ميستر.!

وجاء كارتر مسرعاً يقول: «لقد فرّ لنلي لا ريب في ذلك! فإن باب الزنزانة مفتوح، وكذا الباب المؤدي إلى الفناء!»

فقال ومبوري له: «ائتني باثنين من رجالي فوراً!» ثم تحدث بالتليفون مع اسكتلانديارد وطلب إبلاغ جميع الأقسام عن فرار جون لنلي.. وذكر أن سنة ٢٧ سنة، وطوله ست أقدام، وأورد أوصافه الأخرى والملابس التي يرتديها!

ثم جاء اثنان من رجال البوليس السري، فأمر أحدهما بأن يركب دراجة ويذهب إلى جميع الشرطة الذين بالطرق ويطلب منهم القبض على لنلي إذا مر بهم بعد أن يصفه لهم. وأمر الثاني بأن يذهب تواً إلى عمارة مالباس حيث يسكن لنلي مع أخته، وأوصاه بأن لا يزعجها!

ثم قال للدكتور لوموند متسائلاً: «بالله كيف استطاع الفرار؟»

فقال لوموند في هدوء: «إن لي في ذلك رأيا! ومادمت قد سمحت للمفتش المركزي بليس بأن يدنو من سجين أكثر مما يجب، فليس أسهل بعد ذلك من فرار هذا السجين!»

وفي هذه اللحظة جيء إلى القسم بشخص مقبوض عليه، ولم يكن سوى هاكيت. وما كاد هذا يرى ومبوري حتى قال له:

ـ عم مساء يا مستر ومبوري.. أرأيت ماذا صنعوا بي؟ لماذا لاتأمرهم بتركي وشأني؟

فسأل ومبوري الشرطي الذي معه: «ماذا حدث؟»

ـ لقد رأيت هذا الرجل يسير في دبتفورد برودواي حاملاً كيساً. فسألته عما به، ولكنه أبي أن يفتحه وحاول الجري فقبضت عليه!

فقال سام هاكيت: «هذا كذب! لقد قلت له: «إذا أردت الكيس فخذه!»

وعندئذ قال له ومبوري: «اسكت يا هاكيت.. ماذا في الكيس؟

فرد هاكيت قائلاً: «إني أقول لك الحقيقة عن هذا الكيس.. الحقيقة أني وجدته وكان عند جدار فقلت لنفسي: «ترى ماهذا؟»

وهنا قال الجاويش كارتر: «ماذا يقول الكيس عن نفسه؟»

وكان الكيس يقول أشياء كثيرة.. فقد كان يحتوي على علبة النقود التي لم يجد سام فرصة للتخلص منها! كما كان يحتوي على رزمة سميكة من ورق البنكنوت. ثم قال سام هاكيت بلهجة تدل على الدهشة والفزع:

ـ إنها علبة نقود ميستر! بالله ما الذي وضعها داخل الكيس؟ إن هذا لغز يستحق أن

تكشف سره يا ومبوري.. ويجب أن تذكره حين تكتب الصحف يوم الأحد!

ـ ليس في الأمر خفاء.. هل من شيء آخر؟

وأخذ الجاويش يخرج من الكيس الآنية الفضية المسروقة من بيت ميستر. ثم يضعها على المنضدة قطعة قطعة، بينما قال هاكيت مستسلماً:

ـ لقد أفسدت يا ومبوري أحسن شهر عسل كنت سأستمتع به! من الذي وشى بي؟

ثم أخذ الجاويش كارتر يكتب المحضر، ولما سأل هاكيت عن عنوانه أجاب قائلاً: «قصر بكنجهام!» فكتب: «لاعنوان له». ثم سأله: «ماهي صناعتك؟». فأجاب قائلاً: «وصيفة!»

والتفت إلى ومبوري قائلاً: «أتدري ماذا أعطاني ميستر في مقابل عملي عنده مدة أربعة أيام؟ عشرة شلنات لاغير! إن هذه سرقة. إني لن أعود إلى ذلك البيت ما حييت. إنه بيت ترتاده الأشباح!»

وهنا دق جرس التليفون فرد كارتر. ثم قال ومبوري:

ـ ماذا تعني يا هاكيت بأن البيت ترتاده أشباح؟

فأجاب هاكيت قائلاً: «لقد كنت في غرفة ميستر. وحين كنت خارجاً (بالبضاعة) شعرت بيد تلمسني. لقد كانت باردة كأيدي الموتى. فقفزت من النافذة وهربت!»

ثم غطى كارتر سماعة التليفون بيده وقال لومبوري: «إنه أتكنز ياسيدي. الشرطي الذي ببيت ميستر. وهو يقول إنه لا يقدر أن يسمع ميستر صوته لأن هذا صعد إلى غرفته وأوصدها على نفسه!»

فتناول ومبوري سماعة التليفون، وكلم اتكنز وسأله:

ـ ألا ينبعث أي ضوء من النوافذ؟ هل أنت واثق أنه بداخل البيت؟

ولحظ كارتر أنه قد تغير لون وجهه وهو يكلم أتكنز. ثم سمعه يقول:

ـ ماذا؟ الدقاق رئي في حي دبتفورد الليلة؟ في شاتي توا؟! ثم ترك سماعة التليفون، والتفت إلى هاكيت قائلاً:

ـ لست أدري أكانت يداً باردة أم قدماً باردة، ولكنك ستأتي معي إلى بيت ميستر الآن!

ـ ووضع ومبوري مسدساً في جيبه، ومشى صوب الباب. فقال له كارتر:

ـ أرجو لك حظاً حسناً يا سيدي!

والواقع أنه كان في حاجة إلى هذه الأمنية!

* * *

كان الضباب كثيفاً إلى حد جعل المارة يتحسسون طريقهم بأيديهم على القضبان والجدران! وكان آلان ومبوري حسن الحظ فقد أدرك هو وأعوانه الدكتور لوموند وركبوا سيارته. وكان الطريق يمر بأسوأ جزء من فلاندرزلين حيث يسير الشرطة أزواجاً!

وكان ومبوري ممسكاً بمشعل كهربائي، فصادف رجلاً عرفه تواً وقال له:

ـ هذا أنت يا دكتور؟

ـ ما أسوأه حجراً! أين أنا؟

فأجاب ومبوري قائلاً: «في فلاندرزلين»

ولم يكد يقول ذلك حتى سمع قهقهة على مقربة منه، فقال الدكتور لوموند: «من هذا؟»

وعندئذ قال له ومبوري محذراً: «لاتتقدم. ألا ترى أن الطريق مسدود؟»

ـ لقد استعملت الضوء الأحمر بالسيارة طول هذا المساء! هل الطريق مسدود حقاً؟!

وهنا سمع صوت أجش يقول: «هذا هو الذي سيقبض على الدقاق!»

ثم تلا ذلك ضحكات صادرة عن عدة أشخاص! فقال الدكتور لوموند متسائلاً: «من الذي كان يتكلم الآن؟»

فأجابه آلان ومبوري قائلاً: «قلت لك إننا في فلاندرزلين.. وهي عبارة عن جحيم مصغر!»

فقال الدكتور: «إني لا أرى أحداً!»

ـ إنهم جالسون على عتبات الدور يراقبوننا!

فقال لوموند: «يالها من ليلة تلائم الدقاق!»

ثم سمع صوت فوتوغراف في بيت قريب، وبعدئذ انخفض الصوت، وكأن أحداً أغلق باب البيت. ثم علا صوت امرأة تقول:

ـ هذا هو طبيب الطيران الذي سيقبض على الدقاق!

فقال لوموند مندهشاً:

ـ بالله كيف يستطيعون الرؤية وسط هذا الضباب؟!
فرد ألان قائلاً :

ـ إن لهم أعيناً كأعين الجرذان! هالو . . من هناك؟!
وكان قد شعر بأحد يلمس كتفه! ثم استطرد قائلاً :

ـ إنهم يمزحون معناً! أتكون بقية الطريق على هذه الشاكلة؟!»

ورأوا أمامهم نوراً أحمر يتبعه غيره! ثم رأوا رجلاً منحنياً على موقد فحم، وكان شرطياً. ولما رفع وجهه الكئيب ارتاع الدكتور لوموند وقال له : «من أنت؟»

ـ أنا الحارس! إن فلاندرزلين مكان فظيع! إنهم يصرخون هنا باستمرار! ولو سمعت ما أسمعه أنا لجمد الدم في عروقك!

ثم استطرد قائلاً : «لقد كانت السيدة تتسكع هنا طول الليلة!»

فسأله ومبوري مدهوشاً : «أية سيدة تعني؟!»

ـ أظنها شبحاً! إننا نرى هنا أشباحاً! ونسمعهم أيضاً!
ثم سمعت صرخة في بيت قريب فقال الحارس الشيخ :

ـ إنهم يصيحون دائماً منذرين بالقتل! وكأنهم وحوش في أقفاصها! إنهم يولدون هنا، وهنا يموتون!

وفي هذه اللحظة، أحسّ الدكتور لوموند يداً تلمس ذراعه فقال : «أين أنت؟»

فهمست في أذنه قائلة : «ابق في مكانك ولا تتقدم!»
فصاح قائلاً : «ماذا؟ كورا آن؟!»

ثم التفت ألان ومبوري وراءه وصاح : «من هنا؟»

فردت كورا آن بلهفة : «هنا الموت! إني أريد إنقاذكم . . عودوا من حيث جئتم!»

فقال لها الدكتور لوموند مؤنباً : «أتحاولين تخويفي يا كورا آن؟!» ولم تجب هي بشيء، إذ كانت قد اختفت!

وخف الضباب أخيراً، فأمكنهم أن يروا مصباح الشارع الذي أمام دار ميستر . . وكان اتكنز ينتظر تحت سقف الباب الزجاجي، ولم يكن لديه ما يبلغه، وقال للمفتش ومبوري :

ـ لم أرد أن أقتحم الباب حتى تأتي! وليس من صوت بالدار سوى صوت البيانو . . وقد طفت حول الدار ورأيت نوراً منبعثاً من غرفته!

فدخل آلان ومبوري البيت مسرعاً، يتبعه هاكيت وحارسه. ثم الدكتور لوموند وراءهم. وصعد الدرج وطرق الباب بعنف فلم يجب أحد! ثم نادى المحامي باسمه فلم يتلق جواباً!

وسأل ومبوري : «أين مديرة البيت؟»

فقال الشرطي : «إنها في غرفتها ياسيدي! . أو كانت في غرفتها قبل بضع ساعات إنها صماء لاتسمع!»

ثم قال هاكيت : «أعطني أي مفتاح وأنا أفتح به هذا الباب!»

ووقفوا ينتظرون بينما كان هاكيت يعالج القفل معالجة خبير! ولم تمض بضع ثوان حتى فتح الباب!

ولم يكن بالغرفة سوى مصباح واحد خافت الضوء، لكنه كان كافياً لإظهار شحوب وجه ميستر. وكان هذا مرتدياً ثيابه المنزلية وقد جلس إلى البيانو، وأسند ذراعيه إلى قمته، وعلى وجهه أمارات الرعب!

وفزع آلان ومبوري حين رآه على هذا الشكل وقال : «لقد سمعت كثيراً عن ذهول مدمني المخدرات، ولكن هذه أول مرة أرى فيها إنساناً بهذا الشكل!

ثم أخذ يهزه، ولكنه لم يفق! فطلب آلان إشعال النور كله في الغرفة، ثم رجا من الدكتور لوموند أن يحاول إيقاظ ميستر . . وهنا قال هاكيت :

ـ لماذا لاتحاول إيقاظه بحرق أذنيه! . إن القانون لايحرم ذلك! ألم أقل لك يا مستر ومبوري إنه تحت تأثير المخدر، وقد رأيته هكذا من قبل!

فقال له آلان : «اسمع يا هاكيت . . هل كنت في هذه الغرفة حين شعرت بيد باردة تلمسك؟»

وأمر الحارس بأن يزيح الأغلال من يديه!

وعندئذ سار هاكيت إلى نقطة بالغرفة مواجهة للباب تقريباً، وكان بين الباب والأريكة الصغيرة مائدة عليها طعام كان ومبوري قد لمحها حين دخل الغرفة . . إذن فإن ماري لم تأت، وما كان أشد فرحه بذلك!

ثم قال هاكيت: «لقد كنت هنا . . وامتدت اليد من هناك». وأشار إلى الباب الخفي!

ورأى ومبوري المزالج مغلقة، والباب موصداً، والمفتاح معلقاً في مكانه على الحائط. فمن المحال أن يدخل أحد من ذلك المدخل دون معاونة من ميستر!

ثم التفت إلى النافذة، فرأى الستائر مسدلة، وقد لحظ هاكيت ذلك فوراً، إذ كان قد تركها غير مسدلة وترك النافذة مفتوحة! وقال مؤكداً:

ـ لقد دخل أ . هنا! إني موقن أن ميستر لم يتحرك من مكانه . . وقد تركت النافذة غير مغلقة!

وكان الباب المؤدي إلى غرفة ماري موصداً. وكذلك الباب الثاني الذي يؤدي إلى غرفة نوم ميستر. ونظر إلى القبضان مرة أخرى فأيقن أنها لم تمس في تلك الليلة. وكانت الغرفة كثيرة التراب، والبساط لم ينظف منذ شهور، وكل خطوة يخطوها أحد عليه لابد أن تترك أثراً!

وحاول أتكنز إيقاظ ميستر. وشجعه أول الأمر ما كان يصدر عنه من غطيط، ولكن محاولاته ذهبت كلها هباء! وكان ومبوري واقفاً إلى مائدة العشاء ينظر إليها باهتمام ثم قال: «عشاء لاثنين؟!»

والتقط زجاجة شمبانيا وقرأ ما عليها. فقال الدكتور لوموند:

ـ لقد كان ينتظر أحداً الليلة! سيدة!

فسأله ومبوري بغيظ: «كيف توقن أنه كان ينتظر سيدة؟ إن الرجال أيضاً يشربون شمبانيا!»

فانحنى الدكتور ورفع صحفة فضية وقال:

ـ لكنهم لا يأكلون شوكولاته إلا نادراً!

فقال ومبوري له: «إنك أصبحت بوليساً سرياً ممتازاً! . إن ميستر له ذوق شاذ!»

ثم أخرج الدكتور لوموند من تحت الفوطة علبة صغيرة مربعة ورفع غطاءها، فبدت فيها حلية من الماس، ثم قال:

ـ أحسب أن ميستر لايهدى مثل هذه الحلية إلى أصدقائه الرجال! وفي هذه اللحظة بدأ ميستر يستعيد وعيه، فنظر حواليه وقال:

ـ هالو . . أيها السادة. . أريد أن أشرب!

ومد يده باحثاً عن زجاجة خمر، فقال ومبوري له: «إنك تناولت من الخمر ومن المخدرات ما يكفي. هيا عد إلى رشدك. عندي لك نبأ لايسرك!»

فنظر إليه ميستر نظرة غباء وقال له: «كم الساعة الآن؟!»
الثانية عشرة ونصف!

وكأنما أيقظه هذا الجواب فقام متعثراً وقال: «الثانية عشرة ونصف؟ هل هي هنا؟»
وأمسك بالمنضدة كيلا يقع! فقال له ومبوري: «من هي؟»

ـ لقد وعدت بأن تأتي في الساعة الثانية عشرة. . إنها إذاً حاولت أن تخدعني. .

فسأله ومبوري مرة أخرى: «من هي؟»
فابتسم مستر وقال له: «واحدة لاتعرفها أنت!»
فسأله: «أكانت آتية لتؤنس وحدتك؟»

ـ أجل! لقد فهمت ما هنالك. . أعطني جرعة!.

وكان ميستر لايزال يحس دواراً، ولا يكاد يشعر بما حوله. . ثم لمح هاكيت فقال له:

ـ هل رجعت؟ حسناً! يمكنك الآن أن تذهب!

فقال هاكيت مخاطباً ومبوري: «هل سمعت ما قال؟ لقد سحب اتهامه لي!»
وعندئذ سأله ومبوري: «هل فقدت علبة النقود؟»

فذهب إلى مكتبه وهو يترنح، وفتح أحد الأدراج ثم قال: «لقد ضاعت!»
ثم قال لهاكيت: «لقد أخذتها أنت! أنت أيها اللص القذر!»

فأمسك به ومبوري كيلاً يقعل وقال له: «لقد قبضنا على هاكيت. ويمكنك أن تبلغ ضده صباح غدا!»

ثم هزه ومبوري وقال له: «أصغ إليّ. . . إن الدقاق موجود في حي دبتفورد. . أفاهم أنت ذلك؟»

ولـم يبد منه مـا يدل على تقديره للخطر فقد قال: «اخرجوا من هنا. إني أنتظر صديقة لي!»

ـ إن صديقتك لايمكنها أن تدخل هنا! إن جميع أبواب هذه الغرفة موصدة. وستبقى كذلك. ماعدا الباب الذي يقف به الحارس!

وكاد ميستر يقع على الأرض لولا أن أسنده ومبوري وأجلسه على كرسي، ثم غمغم ميستر قائلاً:

ـ الدقاق؟. إنه لايقدر أن يصل إليّ إلا إذا كان بارعاً حقاً! إني لا أقدر الليلة على التفكير.. ولكن غداً سأخبرك يا ومبوري أين يمكنك أن تقبض عليه.. إنك يا بني بوليس سري ماهر.. ألست كذلك؟ هيا بنا نشرب!

ولم يكد يقول ذلك حتى انطفأ شمعدانان من الشمعدانات الثلاثة التي بالغرفة، فصاح ومبوري قائلاً: «من الذي فعل ذلك؟ هل لمس أحد لوح الضوء؟»

فقال الجاويش اتكنز الواقف بالباب وهو يشير إلى ذلك اللوح:

ـ كلا ياسيدي! عنني أنا وحدي الذي كان يمكنني أن ألمسه من هنا! وكان هاكيت بالقرب من النافذة، يفحص الستائر، حين انطفأ الضوء فقال له ومبوري.

ـ تعال إلى هنا! إنك قريب من النافذة إلى حد لايجوز!

ـ لقد كنت أسائل نفسي عمن جذب الستائر يا مستر ومبوري! إني أقسم أنه لم يكن ميستر فقد كان نائماً، وأنت نفسك حاولت أن تكلمه بالتليفون فلم يجب!

وأمسك هاكيت بالستارة وجذبها جانباً، فرأى وجه رجل وراء لوح الزجاج، وكان وجهاً شاحباً ملتحياً وسرعان ما اختفى الظلام!

ولما صرخ هاكيت من الرعب، جرى ومبوري إلى النافذة وسأله: «ماذا رأيت؟»

ـ لا أدري! رأيت شيئاً!

وقال أتكنز: «أنا أيضاً رأيت شيئاً!

لقد كان هناك شعور بأن الخطر جد قريب! وأحسّ ومبوري برودة تسري في عموده الفقري. فأشار نحو هاكيت. وقال للشرطي:

ـ خذ هذا الرجل!

ولكنه لم يكد يلفظ بهذه الجملة حتى أطفىء النور في الغرفة، فسادها الظلام!

وعندئذ قال: «لايتحركن أحداً هل لمست لوح الضوء يا اتكنز؟»

ـ كلا ياسيدي!

ـ هل لمسه أحد منكم؟

فصاح الحاضرون ينفون ذلك!. وأضاء النور الأحمر فجأة حول الباب.. لقد دخل أحد الغرفة!

وقال ومبوري: «يا أتكنز.. قف بجانب ميستر.. تحسس بيدك المائدة حتى تجده.. وليحتفظ كل منا بهدوئه!

وأياً كان القادم فقد أصبح الآن بداخل الغرفة، وسمع الان صوت تنفسه، ووقع قدميه على البساط. ثم ظهر وميض ضوء لم يستمر سوى ثانية، وقد بان في شكل دائرة على الخزانة ثم ذهب. لقد كان منبعثاً من مشعل يدوي كهربائي لاريب أن أحداً يحاول فتح باب الخزانة!

ومشى ومبوري على مهل وقد مد يديه أمامه في الظلام. وأرهف أذنيه كي يسمع أقل صوت. ثم أمسك فجأة بشخص، وكاد يتركه لشدة دهشته، فقد كان المقبوض عليه امرأة! وكانت تجاهد قدر إمكانها كي تفلت من قبضته وسألها بشدة: «من أنت؟»

فقال همساً: «دعني أذهب!»

وعندئذ ارتطمت ركبته بركن الأريكة، ولشدة ألمه ترك أسيرته تفلت من يده!

ثم سمع صوته عميقاً رهيباً يقول: «يا ميستر.. لقد جئت أقتص منك!»

فصاح قائلاً: «أشعلوا الضوء.. أشعلوا الضوء!»

وإذ قال ذلك سمع صوت باب يغلق فصاح:

ـ عود ثقاب! أليس مع أحدكم مشعل؟!

ولما أضيئت الأنوار بالغُرفة نظر كل من الحاضرين إلى غيره بدهشة! ولم يكن هناك سوى الذين كانوا بالغرفة قبل إطفاء الضوء.. وكان الباب مغلقاً وموصداً بالمزالج ولم يلمسه أحداً! وكان مفتاحه لايزال معلقاً بالحائط!

وأدار الان بصره في الغرفة، فرأى عند الحائط منظراً جمد له الدم عروقه.. لقد كان موريس ميستر مسمراً بالحائط بعصاه التي تستر سيفاً (شيشاً).. وقد فارقته الحياة!

ثم سمعت من مكان ما خارج الغرفة ضحكة عالية مستمرة! وكان من بالغرفة يسمعونها وقد سرت في أجسامهم رعدة! حتى الدكتور لوموند الذي بغير لون وجهه!

* * *

بعد ساعة من نقل جثة ميستر . . كان الدكتور لوموند يدون ملاحظاته . . وكان في هدوء تام، مع أنه في خلال نصف الساعة الأخيرة قد سمع صوتاً عجيباً فقال للكونستابل :

ـ سأذهب إلى المستر ومبوري . . وسأترك حقيبتي هنا!

فرد عليه الكونستابل هاراب قائلاً : «لقد ذكر المستر ومبوري أنه سيعود قريباً، وطلب أن تنتظره . . وسيقوم الجاويش بتفتيش الدار، ولابد أنه سيجد هنا أشياء غريبة!»

ثم سمع لوموند الصوت من جديد، فذهب إلى الباب المؤدي إلى غرفة ميستر وفتحه، ونظر إلى خارجه فرأى ومبوري يصعد الدرج . . وقال له هذا :

ـ هناك ثلاثة طرق تؤدي إلى الدار . . وقد وجدت طريقين منها! وكان الجاويش اتكنز قد فتش بعض الغرف في الطابق الأدنى فجاء يقول :

ـ لقد كان ميستر يتجر في المسروقات ولاشك في ذلك!

فقال له ومبوري : «إني أعرف ذلك . . هل جاء زميلك الذي سيحل محلك هذا؟ حسناً! إذن . . إذن يمكنك أن تذهب!»

وكان الدكتور لوموند في خلال ذلك يرقب ألان ومبوري عن كثب . فلما ذهب الجاويش قال له :

ـ إن شيئاً ما يضايقك يا ومبوري . هل الأمر يتعلق بالآنسة لنلي . ؟

ولما أجاب ومبوري بالإيجاب، مضى الدكتور في كلامه قائلاً له :

ـ إنها هي التي دخلت الغرفة في تلك اللحظة الرهيبة . أليس كذلك؟

فتفرس فيه ومبوري ثم قال له : «سأقول لك شيئاً! إن ماحدث الليلة قد يسوىء مركزي كضابط بوليس، ولكني لاأبالي! أجل لقد كانت هي!»

فقال الدكتور لوموند له : «هذا ما حسبته!» . ثم واصل ومبوري كلامه فقال :

ـ لقد جاءت لتستعيد صكاً كان ميستر قد ادعى أن أخاها زور التوقيع الذي عليه! وكان

ذلك بالطبع أكذوبة منه!

فسأله الطبيب الشيخ: «ولكن كيف دخلت الغرفة؟»

ـ إنها لم ترد أن تخبرني بذلك! إنها محطمة القلب فقد قبضنا على أخيها وهي لاتصدق آنه سيبر أ!

ـ ياللفتاة المسكينة! ومع ذلك يابني سوف ينتهي الأمر كله نهاية سعيدة! وتثاءب الطبيب الشيخ فقال ومبوري له: «نهاية سعيدة؟ أنت كثير التفاؤل يا دكتور!»

ـ إني لا أفقد الأمل أبداً. إذن فقد قبضتم على الشاب لنلي.. وتلك الضحكة التي سمعناها؟!

ـ لم تكن صادرة عنه! وليس في الأمر خفاء.. لقد كانت صادرة عن شخص سكران من أهالي هذه الجهة.. وقد سمعه الشرطي الذي عليه نوبة الحراسة ورآه بعينيه!

فقال لوموند وهو يرتعد: «لقد حسبت أنها صدرت عن أحد بداخل البيت.. حسناً! لقد أنجز (الدقاق) مهمته، ولاخطر الآن على أحد!»

فرد ومبوري قائلاً: «إن الخطر لم يزل قائماً!»

وعندئذ سمع ذلك الصوت من جديد، فقال الدكتور لوموند متسائلاً: «ماهذا؟ لكأن أحداً يسير في المنزل! وقد سمعت هذا الصوت من قبل!»

فقام ألان وهو يقول: «ليس من البيت أحد سوى الشرطي الذي في الخارج!»

وعندئذ فتح ومبوري الباب وصاح:

ـ «هل من أحد هنا؟» فلم يجبه أحد. فذهب ليبحث بنفسه!

وقد غاب مدة طويلة. ولما عاد كان شاحب الوجه، وصرف الشرطي ثم قال للدكتور لوموند.

ـ لقد كانت إحدى النوافذ في الطابق الأعلى مفتوحة.. ولابد أن قطة دخلت منها!

فقال لوموند له: «ولكن يبدو عليك شيء من الخوف! ماذا حدث؟»

ـ إني أعترف بأني أشعر بشيء من الخوف! إن رائحة الموت تملأ هذه الدار!

وفي هذه اللحظة طرق الشرطي الباب وجاء يقول:

ـ لقد علمت ياسيدي من أحد الشرطة أنه رأى رجلاً يتسلق الحائط! فسأله: «منذ متى

رآه؟». فأجاب: «منذ خمس دقائق ياسيدي!» وهنا سأله الدكتور لوموند ساخراً: «هل كانت القطة..»

ولكن ألان لم يجبه، بل قال للشرطي: «هل رأيته؟»

فقال هاراب: «كلا ياسيدي فقد كنت عندك هنا!!»

ثم صرف الشرطي، وساد الصمت برهة، سأله الدكتور لوموند بعدها: «ماذا تستنتج من ذلك؟»

ـ ربما يكون أحد مخبري الصحف فإن أحدهم لايبالي أن يمكث فوق قبر لكي يحصل على نبأ طريف!

وعادا يسمعان صوت خطى خفيفة في الطابق الأعلى، فقال الدكتور لوموند

ـ ليست هذه خطى قطة يا ومبوري!

وكان ومبوري قد نفد صبره فقال: «لا أدري ماهي! إني لن أذهب للبحث عما هناك. فقد مللت هذه القضية!»

ـ وأنا أيضاً! إني ذاهب الآن إلى بيتي لأنام!

ـ أشرب كأساً قبل ذهابك!

وملأ ومبوري كأساً من الويسكي بيد مرتعشة، ولم ير أحدهما وجه بليس الملتحي وراء زجاج النافذة، ولا رأياه وهو يدخل الغرفة خلسة!

ثم قال ألان للطبيب: «إني لا أحس بغضاً للدقاق كما كان ينبغي لي بحكم مهنتي!»

فقال الدكتور لوموند وهو يرفع كأسه: «الحقيقة أنه لايوجد في العالم أشرار امتلأت نفوسهم بالشر تماماً، ماعدا ميستر! كذلك لايوجد أخيار كلهم خير دون شائبة من شر!»

فقال ألان ببطء: «أريد أن أقول لك شيئاً.. أني أعرف (الدقاق)..!»

ـ أتعرفه حقاً؟

ـ أجل! وقد سررت لأنه قتل ميستر!

وكان بليس يرقبهما من وراء الستارة!

ثم قال الدكتور لوموند: «هل استحوذ على ماري لنلي.؟»

ـ كلا والله والحمد! ولكنه نجت من مخالبه بفضل المصادفة وحدها! اسمع

يالوموند . . إني أقدر أن أقول لك من هو (الدقاق)

وفي هذه اللحظة خرج بليس من وراء الستار وبيده مسدس وقال :

ـ يمكنك أن تقول ذلك لي أنا!

وعندئذ امتدت يد نحو قبعته فصاح بليس قائلاً :

ـ أنت؟ أنت ياهنري ارثر ملتون؟!

فوقف الدكتور لوموند على قدميه تواً، ولم يعد الطبيب الشيخ الأشيب الشعر، بل صار شاباً وسيما في نحو الخامسة والثلاثين من عمره!

فصاح به ومبوري : «قف مكانك!»

وقال له بليس : «فتشه يا ومبوري!»

فخلع ألان معطف الدكتور . . أو (الدقاق) . . بينما ضحك هذا وقال :

ـ إن هذا لايليق بك يا بليس! ألم تقل أني طعنتك بمدية حين حاولت القبض علي منذ ثلاث سنوات؟!

فقال بليس له : «أجل هذا مافعلته!»

ـ هذه أكذوبة فإني لاأحمل مدية قط! وأنت تعرف ذلك!

ـ إن كل ما أعرفه هو أني قد انتصرت عليك! لقد زعمت أنك جئت من بور سعيد حيث كنت تعنى برجل مريض! أحسب أن زوجتك قد عرفت أني ارتبت فيك حين بدا عليها الفزع يوم كانت في اسكتلانديارد

فابتسم هنري ارثر ملتون ابتسامة ازدراء وقال له :

ـ هذا غرور منك ياعزيزي! إن زوجتي لم تفزع لأنها رأتك بل لأنها عرفتني وقتئذ!

ـ لقد كانت مسألة بورسعيد تلك براعة منك! فقد صادفت هناك رجلاً مريضاً وهو طبيب يدعى الدكتور لوموند كان قد أدمن المخدرات حتى أودت به . ولما مات اتخذت لنفسك اسمه وأوراقه! لقد حصلت لنفسك على وظيفة طبيب بالبوليس بعد أن خدعت وزيراً صادفته في رحلتك بالباخرة!

ـ أجل! لقد كان من حسن حظي أن حصلت على هذه الوظيفة . . وكنت قد درست في كلية الطب بأدنبره أربع سنوات

ـ حسناً! والآن قد قبضت عليك وأنا أتهمك بأنك قتلت موريس ميستر عن عمد وسبق إصرار!

وهنا قال ومبوري محتجاً: «ولكن يا بليس . . أن . . .»

فرد عليه بليس مقاطعاً بجفاء: «إني أنا المكلف بهذه القضية يا ومبوري . . وإذا احتجت إلى مشورتك فسأطلبها منك!»

وسمع في تلك اللحظة وقع خطوات على السلم وبعد لحظة ارتمت كورا آن بين ذراعي زوجها! وصاحت وهي تنتحب:

فحاول بليس أن يبعدها عن الدقاق . . ولكن هذا قال له: «لحظة واحدة!»

ثم قال لزوجته: «لعلك لم تنسى! لقد وعدتني بشيء . . ألا تذكرين؟»

فقالت: «أجل يا ارثر» وهنا ارتاب بليس في الأمر، وأمرها بالابتعاد فواجهته بوجه شاحب وقالت له:

ـ تريد أن تأخذه وتحبسه في زنزانة وكأنه وحش في قفص! تريد أن تدفنه بالحياة ثم تقضي عليه! أتظن أني سأتركه من غير أن أنقذه من العذاب الذي ينتظره؟!»

فرد عليها بليس بشدة: «إنك لن تنقذيه من المشنقة!»

وسارعت فأخرج مسدساً من حقيبة يدها، وفي مثل لمح البصر أطلقته على زوجها قبل أن يستطيع بليس منعها. فسقط الدقاق على الأرض كتلة جامدة!

وصاح بليس بها: «أنت أيتها الشيطانة!»

وسارع ومبوري إلى معاونته، وانتزع المسدس من يدها!

وفي هذه اللحظة قام (الدقاق) من رقدته كميت بعث إلى الحياة فجأة . . وجرى إلى الباب وأوصده خلفه!

فصاح بليس قائلاً: «رباه! لقد هرب!»

وفتح فوهة المسدس وقال: «رصاص كاذب! هيا بنا وراءه!»

فاندفع ومبوري نحو الباب، ولكنه وجده موصداً! وكانت كورا آن تضحك ساخرة! فقال له بليس في أسى:



«وأخرجت كورا مسدساً من حقيبة يدها، وفي لمح البصر أطلقته على زوجتها»

ـ حطم اللوح! إن المفتاح بالجانب الآخر!

وبعد لحظة تحطم لوح بالباب وهرع ومبوري يهبط الدرج!

وقالت كورا آن: «إنك بارع يا مستر بليس.. ولكن (الدقاق) قد استدرجك إلى حيث أراد! وهناك سيارة تنتظره الآن خارج البيت، وسيهرب بها متنكراً في شكل جديد! ثم هناك طائرة تنتظره على مسافة عشرة أميال من المدينة.. وهو لايخشى الطيران في الضباب!

فزمجر بليس قائلاً: «أنت الآن في قبضتي وحيث تكونين يكون هو! إني أعرف الدقاق!»

وصاح منادياً أحد الشرطة، فجاء من الباب وقال له:

ـ أنا المفتش بليس من اسكتلانديارد.. احرس هذه المرأة ولاتدعها تغيب عن نظرك لحظة وإلا كان مآلك الفصل من الخدمة!

وأسرع خارجاً، وأوصد الباب وراءه!

وجرت كورا آن لتلحق به، ولكنه كان قد أخذ المفتاح معه. ثم التفت إلى الشرطي فخلع خوذته وقبعته وعانقها بقوة، ثم فتح لوحاً بالباب وقال لها:

ـ من هنا يا كورا.!

ثم قبلها وأخرجها من الغرفة!

ولم ير أحد الدقاق مرة أخرى!

صدر منها

- الأرض الطيبة
- رجال ونساء وحب
- غادة طيبة
- ذهب مع الريح (٢)
- الشيخ والبحر
- غادة الكاميليا
- الفرسان الثلاثة (١)
- الكونت دي مونت كريستو
- آلام فرتر
- إيفانهو (أو الفارس الأسود)
- وادي الرعب
- جريمة على الشاطىء
- سوف تشرق الشمس
- عدالة السماء
- ذهب مع الريح (١)
- عذراء وثلاثة رجال
- جريمة في الريفيرا
- أحدب نو
- الفرسان الثلا
- دافيد كوب
- الكأس الأخ
- الرجل الغ
- السجين اله
- إعلان عن ج
- الجوهرة الخضراء

12

مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
حلب - المسلمية - المنطقة الحرة - هاتف ٦٤٤٦٨٤

دار الشرق العربي
بيروت - لبنان ص.ب ٦٩١٨ - ١١